معالم الفلاح وبناء الذات

في المنهج القرآني

د. ثريَّا بنت أحمد بن سليمان البراشدية

الارتقاء بالنجاح واستدامته ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾

تحقيق النجاح ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

على طريق النجاح ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

بداية النجاح ﴿فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾

فقدان النجاح ﴿لَا يُفْلِحُ﴾

استحالة النجاح ﴿وَلَن تُفْلِحُوا﴾

مُقدّم بخطاب من سماحة الشيخ العلامة

أحمد بن حمد الخليلي

المفتي العام لسلطنة عمان





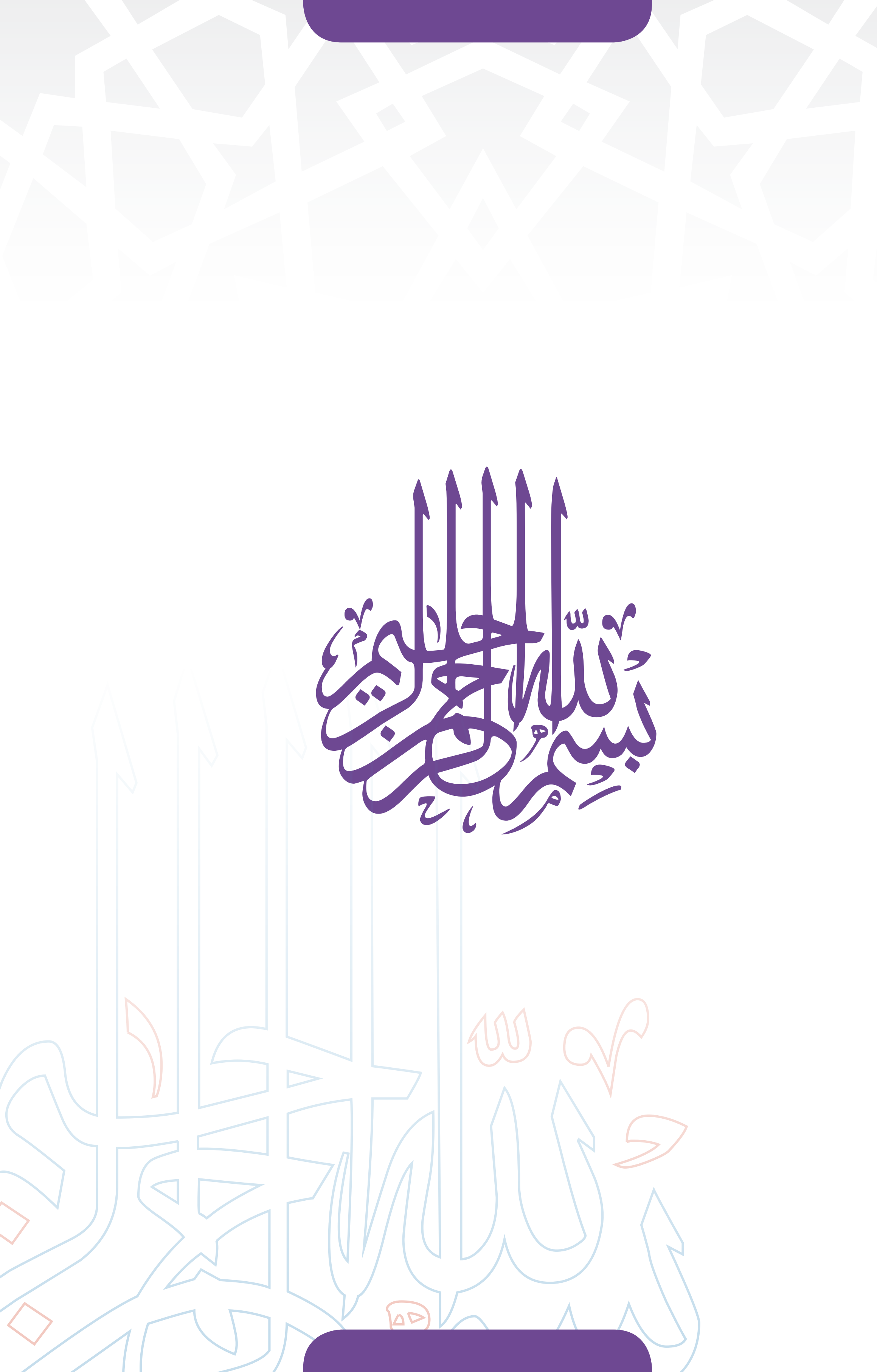
اسم الكتاب :

معالم الفلاح وبناء الذات
في المنهج القرآني

د. ثريَّـــا بنت أحمد بن سليمان البراشدية

التصميم الداخلي وتصميم الغلاف : عبدالقادر مفرح
رقم الإيداع 3738 / 2021
الرقم المعياري الدولي 5-725-3-99969-978

الطبعة الأولى
١٤٤٣ - ٢٠٢٢


بسم الله الرحمن الرحيم


إهداء



أبي .. رحمةُ الله تغشاكَ

هاكَ جهدي... أغلِّفهُ بحسن ظني بالرَّحيم أن يتقبَّله مني، وأن يُثقل به موازين أعمالك، ولك السَّلام يا وقَّاد الهمم حيًّا، وميِّتا.

أمي ... عينُ الله ترعاكِ

مداد كَلماتي لا يفي شيئًا من حقك.. ويجفُّ لوصف روعتكِ في أداء رسالتكِ .. رسالتكِ التي من أوراق الصبر صنعتها، وطرَّزتِها في ظلام الدَّهر على سراج الأمل، بلا فتور أو كلل.

إليكِ أهدي ثمرة دعواتكِ التي أزهرت فكرًا في بستان العلم.

إلى كل طامحٍ لتطوير ذاته

لأجلكَ أزهر هذا العمل وأينع؛ ليؤتيَ ثمارَهُ منهجًا عمليًّا تطوّر به ذاتك وتحقق به –بإذن الله– أسمى أهداف النجاح في الدنيا، والفوز بأعلى الدرجات في الآخرة.



بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد بن حمد الخليلي

التاريخ: ٨/١١/١٤٤٢هـ

الموافق: ١٩/٦/٢٠٢١م

إلى الابنة العزيزة الأريبة اللبيبة الدكتورة/ ثريا بنت أحمد بن سليمان بن حامد البراشدية

حفظها الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . . وبعد:
فقد تلقيت رسالتك الكريمة المرفقة بهديك الغالية الثمينة رسالة الدكتوراة، ومسودة كتاب مستل منها بعنوان (تطوير الذات نحو النجاح في الحياة وفق منهج القرآن الكريم لمعلمي التعليم العام في سلطنة عمان).
وقد سرتني هذه الهمة العالية إلى هذه الوجهة المسددة في توجيه الجمهور إلى طريق النجاح والفلاح بالاعتصام بالمنهج القرآني، ليجد المعلمون في التعليم العام سبيلهم إلى الارتباط بالقرآن، والارتواء من معينه الدفاق، والاقتباس من إشراقاته الساطعة، لينشأ على أيديهم جيل قرآني مورده ومصدره كتاب الله، الذي لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه.
وقد كان لك فضل الريادة في هذه الدراسة، وستؤتي بإذن الله ثمارها الطيبة، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ إبراهيم: ٢٤–٢٥.
وأسأل الله أن يسبغ عليك ثوب الصحة والعافية، وأن يمنحك البركة في العمر، والتوفيق لمواصلة العطاء، حتى يتوالى هذا الخير على يديك، فتتوالى البحوث والمؤلفات في شتى المجالات النافعة، وهي جميعا موصولة بكتاب الله الذي لا تنفد خزائنه، ولا ينضب معينه، ولا يأفل نوره، تحيا به القلوب الميتة، وترشد به العقول الزائغة، ويسري نوره في آفاق الكون فيطوي منها سجاف الظلام.

وهذا كله يتوالى أجره إليك، فإن العلم النافع خير ما يتركه الإنسان بعده فيتجدد له به العمل، ويتواصل به الثواب، ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ الكهف: ٣٠.

حفظكم الله ورعاكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

أحمد بن حمد الخليلي

٨ ذي القعدة/١٤٤٢هـ





١

الفصل الأول

توطئـــــات

التقديم

المبحث الأول: التمهيد

المبحث الثاني: الأمة بين الأصالة والتقليد

أولًا: المثاقفة...المفهوم والسمات

ثانيًا: المثقف العربي...والمثاقفة



التقديم

على الرغم من الحاجة الملحَّة، والإقبال الكبير على دورات، وبرامج تطوير الذات، والتنمية البشرية؛ من أجل تحقيق النجاح، والسعادة... إلا أنها واجهت انتقادات بالغة من قبل الباحثين، والمتخصصين في هذا المجال، كان أبرزها عدم استناد هذه الدورات والبرامج إلى أسس علمية واضحة، قابلة للقياس، وأنها تجنح نحو الفكر، والأيديولوجيا، والرياضة الروحانية، مستلهمة مبادئها من البوذية، والأساطير، التي تسلب الوجدان والعقول، ولا تؤسس لفعل واقعي عقلاني حقيقي.

لذلك هدفت هذه الدراسة إلى تأصيل دور القرآن الكريم، في تطوير الذات نحو النجاح في الحياة، وبناء منهج عملي لتطوير الذات، وفق منهج القرآن الكريم، من خلال تحليل آيات (الفلاح) في القرآن الكريم بالاستعانة بكتب تفسير القرآن الكريم. فبعد إثبات أن كلمة (الفلاح) هي الأدق، والأشمل، لموضوع تطوير الذات؛ تم إعداد خمسة مبادئ أساسية لتطوير الذات، وبناء منهجيةٍ عمليةٍ واضحة، وميسرة، من خلال تصميم ستة (٦) مسارات للنجاح في ضوء آيات (الفلاح)، انطلقت منها ثلاث خطوات رئيسة لتطوير الذات هي: تزكية الذات، والاستعداد والتعلم، والعمل والثبات. وقد تضمَّنت كل خطوة جملة من القواعد العملية لتطوير الذات.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن هذا الكتاب هو في الأصل رسالة لنيل درجة الدكتوراة بعنوان: تطوير الذات نحو النجاح في الحياة وفق منهج القرآن الكريم لمعلمي التعليم العام في سلطنة عمان، وهي رسالة توخَّت الموضوعية، والبعد عن المذهبية، والطائفية الضيقة، حيث تناولت الدراسة في مجملها الرؤية القرآنية من

أجل تطوير الذات نحو النجاح في الحياة، واتَّخذت من المنهج القرآني منطلقًا نحو النجاح، والفلاح، دونما إلغاء للنظريات الحديثة في تطوير الذات، وقد أشار بعض أهل الاختصاص على الباحثة بأن تتناول الدراسة تطوير الذات انطلاقًا من النظريات الغربية الحديثة، فلم ترُقْ لها الفكرة، وظلت مستمسكة بوجهة نظرها؛ في أن القرآن الكريم به ما يغني، ويسد الحاجة في هذا السبيل. على الرغم من إغراءات البحث في المناهج الحديثة، وما يظهر به صاحبها أمام الآخرين من استنارة، وحداثة، وسعة أفق، في مقابل من ينطلقون في دراساتهم من الفكر الإسلامي، وما يكال لهم من تُهم هم منها براء؛ براءة الذئب من دم يوسف؛ أخذًا في الاعتبار أن الفكر الإسلامي لا يعارض -إطلاقًا- الاستعانة بأية أفكار -شرقية كانت أم غربية- مادامت تخدم الفكر الإنساني القويم؛ الذي ينفع البشرية، ويأخذ بيدها في شتى مجالات الحياة؛ ليس ذلك فحسب؛ بل يحض عليه، ويثيب عليه بالأجر الجزيل. فالفكر الإسلامي عالمي الهدف، وعالمي النفع، والفائدة.

ويُعد هذا الكتاب حلقة في سلسلة طويلة باتجاه بناء نظرية إسلامية في شتى مجالات العلوم، مقابل الهجمة التغريبية الشرسة ضد كل ما هو أصيل في ثقافتنا!! أليس من الغريب أن يتبنى أبناء جلدتنا من المفكرين، النظريات الغربية المولد، والنشأة؛ بعُجَرِهَا، وبُجْرِهَا...!! تلك النظريات التي ظهرت في مجتمعات خاصة، لتعالج قضايا تلك المجتمعات الخاصة كذلك!! حيث سارعت ثلة من مثقفينا، فتلقفوها، وتبنوها، وانبهروا بها، ودافعوا عنها، وراحوا يسقطونها على مجتمعاتنا، مع ما بين كلا المجتمعين من تباينات جوهرية!!.

والتساؤل الذي يطرح نفسه، ما لنا ولهذه النظريات البائسة، القاصرة؛ وقد أنزل الله لنا دينًا كاملًا شاملًا، متوازنًا، احترم الإنسان، وقدره، وعالج قضاياه الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، بكل وضوح، وبكل موضوعية، كما حدد علاقات الإنسان مع البيئة المحيطة به بشكل عام؛ سواء كانت محلية، أو خارجية، بما يضمن للجميع حياة سياسية، واقتصادية، واجتماعية، آمنة، ومستقرة.

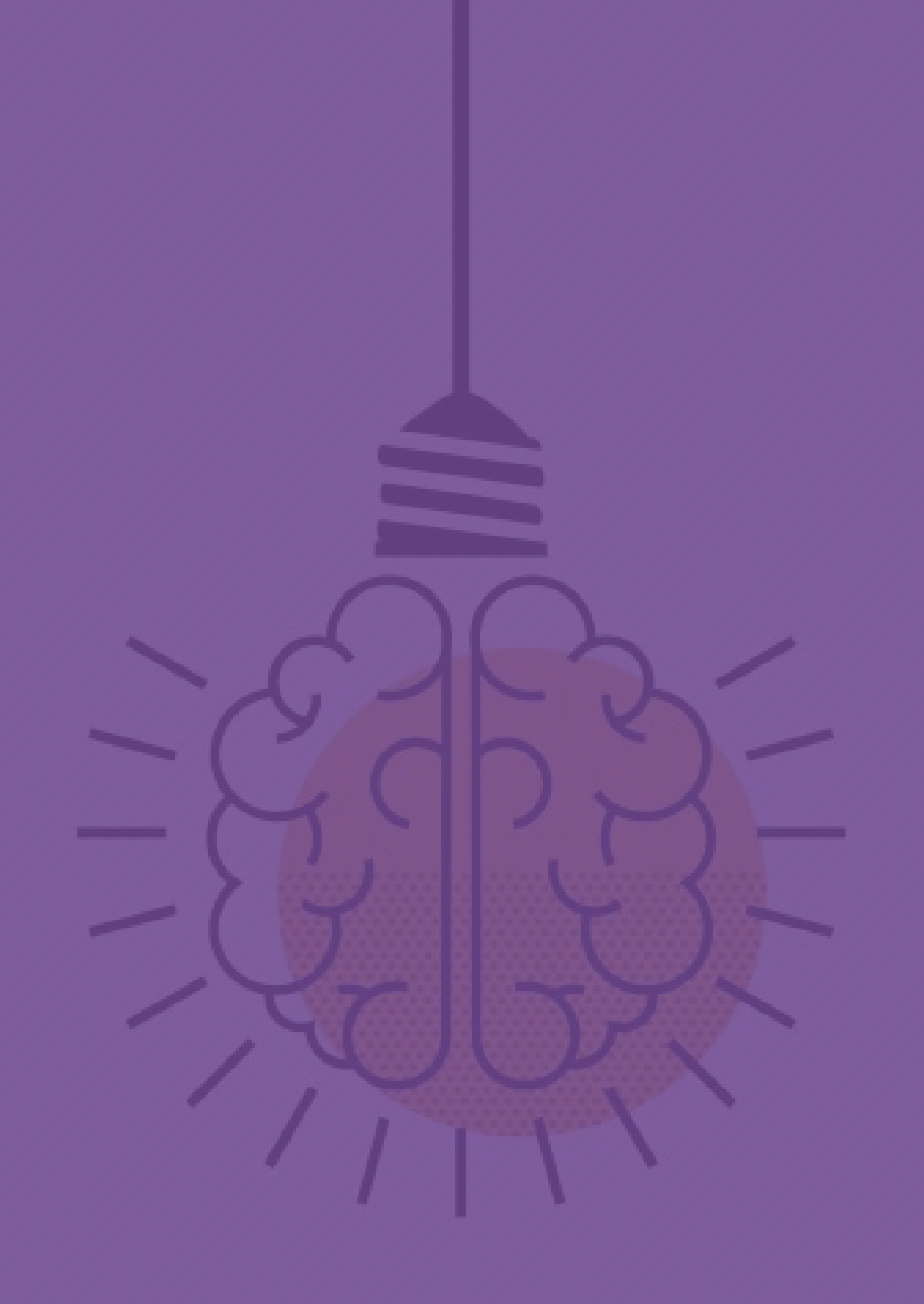
ولقد حاول علماء الاجتماع، معالجة ما يواجهه الشباب من بطالة، وفشل وظيفي، من أجل تحسين مستوياتهم المعيشية، فظهر ما يعرف بالتنمية البشرية، وهي في مجملها فكرة جيدة، ونبيلة، ولكن، ومما يؤسف له، أن مثل هذه الفكرة وما كرّسته من دورات تستند إلى أسس غير علمية، وغير واضحة، وغير قابلة للقياس، واعتمدت على العقل البشري فحسب في حل مشاكل الإنسان. ولا ريب أن الركون إلى العقل

البشري القاصر، المخلوق في التصدي لقضايا الإنسان الضخمة؛ يؤدي -حتمًا- إلى الفشل الذريع في مواجهة تلك المشاكل، ذلك أن الإنسان بشكل عام هو خلق من خلق الله، ولهذا فنحن بحاجة حقيقية لصانع هذا الإنسان، فهو خالقه، وهو أعلم بما يصلحه، وبما ينفعه في الدين، والدنيا، مثلنا في ذلك -ولله المثل الأعلى- كمثل الشركة الصانعة للسيارات، حينما تقوم ببيع منتجاتها، فإنها ترفق معها دليلًا لإصلاح الأعطال، وأي اجتهاد خارج هذا الدليل، سيصيب السيارة بمشاكل كثيرة، تضر بها ولا تنفعها.

وفي المجمل فإننا بحاجة ماسة لشتى أنواع الدراسات؛ سواء منها الدراسات الإنسانية، أو العلمية المخبرية، انطلاقًا من ثوابت فكرنا، وعقيدتنا، في محاولة لتشكيل نظرية إسلامية عامة، تمثل نظرة الإسلام للكون، والوجود، والحياة؛ بعيدًا عن اجتهادات البشر القاصرة؛ التي تمثل مغامرات خطيرة، غير محسوبة العواقب، تجاه مصير الإنسانية بشكل عام، انطلاقًا من الثابت الإسلامي؛ المتمثل في القرآن الكريم، في مواجهة المتحول البشري المتمثل في النظريات الاجتهادية القاصرة.

وختامًا.. لا يفوتني أن أرفع أصدق عبارات الشكر والتقدير لسماحة الشيخ المُربِّي العلامة الجليل أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عمان، على رقي كلماته، وسموّ معانِ التقدير في عباراته التي سطرها في خطابه الكريم المؤرخ في ٨ ذي القعدة ١٤٤٢هـ الموافق ١٩ يونيو ٢٠٢١م، الذي أشار فيه سماحته إلى أهمية توجيه الجمهور إلى طريق النجاح والفلاح بالاعتصام بالمنهج القرآني، وأن لهذه الدراسة فضل الريادة في هذه المجال، وأنها ستؤتي بإذن الله ثمارها الطيبة كونها موصولة بكتاب الله الذي لا تنفد خزائنه، ولا ينضب معينه، ولا يأفل نوره، تحيا به القلوب الميتة، وترشد به العقول الزائغة، ويسري نوره في آفاق الكون فيطوي منها سجاف الظلام (الخليلي، ٢٠٢١).

فكما عهدناه -حفظه الله ورعاه- أبًا حانيًا، وعالمًا متواضعًا كريمًا، محفزًا للباحثين، ومقدّرًا للجهود والبحث العلمي عامة، والدراسات القرآنية على وجه الخصوص.. فلتكن -كلمات سماحته وتوجيهاته- حافزًا لكل من سلك هذا المجال نحو انطلاقة حقيقية للتنمية البشرية مستمدة معالمها، وأسسها، ومهاراتها من أنوار القرآن الساطعة.





المبحث الأول:



المبحث الأول

التمهيد

الحمدُ لله أهلِ المجد والحمد، حمدًا يوافي نعَمهُ، ويُكافئُ مزيده، والصلاة والسَّلام على من أحيا أُمَّةً بالعلم فأشرقت نورًا وضياءً، ونمَّى فيها حُبّ العمل، والعطاء، صلاة أبديَّة تملأ حنايا الأرض، واتساع السَّماء.

لقد خلق الله تعالى الكون، وجعل التغيير واحدًا من القوانين التي تحكُمه، وتنظم علاقة مكوناته بعضها بعضًا، بل وأكّد سبحانه في أكثر من موضع في القرآن الكريم، أنّ دوام الحال فيما يتعلق بالإنسان بالأخصّ؛ هو أمر غير وارد البتّة، وهو ما نفهمه من قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران: ١٤٠)، الأمر الذي يسهّل علينا القبول بالتغيير، بل ويجعله سنة كونية، وثابتًا من ثوابته، ويشجعنا على السعي نحو توفير العوامل، والظروف التي تساهم في تحقيقه، وإنجاحه على أكمل وجه، لما فيه صالحنا كأفراد، وصالح مؤسساتنا، ومجتمعنا.

إن ثمّة قوّة تغيير عملاقة تكمن في أعماق النفس البشرية بشكل عام؛ مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١)؛ فالتغيير الذي أمرنا به سبحانه وتعالى، لا بُدّ أن يبدأ من داخل النفس البشرية أولًا؛ تلك النفس التي تشعُّ صدقًا مع ربّها، ومع ذاتها ومع حولها. فتنطلق منها قوةُ العزيمة، وعلو الهمّة، والمسارعة للطاعة، والمنافسة في كل خير، ومعروف. حينها يأتي وعد الله بتغيير الحال من الحزن والشقاء، إلى الخير، والسعادة والفلاح.

وفي اللحظة التي يعتزم فيها الفرد التغيير، والتطوير نحو الأفضل، ونحو ما يُرضي الله تعالى سيجد أن الله تعالى معه. قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩).

من هذا المنطلق يكتسب تطوير الذَّات أهمية ذات مدلولات عديدة؛ فالحرص على تربية النفس، والسعي إلى جعلها أفضل؛ هو تطوير للذَّات، والحرص على أن تكون إرادة الإنسان ذاتية، لا يتم التأثير عليها خارجيًا، وأن تكون هذه الإرادة إيجابية؛ فذلك تطوير للذَّات -أيضًا- وارتقاء لها. ويعد تطوير الذات -الذي لا ينفكّ عن تزكية

النفس- من القوانين الأساسية لرحلة الحياة الإنسانيّة، وجزء لا يتجزّأ من حياة الأفراد، والمجتمعات، في كل زمان ومكان. والكلمات الإلهيَّة في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (الشمس: ٩) أي: طهرها. تُصوِّر هذه الحياة بأنها رحلة تزكية للنفس. وتزكية النفس لا تستقيم إلا على أساس متين من الوعي، والإدراك بها. وبمقدار التزكية، يكون الفلاح في الدارين (أبو رزيزة، ٢٠٠٩). وبتوقف عمليات التطوير، والتطهير، والتغيير نحو الأفضل؛ تتوقف مسيرة الحياة عند نقطة الجمود، بل تنتكس نحو الأسوأ؛ فكرًا، وسلوكًا.

وتعد الدراسات القرآنية ميدانًا خصبًا للكثير من البحوث، والدراسات الإنسانية بشكل عام، التي تُظهر، وتجسِّد رُقيّ وتكامل المنهج الإسلامي في تربية النفس البشرية. ولا شكّ أننا في هذا العصر أحوج ما نكون إلى هذه الدراسات. فالتعاليم المدنيَّة تزحف من كل فجٍّ، وتقتحم طريقها إلى النفوس من مسارب لا حصر لها، فإذا لم نُحصن البناء الداخلي للنفوس، ونرسّخ الإيمان وفق دعائمه الفكرية، والعاطفية على حدٍّ سواء؛ فإن الأجيال الناشئة لن تنجو من هذا الزحف، بل ستقع في براثنه، وحبائله، وربما ستشعر بحجم النقص في كيانها، ومركبها الروحي، وتسعى كي تستكمله من روافد فكرية أخرى، لا يعلم مدى تأثيرها إلا الله سبحانه وتعالى (الغزالي، ٢٠٠٥).

وهكذا، فإن تطوير الذات نحو النجاح في الحياة، ضرورة ملحة لكلِّ فرد، والمعلم والمربي أكثر حاجة من غيره؛ فوراء كل أمة متميزة؛ تربية متميزة، ووراء كل تربية متميزة؛ معلم متميز، فالمعلم صاحب مهنة عظيمة، ورسالة مقدسة، ومؤتمن على أعز، وأثمن ما يملكه المجتمع من ثروة؛ ألا وهو الإنسان، وهو مسؤول عن الاستثمار الأمثل لهذه الثروة، بما يحقق أهداف المجتمع، وطموحاته.

ولهذا تتَّجه جهود معظم البشر -إن لم يكن جميعهم- نحو الاستثمار الأمثل لهذه الطاقات، والثروات الوطنية التي لا يمكن أن تقدر بثمن، وذلك من خلال إشباع حاجتين أساسيتين لديهم هما: النجاح والسعادة؛ ورغم أننا نسلك طرقًا مختلفة، وندخل أبوابًا متباينة، ونبذل جهودًا متفاوتة خلال رحلتنا التي ننشدُ فيها هدفًا واحدًا؛ وهو الحصول على ضالَّتي النجاح، والسعادة؛ إلا أننا نختلف في نسبة تحقيقنا للنجاح واستشعارنا للسعادة (أبو رزيزة، ٢٠٠٩).

ويُعدُّ تطوير الذات نحو النجاح في الحياة؛ ضرورة مُلحّة سواءً على مستوى الأفراد، أو المؤسسات. فالأفراد يقصدون النجاح والسعادة، والمؤسسات تسعى نحو الجودة، والتميّز من خلال الارتقاء بالأداء المهني للعاملين بها.

وفي رحلة البحث عن الغاية المنشودة؛ تصحو مجتمعاتنا على موجة عارمة، وظاهرة منتشرة لما يُعرف بوسائل المساعدة الذاتية (Self-help methods) التي تتمثل في برامج، ودورات تدريبية، وكتب، ومؤلفات في التنمية البشرية، وتطوير الذات (الحسين، ٢٠١٧). تلك الكتب، والدورات، والبرامج التدريبية التي غزت مجتمعاتنا الإسلامية، والتي يُروَّج لها تحت مسمى (التنمية البشرية، وتطوير الذات)، أو (البرمجة اللغوية العصبية)، وتحمل ما تحمله من شعارات جذّابة، تُوحي بأنها السبيل (الوحيد) إلى تحقيق النجاح، والسعادة في الحياة.

وقد لاقَت دورات، وبرامج التنمية البشرية، وتطوير الذات -بوجه عام- رواجًا واسعًا، وإقبالًا كبيرًا، من قبل الأفراد الذين يحرصون على الإفادة منها بصفتهم الشخصية، انعكاسًا لرغبتهم وسعيهم نحو الاستقرار النفسي والتقدم، والرقي في مختلف أوجه حياتهم. اعتقادًا منهم بقدرتها على تغيير حياتهم نحو الأفضل، وبأنها ستحقق لهم النجاح، والسعادة في حياتهم. كما لاقت تلك الدورات، والبرامج -أيضًا- اهتمامًا بالغًا من قِبل المؤسسات، التي تهدف إلى تحقيق أعلى مستويات الجودة. ولكون تلك البرامج باهظة الثمن، فإنها غالبًا ما تكون مخصَّصة للمستويات الوظيفية «الإداريَّة» العُليا بالمؤسسات (الطليمات، ٢٠١٦).

ولا ريب أن ثمة دوراتٍ، وبرامج في مجال التنمية البشرية، وتطوير الذات، يمكن أن تحقق فوائد ملموسة، ولها أهداف إنسانية سامية، خاصة تلك التي تتناول – على سبيل المثال - مهارات القراءة، وتقوية الذاكرة، وتعليم اللغات. لكن في المقابل؛ تختلط معها عناوين خداعة، وشعارات برَّاقة، في كثير من برامج ومقررات الدورات التدريبية، التي أُعدَّت من أجل الكسب المادي بالدرجة الأولى. من بين تلك العناوين على سبيل المثال: «أسرار التفوق والنجاح»، و«أيقظ العملاق داخلك»، و «حطّم المستحيل»، و«تعلم الاستثمار في خمس دقائق»، و«كيف تسيطر على الآخرين». وتلك الكتب أو الدورات تُزيَّن بشعارات على شاكلة: «انتبه... هذا الكتاب أو الدورة ستغيِّر مجرى حياتك»، و«لقد غيَّرت حياة ملايين الأشخاص حول العالم بعد أن كانوا من المهمشين الضائعين في عالمنا»، وغيرها ما لا حصر له (كردي، ٢٠١٠؛ الزعلة، ٢٠١٣).

وفي الحقيقة فإن تلك الكتب، والدورات، ما هي إلا ترجمة لنظريات، وأفكار ورؤى غربية، مهتمة بصناعة الذات، فالقضية في جوهرها، ليست في الإفادة من المدارس الغربية، لكن الخلل يكمن في وجود أفكار وحلول لبعض مشكلاتنا النفسية، أو الحياتية؛ التي لا تتفق مع فكرنا، وعقائدنا كمسلمين (الشمراني، ٢٠١٦).

ولذلك واجهت المؤلفات، وسوق التدريب في مجال التنمية البشرية، وتطوير الذات؛ انتقادات واسعة من قبل كثير من الباحثين، والكُتّاب منهم: كردي (٢٠١٠)، والزعلة (٢٠١٣)، وأبو الشامات وآخرون (٢٠١٤)، والطليمات (٢٠١٦)، والحسين (٢٠١٧)، بل وحتى من قبل كُتّاب، ونُقّاد غربيين، على سبيل المثال دراسات: آركويتز وليلينفلد (Arkowitz & Lilienfeld, 2006)؛ وبيرجسما (Bergsma, 2007)؛ وبيرتش (Birch, 2017)، ومن أبرز الانتقادات: عدم استناد تلك الكتب، والدورات إلى أسس علمية ثابتة، إضافة إلى عشوائية المحتوى، والموضوعات، وتخبُّط في الأساليب، والوسائل. كما لم يسلم المدربون من انتقادات موضوعية من حيث ضعف مؤهلاتهم، وكفاءاتهم التدريبية، والمبالغة في الترويج لتلك البرامج من حيث تحقيقها لنتائج مبهرة. ومن تلك الانتقادات -أيضًا- صعوبة قياس عائد التدريب منها، علاوةً على الأسعار الباهظة التي يتكبَّدها من تاقتْ نفسه لحضورها، والأخطر من ذلك ما أثبتته بعض الدراسات من التأثير العقائدي السلبي على المستفيدين منها. إلى جانب انتقادات أخرى عديدة.

وفي خضم تلك الانتقادات التي واجهتها وسائل المساعدة الذاتية لتطوير الذات؛ وخلال رحلة البحث، والتقصِّي عن منهجٍ لتطوير الذات، وتحقيق النجاح؛ لم تجد الباحثة منهجًا واضح المعالم، والخطوات، سوى المنهج الربَّاني، الذي يمكن للفرد أن يستلهم منه أسس، ومبادئ تطوير الذات والنجاح في الحياة، ويدرك مساراته، ومستوياته، ويتعرف على الصفات، والأعمال التي تؤهله للانتقال من مسار لآخر، ومن مرحلة لأخرى أعلى منها. ويتعلم كيف يُقيِّم مستواه في مجال تطوير الذات، والنجاح في الحياة قبل أن يبدأ عملية التطوير، وفي الوقت نفسه، لم تجد الباحثة مَنْ أصَّل الموضوع تأصيلًا شرعيًا؛ وفق منهج القرآن الكريم، وأفرده في بحث مستقلّ. وغاية ما وجدَتْهُ؛ إشارات إلى ذلك في بعض الكتب، والدراسات العلمية، فأدركَتْ الحاجة الماسّة إلى تأصيل تطوير الذات نحو النجاح في الحياة، من خلال منهج متكامل، واضح المعالم، والخطوات العملية المنهجية متضمنًا: المفاهيم، والمبادئ والأسس، والمسارات، والخطوات العملية للتطوير.

ولا ريب أن كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم خير العلوم، وأرقاها، وأعلاها مصداقية في التعامل مع النفس البشرية، لاسيَّما فيما يتعلّق بتهذيب النفوس، وتعديل السلوك؛ كيف لا والله تعالى هو خالق هذه النفس، وهو أعلم بها جلّ جلاله وبما يصلحها. فقضايا التربية، والسلوك محسومة في كتاب الله، وفي سُنَّة نبيه صلى الله عليه وسلم (البقمي، ٢٠١٣). قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤)، وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا

وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ٧-١٠). وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم خير خلق الله، زكّاه ربَّهُ وطهره، وأدّبه فأحسن تأديبه، ومدحه جل جلاله بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)؛ ومع هذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل ربَّه ويقول: (اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْواها، وَزَكِّها أَنْتَ خَيْرُ مَن زَكّاها، أَنْتَ وَلِيُّها وَمَوْلاها) (مسلم، ح:٢٧٢٢).

وإذا كان للوسائل المساعدة لتطوير الذات؛ من دورات، وبرامج تدريبية، ومؤلفات، وإصدارات؛ فائدة للمُستهدَف؛ حيث تسهم بصورة، أو بأخرى، في إثراء شخصيته، وتنمية معارفه، ومهاراته، وتعزيز دافعيته نحو الحياة، والعمل. هذا بالنسبة لبرامج تطوير الذات في وضعها الراهن وبقطع النظر عمّا سلف بشأنها؛ فكيف إذا صُمِّمت بمنهجية علمية، منبعها كتاب الله الكريم، وسنة رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم!

فهل يستطيع أي علم من العلوم الوضعية في تطوير الذات؛ أن يأتِ بأفضل مما جاء به كتاب الله الكريم، في تزكية النفس البشرية، وتهذيبها، والارتقاء بها إلى مدارج السموّ والكمال؟!

وبسبب ما تقدّم، فقد سعت هذه الدراسة حثيثًا لأن تستنير بكتاب الله تعالى في استجلاء فهمٍ خاص لتطوير الذات نحو النجاح في الحياة؛ بقصد تأصيل منهجٍ متكامل، ورؤية جديدة، لتطوير الذات نحو النجاح في الحياة.

كما ستحاول هذه الدراسة -وانطلاقًا من رؤيتها الفلسفية- تحديد الخطوط الرئيسة التي سترسم مسارها، وتحدد ملامحها، كي تجسد ما تسعى إليه من المبادئ، والثوابت الأساسية لتطوير الذات، وتوظيفها للنجاح في الحياة الدنيا، التي أُمرنَا أن نعمرها بالحق، والخير؛ انطلاقًا من المنهج الإلهي العظيم، ووفق منهج القرآن الكريم، ووسطية هذا الدين، ونظرته الشمولية، المتوازنة للكون، والوجود، والحياة، في تحديد الدور الحقيقي الذي حدده سبحانه وتعالى للإنسان، في عمارة الحياة بشكل عام: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة:١٠)، ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾. (القصص:٧٧) إنها فلسفة الإسلام، ونظرته المتفردة في البناء المتوازن للكون والإنسان معًا، فلا يطغى دور أحدهما على الآخر... فبهذه الدقة، وبهذه الحكمة في التشريع ؛ عالج الحق سبحانه مسألة كونية في غاية الدقة، والحساسية، حين قرن الحق سبحانه الفلاح، والنجاح بالعمل، والجد، والسعي في أرجاء الكون؛ صامته، وناطقه؛ جامده، ومتحركه. كما قرن -في الوقت نفسه- بين ذلك كله وبين، العبادة بمفهومها

الحـركي المـرن، مـن أجـل حيـاة كريمـة، حيـاة أفضـل، وأجمـل.

كـما تجلـت تلـك الفلسـفة، وذلـك التـوازن، في النشـاط الحـركي الإنسـاني الفريـد؛ الـذي حـدده القـرآن الكريـم في الآيتـين السـابقتين، دون إفـراط، أو تفريـط... إنهـا فلسـفة الإسـلام، وعظمتـه، يرسـلها لـكل مـن يجهـل روح هـذا الديـن العظيـم؛ فانغلـق عـلى ذاتـه، وحجـر عـلى فكـره المغلـف بغـلافٍ جلمـودي، صخـري... ظانًّـا أنـه عـلى حـق: ﴿الَّذِيـنَ ضَلَّ سَـعْيُهُمْ فِي الْحَيَـاةِ الدُّنْيَـا وَهُـمْ يَحْسَـبُونَ أَنَّهُـمْ يُحْسِـنُونَ صُنْعًـا﴾ (الكهف: ١٠٤).

إنـه المفهـوم الواسـع للعبـادة في الإسـلام؛ فالعمـل الجـاد؛ عبـادة. والنجـاح في الدراسـة؛ عبـادة. وتبسـمك في وجـه أخيـك؛ عبـادة. واللقمـة تقذفهـا بفـي زوجتـك؛ عبـادة. ودرهـم تنفقـه عـلى عيالـك؛ عبـادة. والمؤمـن القـوي؛ عبـادة -أيضًـا- فالقـوي في دينـه، القـوي في بدنـه، القـوي في مالـه، في مظهـره، في تناسـقه، في انسـجامه مـع ذاتـه، في تصالحـه مـع غـيره بعـزة، وبـلا ضعـف؛...عبـادة. المؤمـن القـوي في كل شـؤونه، حتـى الدنيويـة منهـا؛ عبـادة، عبـادة وأي عبـادة؛ إنهـا عبـادة، وبنـاء في آن واحـد، عبـادة وصقـل، وفـرادة للشـخصية...لا يمكـن أن تتوفـر إلا للفـرد المسـلم؛ الـذي نهـل مـن معـين كتـاب اللـه.

واسـتكمالًا لهـذه الرؤيـة الناصعـة، والفهـم العميـق؛ يؤكـد النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم عـلى تلـك النظـرة المتوازنـة، حتـى في العبـادات، فيرسـخها في النفـس المؤمنـة؛ اقتصادًا، ووسـطية؛ حتـى لا تصـل مرحلـة الملـل، أو الضجـر: «يـا حنظلـة! سـاعةً وسـاعةً»!! (أحمـد، ح: ١٩٠٤٥) إنـه التـوازن العـام، الـذي يحكـم الإيقـاع الفكـري الإسـلامي، وينبـذ المبالغـة فيـما قـد يُتَوَهَّـمُ أنـه ركـن مـن أركان الديـن! وهـل جـاء هـذا الديـن بأصولـه، وتشريعاتـه، وعقائـده، ومعاملاتـه... إلا لإسـعاد البـشر؟! وهـل الشـهادتان إلا سـعادة للبشريـة جمعـاء، وهـل العبـادات، بـكل فروعهـا إلا مـن أجـل راحـة الإنسـان، واسـتقراره، وسـعادته؟!! ويواصـل صـلى اللـه عليـه وسـلم تعميـق فكـرة الوسـطية، والتـوازن في الـذات المؤمنـة، فيقـول لعثـمان: {...اتَّـقِ اللَّـهَ يَـا عُثْـمَانُ، فَـإِنَّ لِأَهْلِـكَ عَلَيْـكَ حَقًّـا، وَإِنَّ لِضَيْفِـكَ عَلَيْـكَ حَقًّـا، وَإِنَّ لِنَفْسِـكَ عَلَيْـكَ حَقًّـا} (أحمـد، ح: ٢٦٣٠٨) وفي هـذا دلالـة واضحـة عـلى مـا يتمتـع بـه الإسـلام مـن اعتـدال، ووسـطية؛ فالمسـلم يعلـم أنـه إنمـا خلـق لعبـادة اللـه تعـالى مـن جهـة، وليعمـر الأرض مـن جهـة أخـرى، والأخـيرة وجـه مـن وجـوه العبـادة للـه.

ولعـل هـذا مـا يدعونـا -وبشـكل دقيـق- للتعـرف عـلى محـددات النجـاح، وسـماته الحقيقيـة، وكيفيـة بنـاء منهـج علمـي، عمـلي، حـركي مـرن، يأخـذ بأيـدي البشريـة جمعـاء نحـو الفـلاح، والنجـاح، وفـق المنهـج القـرآني الفريـد؛ الـذي لا يأتيـه الباطـل مـن بـين يديـه، ولا مـن خلفـه، تنزيـل مـن حكيـم حميـد.

وانطلاقًا من الفهم السابق لطبيعة العلاقة بين الإنسان، والخالق، والكون، والوجود من حوله، فيما يجلب النفع، والسعادة للإنسان؛ ذلك أن كل ما في الوجود مسخر لخير الإنسان، وسعادته، وفق المحددات التي وضعها القرآن الكريم؛ تسعى هذه الدراسة إلى سد الفجوة المعرفية بين تطوير الذَّات (المفاهيم، والوسائل، والخطوات) من جهة، والنجاح والفلاح من جهة أخرى. كما تحاول أن تُظهر التكامل، والجمال بين العلوم العقليَّة والنقليَّة؛ حيث يتفق هذا النوع من الدراسات المنهجية، وروح العصر، ويتزامن مع زخم برامج التنمية البشرية، وتطوير الذات، ويُظهر إعجاز القرآن الكريم في شتى جوانب الحياة الإنسانية، وتزعم الباحثة -في حدود علمها- أن هذه الدراسة هي الأولى من نوعها التي تؤصِّل تطوير الذات تأصيلًا إسلاميًا في ضوء القرآن الكريم، وربطه بمفهوم الفلاح.

كما تبلور هذه الدراسة مفاهيم، وأسس تطوير الذات، والنجاح في الحياة؛ وفق رؤية إسلامية دقيقة، ومن خلال دراسة مفهوم الفلاح. وهذا أمرٌ مهمٌ جدًا لبناء قاعدة معرفية راسخة، يُستند عليها في هذا المجال، وتقي من الشبهات الفكرية المعاصرة. ومن جهة أخرى، تُعدُّ هذه الدراسة وسيلة مساعدة لتطوير الذات، من أجل النجاح، والفلاح في حياة للمسلمين عامة، وكمنهج يُدرَّس، ويُدرّب عليه في المؤسسات التربوية والتعليمية، فإن كانت النظريات الاجتماعية، والتربوية الغربية، تعتمد على العقل، وما يطرأ عليه من تغيرات، وتحولات، فهي في تحول دائم، فإن القرآن الكريم وما يصدر عنه من قيم، وأخلاق تتسم بالثبات، والاستقرار، والشمول؛ حيث تعدُّ مخرجاته مرجعًا علميًّا لفائدة المدربين، والباحثين، والمهتمين في مجال التنمية البشرية، وتطوير الذات.

وأخيرًا، فإن هذه الدراسة المتواضعة، لتطمح أن تعين - بفكرها الموضوعي والتحليلي، وخطواتها التطبيقية - الأفراد الطَّامحين لتطوير ذواتهم، وإكسابهم قيمًا، ومهاراتٍ تساعدهم على رفع كفاءتهم، وفاعليتهم؛ لتحقيق النجاح في الدين والحياة، والوصول إلى أعلى المستويات، من خلال التعلم الذاتي. كما تطمح إلى أن تخرج برزمة من الأُسس، والمبادئ، والمسارات؛ تنطلق منها خطوات عملية، واضحة، لتطوير الذات نحو النجاح -عبر رحلة الحياة الطويلة، ومسيرتها الشاقة- وفق منهج القرآن الكريم؛ لتُبنى عليها -من قبل الباحثين، والمهتمين- وسائل المساعدة الذاتية، المتمثلة في إعداد الدورات، والبرامج التدريبية، وتأليف كتب، وإصدارات التنمية البشرية، وتطوير الذات، ونشرها، وأن تكون فاتحة لبحوث، ودراسات قرآنية قادمة، ذات صبغة، فكرية، وعلمية مميزة. وأن ينفع الله بهذه الدراسة أمة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة، والبشرية عامة، وأن تأخذ بمجامع القلوب إلى الخير، والرشاد، والصَّلاح، والفلاح.



المبحث الثاني:

الأمة بين الأصالة والتقليد

المبحث الثاني

الأمة بين الأصالة والتقليد

أولًا: المثاقفة...المفهوم والسمات

تعد المثاقفة بين الأمم واحدًا من أهم أسباب الرقي، والتحضر، والتواصل، الذي يفرضه التطور الطبيعي للحياة. وفي هذا المقام لا بد من التأكيد على حقيقة كونية ثابتة، وهي أن الحضارة الإنسانية منتج بشري وفعل تراكمي، ولا يمكن لها أن تقوم، أو أن تصل إلى ما وصلت إليه، لولا هذا المكون الفكري الأممي التراكمي عبر تاريخ الإنسانية جمعاء، إذ لا يمكن لأمة من أمم الأرض كلها، أن تنهض بالعبء الحضاري بمفردها، فالمثاقفة بين الأمم سنة كونية ماضية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وتنتهي بانتهاء الحضارة البشرية على وجه هذا الكوكب، ذلك أن المثاقفة، والتلاقح الفكري، حق مشاع بين جميع الشعوب، حيث تنساح الأفكار فلا تعوقها حدود، ولا تعترضها سدود، في عصر بات فيه الانفتاح المعلوماتي، غير المسبوق؛ أهم سمة من سماته (اليعقوبي، ٢٠١٣). وهنا تتمايز الأمم فيما بينها بقدر ما تتمتع به من أصالة، واستقلال حضاري، وفكري من جهة، وبمدى تأثيرها في الأمم الأخرى، وحضارتها على وجه الخصوص، حيث تتسابق الأمم في صورة (صراع فكري)، وتنافس حضاري، من أجل فرض هيمنتها، ورؤاها، وتفوقها الحضاري على الأمم الأخرى، ويتحدد مدى سيطرتها -جغرافيًا، وزمانيًا- بمقدار ما تمتلكه من مخزون حضاري أخلاقي.

ومن الجدير بالملاحظة، أن المثاقفة الأممية تتمحور حول عملية التغيير، أو التطور الثقافي الذي يطرأ حين تدخل جماعات من الناس، أو شعوب بأكملها، في اتصال، وتفاعل؛ يترتب عليه حدوث تغييرات جوهرية في الأنماط الثقافية السائدة عند تلك الشعوب المستَقْبِلَةِ، وليس بالضرورة أن تكون تلك التغيرات، والتطورات غزوًا فكريًا، أو استئصالًا ثقافيًا، أو رغبةً في محو الآخر، وفرض التبعية عليه. فالمثاقفة في حقيقتها؛ تقوم على عنصري الاحترام المتبادل، والتسامح الموزون، من جهة، والاعتراف بخصوصية الآخر من جهة أخرى. وانطلاقًا من هذا الفهم الدقيق لحقيقة المثاقفة؛ تتواصل الجماعات، وتتفاعل

الشعوب؛ بهدف الإثراء المتبادل للفكر، والحضارة البشرية عامة، وعلى أساس من الثقة، والاحترام المتبادل، والرغبة في التواصل، والتقدم، والتطور، واكتساب العلم، والمعرفة.

وإذا كانت الشعوب تسعى سعيًا حثيثًا تجاه المثاقفة، بمفهومها الإنساني العريض؛ فإنها ترفض -في الوقت نفسه- رفضًا قاطعًا أن تتحول هذه القيمة الإنسانية إلى غزو ثقافي، بأي شكل من الأشكال، أو نمط من الأنماط؛ فقد عبر المهاتما غاندي عن ذلك قائلًا: «إنني أفتح نوافذي للشمس، والريح، ولكنني أتحدى أية ريح أن تقتلعني من جذوري». لقد جسد غاندي -بعبارة مختصرة- الأصالة في أنقى معانيها من جهة، وعن الانفتاح، والمثاقفة الإيجابية في أرقى صورها، من جهة أخرى، وهي-بهذا المعنى فقط- تعد رافدًا مهمًّا من روافد المعرفة، والعلم بأبهى حلله التي تسعى كل أمة إلى معرفة الآخر من خلاله، واستثمار ما لديه من قيم، ومعطيات إنسانية، وحضارية، وإلى تنمية كياناتها الثقافية بشكل مثمر، وخلاق، وغير ضار بمقومات الهوية القومية، وثوابتها الأصيلة (اليعقوبي، ٢٠١٣).

وقد أكد القرآن الكريم على تلك الحالة، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

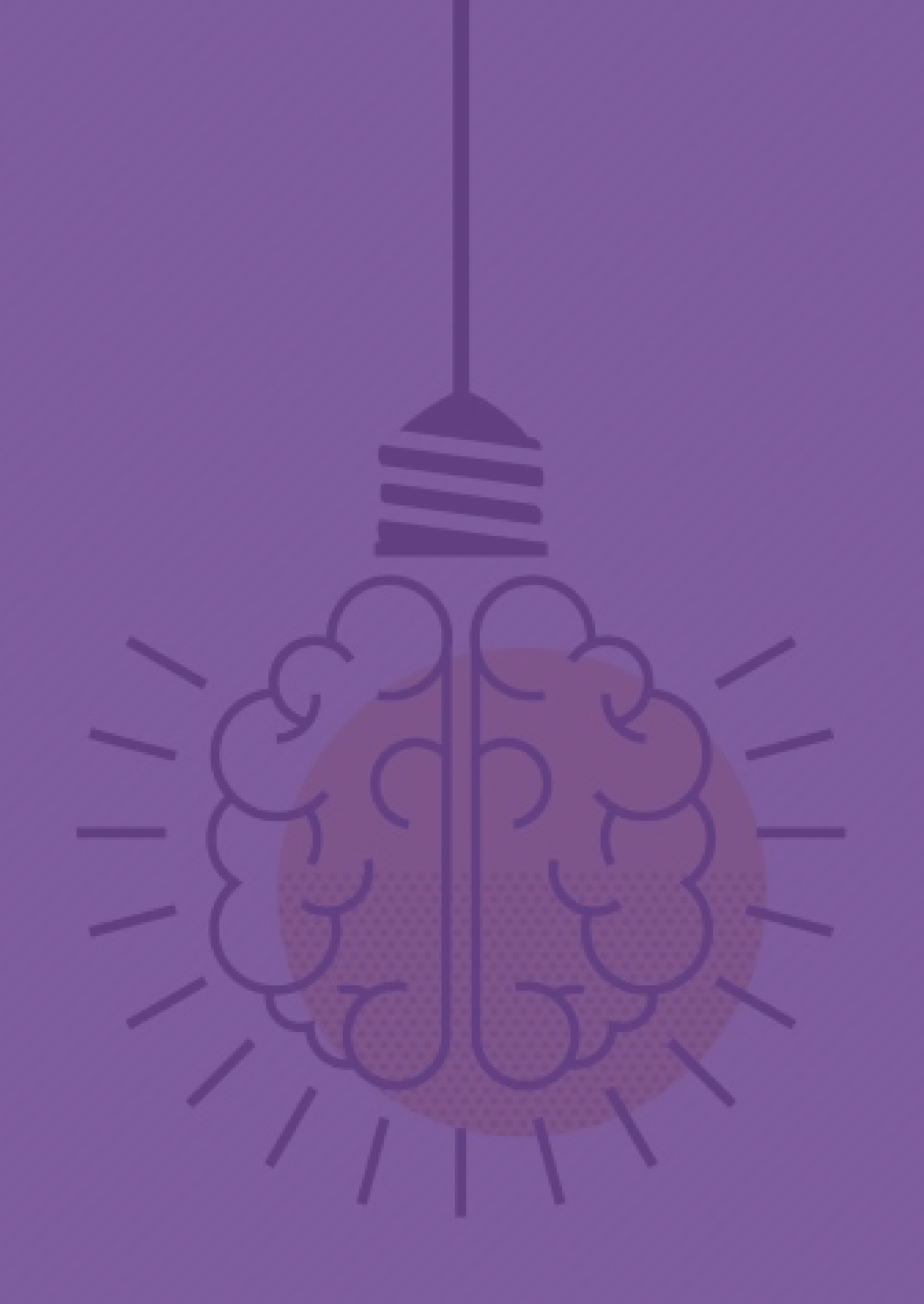
ثانيًا: المثقف العربي...والمثاقفة

يجب ألا يخطر ببال أحد من أصحاب الفكر، والرأي، أن تلك السطور دعوة إلى الانكماش، أو التقوقع على الذات؛ بقدر ما هي دعوة إلى الانفتاح المنظم على الآخر، وفق معايير الأصالة التي ننطلق منها. إنها دعوة لفهم المثاقفة بكل دقة، وحساسية، انطلاقًا من فكرة (الثابت، والمتحول) التي تعني الاستفادة من الآخر لأقصى مدى ممكن، ولكن وفق ثوابتنا، وقيمنا، المترجمة عن شخصيتنا، وهويتنا، بل عن ضميرنا، ومعتقداتنا الدينية، والاجتماعية، والسياسية...وكل مفصل من مفاصل حياتنا.

ولا ريب أن حاجة أمتنا للتواصل مع الآخر حاجة ملحة، وضرورية، إن لم تصل إلى درجة الوجوب، -ولعلها وصلت- لما تعانيه من ضعف، وترهل، وتبعية، إلى حد استجداء الآخرين في كثير من مجالات الحياة، وخصوصًا ما يتعلق منها بالعلم، والتقنيات الحديثة؛ وليس ذلك لعيب في مكوناتنا الخلقية، ولا لقصور في همم شبابنا، بقدر ما هو راجع لبعض الأسباب المحيطة بنا!! وقصور عن التوجيه السليم لطاقات شبابنا، واستيعاب ما لديهم من أفكار وثابة؛ تضاهي أرقى مخرجات العلم، في أكثر

الدول تقدمًا، هذه العقول التي تفتقر إلى همم عالية من القائمين على القطاعين؛ العام، والخاص في تبني تلك العقول، واستثمارها الاستثمار الأمثل، واللائق بأمة سادت في عصور متعاقبة، ونشرت الأمن، والعلوم بشتى أنواعها في أرجاء المعمورة دون تمييز بين أبيض وأسود، حتى بين أعدائها المتربصين بها. ولذلك فنحن في أمس الحاجة للتواصل مع الآخرين، للاستفادة من آخر ما توصلوا إليه من علوم، ومكتسبات سواء في مجال العلوم البحتة، أو العلوم الإنسانية، ونظرياتها المختلفة، مع ضرورة الإيغال في هذه المرحلة فيما نأخذ برفق، فليس كل ما لدى الآخرين يتلاءم مع واقعنا، ومجتمعاتنا، وخصوصًا في مجال العلوم الإنسانية، لا شك أنهم توصلوا إلى كثير من النظريات التي تتوافق مع بيئاتهم، ومجتمعاتهم، ومخرجاتهم النفسية، والاجتماعية، والدينية على وجه الخصوص، حيث مرت تلك المجتمعات بسلسلة من التغيرات، والتقلبات الدينية، والسياسية، والاجتماعية الحادة، التي تجعلنا نتوقف عند كثير من مخرجاتهم الفكرية بشكل عام، ونتناولها بحذر شديد؛ آخذين بعين الاعتبار الفوارق الطبيعية بين المجتمعات بشكل عام، وهي فوارق مشروعة، معترف بها عند جميع أمم الأرض بلا استثناء، فلنأخذ منهم، ولندع، فما وافقنا أخذناه، وما لم يتوافق معنا تركناه (اليعقوبي،٢٠١٤)، {لا يكُنْ أحَدُكُمْ إمّعَة ، يقول: أنا مع الناس ، إن أحْسَنَ الناسُ أحسنتُ. وإن أساءوا أسأتُ ، ولكن وَطِّنُوا أنفسكم إن أحسن الناسُ أن تُحْسِنُوا ، وإن أساءوا أن لا تظلِمُوا} (الترمذي)، وقد حدد رسول الله ﷺ حدود التعامل مع الآخرين بشكل عام، فبين لنا متى نأخذ، ومتى ندع، فالمؤمن كيِّس فطن، ذكي، ألمعي، لا تبهره الأضواء الخادعة، التي تذهب بالأبصار. أما الأضواء التي تأخذ بأيدينا نحو الهدى، والرشاد، والمعرفة الحقيقية؛ فهي ضالتنا، وهي التي نجدُّ في البحث عنها، فالحكمة ضالة المؤمن، أنَّى وجدها فهو أحق بها. يقول نزار قبّاني في هذا الشّأن: «وفي رأيي أنّ أزمة العبث، والعدم، واللاجدوى، هي أزمةٌ نفسيّةٌ مستوردةٌ، لها ما يفسّرها في الحضارة الأوروبيّة المتعبة. أمّا نحن فقد نقلناها بدون تحفّظٍ» (قباني، ١٩٦٣). كما يتعيّن علينا أن نعي جيّدًا، أنّه وعلى الرّغم من أنّ قوانين الغرب، ومدارسه، قد لا تصلح في بعض الأحيان للبيئة العربية، والإسلامية على وجه الخصوص؛ إلا أنّ هذا لا يعني أنّه لا يمكن الاستفادة من نتائج العلوم الإنسانيّة الجديدة، وأن نكون حذرين في اختيار ما هو عامٌّ منها، ويصلح لنا، وما هو خاصٌّ فلا يمكن قبوله. وملاك ذلك كله هو المعرفة، فعندما نتمكّن من معرفة ما نريد، وطبيعة الأمور التي نريد؛ نستطيع أن نختار بشكلٍ صحيحٍ (الصديق، ١٩٩٤). فهذا التّلاقح الفكريّ، والتّمحيص، والتّدقيق، مطلبٌ شرعيٌّ، حرص الإسلام على تطبيقه في كلّ زمانٍ، ومكانٍ؛ ذلك أنّنا نعيش في عالمٍ

من المتغيّرات المستمرة، التي لا يحكمها بالضرورة ثوابت من دينٍ، أو قيمٍ، أو أخلاقٍ؛ ولهذا، يجب أن نكون على قدرٍ كبيرٍ من الفطنة، والذكاء، والحذر، والوعي، لما يدور حولنا من حراكات فكرية، ولكي «ندرك إلى أيّ حدٍّ نستطيع أن نفيد بإرادتنا من تلك المذاهب، وإلى أيّ حدٍّ لا نستطيع تحقيق تلك الإفادة، مادامت ظروفنا، وحاجاتنا النّفسيّة، والرّوحيّة تختلف عن الظّروف، والحاجات التي دفعت باتجاه ظهور هذا المذهب، أو ذاك عند الغربيّين» (مندور، ١٩٧٩).





٢

الفصل الثاني

تطوير الذات.. بين المنهج القرآني، ووسائل المساعدة الذاتية

مقدمة الفصل

المبحث الأول: تطوير الذات؛ لغةً، واصطلاحًا.

المبحث الثاني: أهمية تطوير الذات.

المبحث الثالث: السعادة الحقيقية ثمرة الإيمان بالله تعالى.

المبحث الرابع: تطوير الذات... وعلاقته بالتفاسير القرآنية.

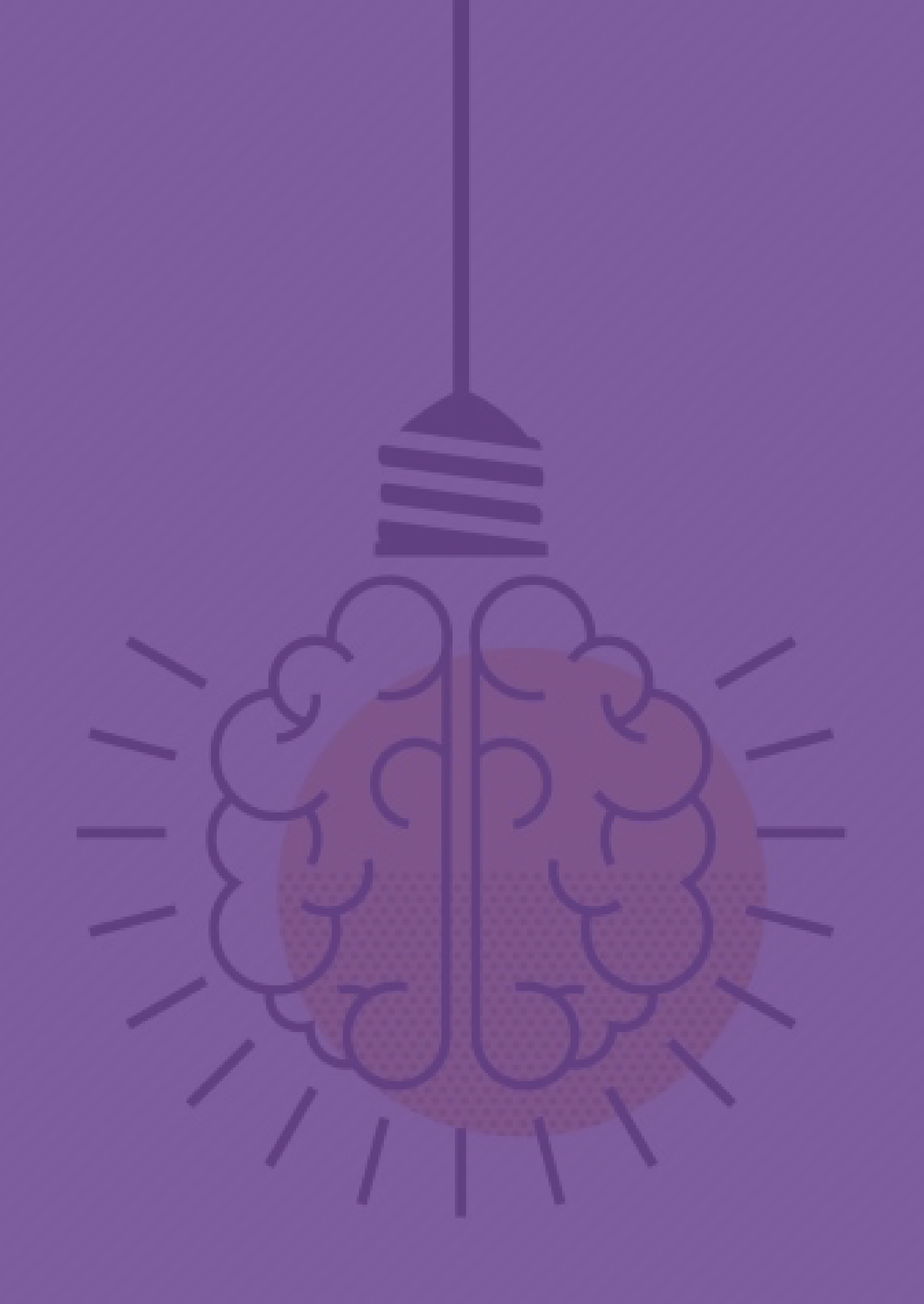
المبحث الخامس: القرآن الكريم...المصدر الأساس لتطوير الذات.

المبحث السادس: خصائص، ومميزات تطوير الذات وفق منهج القرآن الكريم.

المبحث السابع: تطوير الذات... وعلاقته بالمفاهيم المعاصرة.

المبحث الثامن: واقع وسائل المساعدة الذاتية في تطوير الذات.

المبحث التاسع: وسائل المساعدة الذاتية بين أهدافها الإنسانية، وانتقادات الباحثين.



مقدمة الفصل

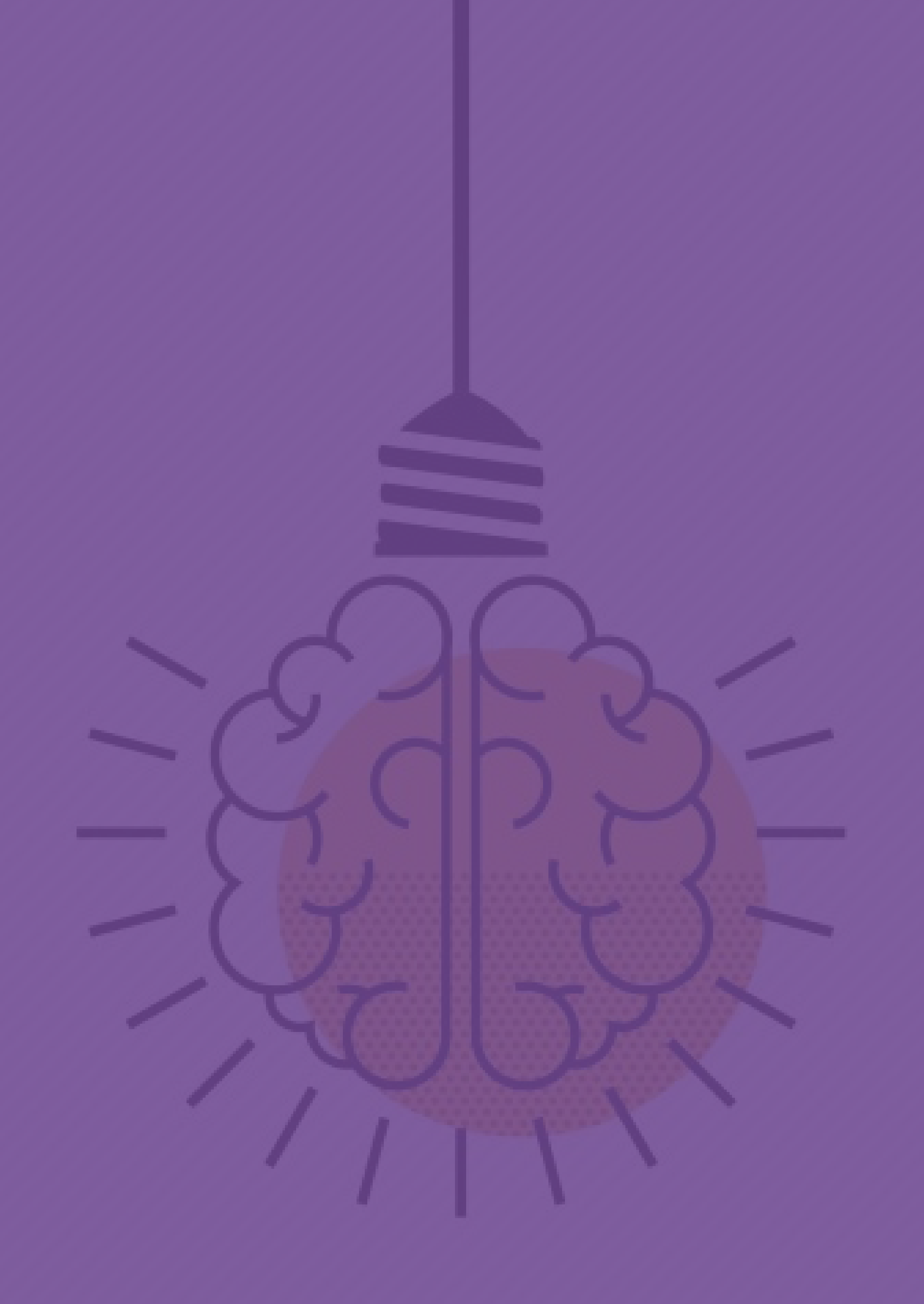
الفصل الثاني

تطوير الذات... بين المنهج القرآني، ووسائل المساعدة الذاتية

تناقش الباحثة في هذا الفصل مفهوم تطوير الذات، وعلاقته بتفاسير قرآنية من جهة، ومفاهيم معاصرة من جهة أخرى. وأهمية تطوير الذات، وواقع وسائل المساعدة الذاتية المتمثلة في البرامج، والدورات التدريبية، وكتب تطوير الذات. كما يناقش الفصل المصادر الأساسية لتطوير الذات، وخصائص، ومميزات تطوير الذات وفق منهج القرآن الكريم، ومكمن السعادة الحقيقية.

ولقد شاع مصطلح «تنمية» أو «تطوير» الذات في عصرنا هذا شيوعًا كبيرًا، وتناقلته الألسن، والأقلام، وعُقِدت لأجله المؤتمرات والندوات والدورات، حتى تبنتْ منظمة اليونسكو الدعوة إلى هذا العمل الإيجابي الكبير، في إحدى دوراتها (فولي، ٢٠١٤).

فما مفهوم تطوير الذات؟ وأين تكمن أهميته؟ وما واقع وسائل المساعدة الذاتية؟ وكيف يمكن استنباط، وبناء منهج عملي لتطوير الذات من القرآن الكريم؟ هذا هو محور النقاش في هذا الفصل.





المبحث الأول:

تطوير الذات، لغةً...واصطلاحًا

المبحث الأول

تطوير الذات، لغةً...واصطلاحًا

أ. التطوير لغةً: «التجديد والتحسين؛ ويقال جدّ، يجدّ، فهو جديد، واستجدّه أي صيره جديدًا فتجدد، ويعني الاجتهاد في الأمر وتحسينه» (الفيروز آبادي، ٢٠٠٣، ٣٤٦).

ب. الذات لغةً: «الحال. يقال: أصلح الله ذات بينكم، أي أصلح الحال التي بها يجتمع المسلمون. والذات تعبّر عن النفس، جاء من ذي نفسه ومن ذات نفسه: أي جاء طيعًا» (ابن منظور، ٢٠٠٣: ١٠). وقد ورد في عدد من آيات القرآن الكريم لفظ النفس مرادًا به ذات الإنسان، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (النحل: ١١١) «أي: يأتي كل إنسان يجادل عن نفسه» (الدينوري، ١٩٧٨: ٢٤٩). ويبين الأنصاري (١٩٨٣، ١٩٢) أن «المراد بالنفس الأولى الإنسان، وبالثانية ذاته، فكأنه قال: يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته، لا يهمُّه شيء آخر غيره، كلٌّ يقول: نفسي نفسي».

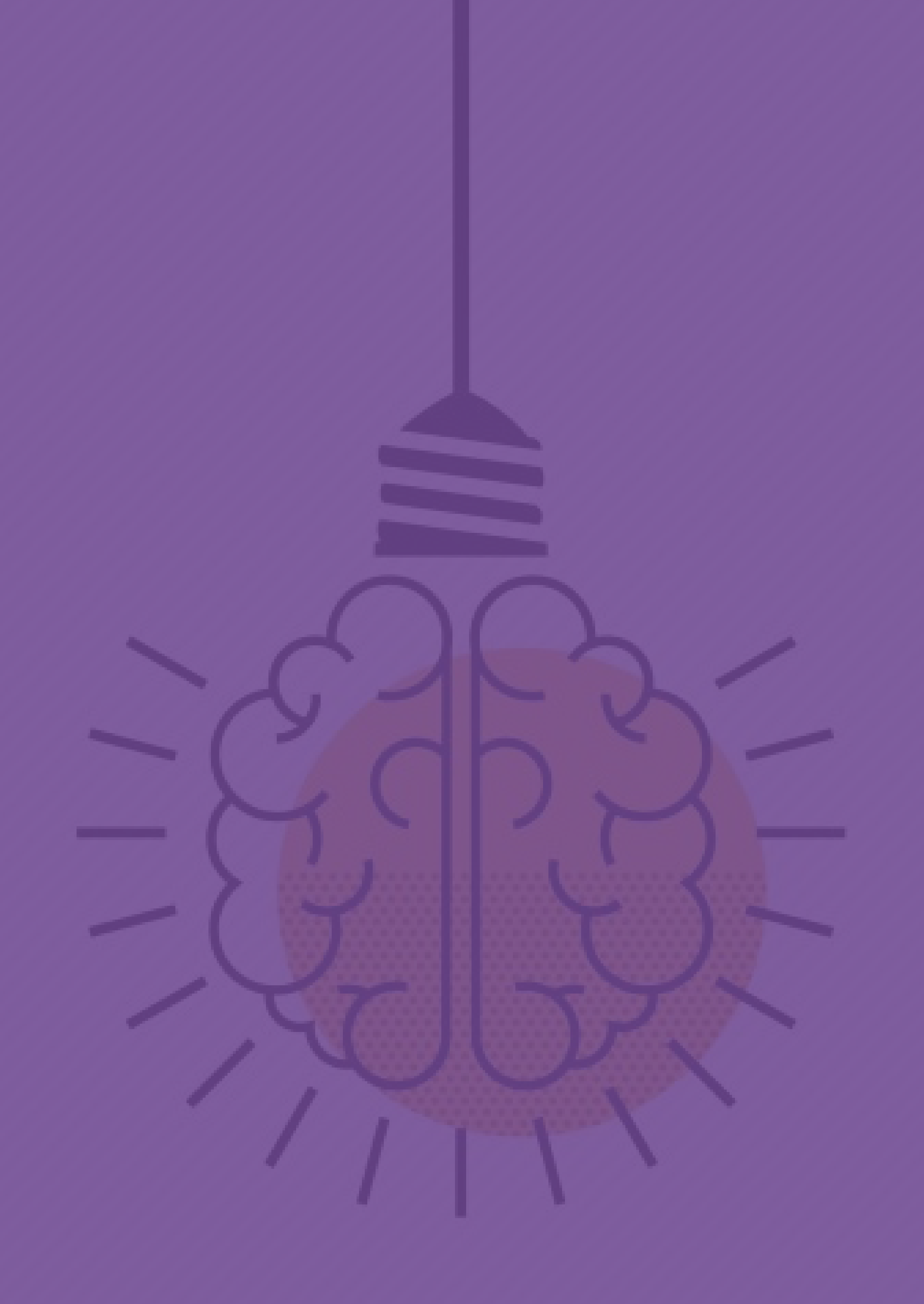
ويقول ابن كثير (١٩٩٨، ٧/ ٤٦٢) في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (النجم: ٣٢) أي تمدحوها وتشكروها وتمنُّوا بأعمالكم، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (النجم: ٣٢).

لقد لخّص القرآن الكريم النفس «الذات» البشرية أبدع تلخيص، وصوّرها أروع تصوير؛ مبينًا أثر الوراثة، والبيئة في تكوين النفس الإنسانية، في عبارات عظيمة موجزة، يقول الحق عزّ وجلّ: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ * أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾ (البلد: ١-٦)؛ إن المولى تبارك وتعالى، قد أقسم في هذه الآيات القرآنية الكريمة؛ بالبيئة وهي (البلد) وينوّه بالوراثة وهي (الوالدية)، ثم يشير إلى ما يقاسيه الإنسان من عناء الفكاك منهما، وأن غروره بقوته، وماله لا ينفعه في التخلص منهما، وإنما عليه أن يستغل ما وهبه له المولى سبحانه من حواس جسمية، ومواهب عقلية، مستعينًا بخالقه جل جلاله ومهتديًا بهداه (عبد المتجلي، ١٩٩٩).

ج. تطوير الذات اصطلاحًا: يُعرّف تطوير الذات بأنه: «ذلك التغيير الإيجابي، والمتواصل في شخصيّة الفرد؛ وبما يمكنه من تحقيق أقصى إشباع ممكن لحاجاته؛ وفق مفاهيم الواقعية، والمسؤولية، والصواب في سلوكه» (الرشيدي، ٢٠٠٩: ٨٢).

وتطوير الذات -أيضًا- هو: «ذلك النوع من النمو، والتقدم؛ الذي يخطط له الشخص بنفسه، وبمحض رغبته، وإرادته، بُغْيَةَ تحقيق أهداف محددة، وهو تغيير مستمرّ نحو الأفضل، وتجديد دائم يجعلك تشعر بالحياة» (الناطور، ٢٠١١: ١٦). فتطوير الذات موقف إيجابي رفيع، تجاه النفس، يهتم صاحبه بإبراز ما يملكه من مهاراته، وإمكاناته الشخصية، المتعلقة بالحياة العملية. في مقابل ذلك، فإن الغفلة، والإهمال في هذا الجانب؛ لا يحولان دون تقدم الإنسان، وتطور قدراته فحسب، لكنهما يهدران القائم من إمكاناته (فولي، ٢٠١٤).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن التعريف الإجرائي لتطوير الذات في هذه الدراسة هو: «سعي الفرد إلى الارتقاء بذاته، والوصول إلى أعلى مستويات النجاح في الدنيا، والآخرة».





المبحث الثاني:

أهمية تطوير الذات

المبحث الثاني

أهمية تطوير الذات

يعد العنصر البشري هو الركيزة الرئيسة في بنية المجتمع، ولهذا تولي مؤسسات المجتمع المدني، والحكومي عناية فائقة في تنمية الإنسان وتطويره فكريًا، وجسديًّا، ولم يعد خافيًا على أحد أن مقياس تقدم الأمم، وتحضرها؛ يقاس بما تمتلكه من طاقات بشرية مدربة تدريبًا عاليًا، وما يعود به ذلك على الفرد، والمؤسسة (المنظمة)، والمجتمع من مردود اقتصادي يساهم في الرفع من رفاهيته، ورفع مستويات المعيشة لدى أفراد المجتمع. ولهذا تولي المجتمعات المتقدمة عناية خاصة بالإنسان، كعنصر مهم في عجلة الاقتصاد الوطني لا يمكن تجاهله، أو التقليل من قيمته، بعكس المجتمعات المتخلفة؛ التي ترى في العنصر البشري عبئًا ثقيلًا على كاهل الدولة، والمجتمع بشكل عام. وتوضّح الآية الكريمة، في قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٢) عدم عبثية الكون، والإنسان؛ إذ يجب أن تكون هناك أهداف عُليا لخلقه من جهة وجوده، وأهداف أخرى لتحقيق، وتجسيد ذلك الوجود عمليًا. فكما يقول المدرسي (٢٠٠٨) أن الآية الكريمة تحاور البشر، مقررة وجود هدف، وغاية وجودهم في هذه الحياة، ومخاطبةً إياهم في استحالة أن تكون حياتهم الدنيا بلا هدف. وأن الله تعالى أجلّ من أن يخلق الإنسان بلا هدف، خصوصًا إذا تأملنا في أنظمة الوجود، فإننا نجدها جميعًا تخدم وجود البشر، لذلك خلقت لأداء وظيفة محددة.

وهنا ندرك حكمة الله تعالى وهو جل جلاله يحدد الأهداف الأساسية لوجود الكون والإنسان، وهدف تجسيد ذلك الوجود بالطاعة في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦). والعبادة في الإسلام بمفهومها الحركي، الديناميكي، تخرج عن مجرد الالتزام بأركان الدين المعروفة، من صلاة، وصيام، وحج، وزكاة...إلخ، إلى آفاق أوسع مدى، وأكثر رحابة من المعهود، إذا اقترنت بالنية الخالصة لله. فالعمل الجاد المثمر...عبادة، والجد، والاجتهاد في تحصيل العلم...عبادة، وأخذ النفس بكل وسائل التدريب، والتطوير...عبادة. فبهذا المفهوم نستطيع فهم مضمون الآية الكريمة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦) وصولًا إلى الذات العليا؛ المعطاءة، المتسامحة، الخيرة...إلخ.

وتكمن أهمية تطوير الذات في كونها عملية تُعنى بالنفس البشرية، وصولًا إلى أعلى درجات الكمال، وتسعى لإطلاق الطاقات الكامنة في النفس، وإتقان المهارات. كما أنها تتيح فرصًا إيجابية عديدة تمكّن الفرد من مواجهة الضغوط والتحديات، والانتقال إلى حياة متغيرة ملؤها النجاح والسعادة.

كما تسهم برامج تطوير الذات بشكل عام -إذا ما أُحسن بناؤها وتقديمها- في تحقيق أهداف الفرد في الحياة، من خلال تعميق البعد الإيماني «الروحي» لديه، وتطوير شخصيته، وتعزيز الدافعية الذاتية لديه (الزبيدي؛ وكاظم، ٢٠٠٦)؛ و(Kaur, 2013)؛ و (Kulshrestha & Singal, 2017).

تعميق البُعد الإيماني «الروحي»

لعل من أهم الدوافع النفسية لدى الإنسان؛ دافع التديُّنِ، وهو دافع نفسي ذو أسس فطرية راسخة في طبيعة التكوين البشري؛ ولعل هذا هو السبب الذي دفع بالإنسان في كافة العصور إلى محاولة البحث عن خالق هذا الكون، وعبادته، والالتجاء إليه، والاحتماء به كلما تأزّمت المواقف، واشتدَّت الخطوب. وفي قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٣٠) إشارة إلى أن طبيعة تكوين الإنسان تحتوي على استعداد فطري لمعرفة الله تعالى والإقرار بربوبيته.

فكلما ازداد الإنسان إيمانًا، ازداد الوازع الداخلي لديه، المتمثل في حساسيته المرهفة ومشاعره المميزة أزاء الأفعال التي يقوم بها؛ فيساعده هذا الوازع الداخلي على اختيار السلوك الذي يوصله إلى طاعة الله ورضاه، ويجنبه الانزلاق في أنواع السلوك الذي يجرفه بعيدًا عن هذا الهدف. وهذا ليس كل الأمر، فالإنسان الذي يصل إلى هذا المستوى، ويقيم وازعًا داخليًا، ورقيبًا ذاتيًا على أفعاله، وتصرفاته، يكون في حقيقة الأمر قد بنى وازعًا خارجيًا -أيضًا- فعندما يُعرف إنسان ما بقوة الإيمان، وتشير كل أفعاله وتصرفاته إلى ذلك؛ فإن كل من يعرفه من الناس الذين حوله يتوقعون منه أن يكون «تقيًّا» في كل سلوكه، ويضعون مستويات معينة من السلوك لهذا الفرد. كذلك فإنهم لا يرون منه إلا ما ينسجم مع هذه التوقعات، وإذا حدث أن ظهر منه سلوك مخالف لما تعودوا أن يروه منه، أبدوا استغرابهم لذلك، وهؤلاء الأشخاص يكونون بمثابة واقيات خارجية تراقب سلوك هذا الفرد، وتقومه إذا حدث له اعوجاج؛ وعليه فإن قوة الإيمان لدى الفرد بهذه الخاصية تجمع بين الدافعية الداخلية، والخارجية، مما يجعلها تتميز عن كافة أنواع الدوافع الأخرى (علاونة، ١٩٩٣).

وبيّن عبد المتجلي (١٩٩٩) أن الإسلام يدعو إلى تطوير الذات، من خلال دعوته إلى العزة والكرامة والسمو من حال إلى حال؛ فعن طريقه يخرج الإنسان من قيد النفس الأمارة بالسوء، التي تنقاد لغرائزها العمياء، إلى ساحة النفس المسؤولة، التي تستطيع التمييز بين الخير، والشر، وتقدر النتائج، وتدرك العواقب. ومن النفس المسؤولة يهاجر الإنسان إلى النفس اللوامة، وهي النفس التي يسميها علماء النفس بـ (الذات العليا) ويطلق عليها علماء الإسلام (الضمير). والضمير هو الذي يتولى سؤال النفس ومحاسبتها، وهو الذي يعطيها الأوامر، ويصدر الأحكام، ويحاسبها على الأعمال، كما يحاسبها على النيات. فهو بمثابة (المراقب) على العلاقة بين (النفس الأمارة بالسوء) و(النفس المسؤولة). وهذه الهجرة إنْ صَاحَبَهَا الإيمانُ الثابت، واليقين القوي، والعزم المتين، والعمل الدائب، والجهاد المستمر، والصدق مع الله، والتوبة النصوح؛ فإن النفس البشرية ستصل -بإذن الله- إلى حالة من السمو، تعمّها السكينة والهدوء، وتشملها الرحمة، وتزداد إيمانًا مع إيمانها. وفي هذه الحالة تكون النفس مطمئنة بذكر الله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨) وهذه المرتبة يسميها القرآن «النفس المطمئنة»؛ وهي المرتبة السامية التي لم تسْمُ إليها معارف علماء النفس المحدثين؛ لأنها فوق تصور العلماء، والباحثين، وفيها يقول تعالى:﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً* فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر: ٢٧-٣٠). فليس أكمل، ولا أكثر استقرارًا، أو اطمئنانًا...من أن ترجع هذه النفس المطمئنة إلى باريها، وخالقها؛ راضية عن ربها، برضاها عن قضائه، وقدره، وفي الوقت نفسه مرضيًا عنها؛ جزاء رضاها عن ربها، ولنا أن نتصور أي نعيم يجلل مثل هذه النفس، وأي حياة، وأي عطاءٍ من كانت نفسه على هذه الشاكلة، التي صنعها ربها على عينه!!

ويشرح قطب (٢٠٠٣، ٣٩٠٧/٣٠)، ﴿النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ بأنها: «المطمئنة إلى ربّها، والمطمئنة إلى طريقها، والمطمئنة إلى قدر الله بها، والمطمئنة في السراء والضراء، وفي البسط والقبض، وفي المنح والعطاء. والمطمئنة فلا ترتاب، والمطمئنة فلا تنحرف، والمطمئنة فلا ترتاع يوم الهول الرهيب» إنه فسيفساء النعيم، والجمال الدنيوي الذي لا شقاء معه؛ إنه النعيم المستقر في أعماق النفس المؤمنة، التي خالط الإيمان كل ذرة من ذراتها، والتي شاركت الكون كله في خضوعه، واستسلامه لخالقه، والذي تعجز كل النظريات الأرضية عن صناعته بهذه الكيفية، وهذه الفرادة، وهذا التميز، وأخيرًا... بهذا الرضى عن الرب أولًا، ثم عن الذات ثانيًا!!

فمـن أراد الوصـول إلى «النفـس المطمئنـة»، تلـك المرتبـة السـامية، ويبلـغ الـذروة العاليـة، وينعـم بالنفـس المطمئنـة الهانئـة؛ فليشـمر عـن سـاعد الجـد، ويواصـل الكفـاح والكـدّ، ويبـذل أقـصى طاقـات الجهـد، ويتحمـل المشـقات، وينبـذ الشـهوات، ويسـتعين بفاطـر الأرض والسـماوات.

وتظهـر -أيضًـا- أهميّـة تطويـر الـذات، في الحريـة المطلقـة للنفـس البشريـة في اتخـاذ القـرار؛ أن تكـون إيجابيًـا، فتتقـدم نحـو الخـير؛ نحـو السـعادة...أو أن تكـون سـلبيًّا فتتأخـر، وتتراجـع، وتنكـص عـلى عقبيـك فمـن لا يتقـدّم؛ فسـيتأخر حتـمًا. يقـول تعـالى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۝ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر: ٣٧-٣٨). يقـول قطـب (٢٠٠٣، ٢٩/ ٣٧٦): أن الآيـة تعلـن تبَعَـة كل نفـس لذاتهـا، وعـلى النفـوس أن تختـار طريقهـا، ومصيرهـا، وأنهـا مأخـوذة بمـا تكسـبه باختيارهـا، مرهونـة بأعمالهـا وأوزارهـا؛ فـكل فـرد يحمـل هـمَّ نفسـه، وتبعتهـا، ويضـع نفسـه حيـث شـاء أن يضعهـا، يتقـدّم بهـا أو يتأخـر، يكرمهـا أو يهينهـا. فهـي رهينـة بمـا تكسـب، مقيـدة بمـا تفعـل.

كـما تسـهم عمليـة تطويـر الـذات في إعـادة تشـكيل شـخصية الإنسـان، والشـعور بأهميتـه، واستشـعار دوره المهـم في الحيـاة؛ فالوعـي بالـذّات مـن أهـم منطلقـات فاعليّـة الفـرد، وتسـاعد في تقييـم خبراتـه، وخـبرات الآخريـن، وتغيـير العـادات القديمـة، وتطويـر عـادات جديـدة عوضًـا عنهـا (الكيـلاني، ٢٠٠٥).

إن تنميـة، واكتسـاب أي معلومـة، أو سـلوك أو مهـارة، والمداومـة عـلى ذلـك؛ يجعـل الإنسـان يشـعر بالرّضـا والسـلام الداخـلي، ويركّـز عـلى أهدافـه في الحيـاة، والتمكـن مـن تحقيقهـا، ويواجـه التحديـات، والعوائـق التـي تمنعـه مـن تحقيـق أهدافـه، ويُجيـد التعامـل مـع ضغـوط الحيـاة؛ إذ يواجـه الفـرد في حياتـه كثـيرًا مـن التحديـات سـواء الداخليـة؛ كالفقـر، والمـرض، والمحسـوبية، والفسـاد المؤسسـاتي بكافـة صـوره، وأشـكاله. أو الخارجيـة كالعولمـة، والغـزو الثقـافي. وأصبحـت هـذه التحديـات خطـرًا يهـدده، ويؤثـر عـلى مسـيرة حياتـه. فمـن خـلال الحـرص عـلى تطويـر الـذات؛ يسـتطيع التحصُّـن بسـياج منيـع لمواجهـة تلـك التحديـات، والتعامـل معهـا بثبـات وذكاء. ومـن هنـا يسـعى تطويـر الـذات إلى التجديـد، والإبـداع، وابتـكار حلـول للمشـكلات، والتحديـات التـي تواجـه الفـرد، أو جهـة عملـه، بطـرقٍ منهجيـة توفـر الوقـت والجهـد والتكلفـة (الـصرن، ٢٠٠١). ولـن يسـتطيع الإنسـان مواجهـة كل تلـك التحديـات؛ الخارجيـة منهـا، أو الداخليـة إلا مـن خـلال امتـلاك، وبنـاء شـخصية مـن طـراز معـين، شـخصية واعيـة، متوازنـة، متصالحـة مـع نفسـها أولًا، ثـم مـع مـن حولهـا مـن مفـردات البيئـة بشـكل عـام، سـواء كانـت إنسـانًا، أو شـجرًا، أو حجـرًا،

أو حيوانًا، فالذات المتحضرة، الراقية هي من تملك القدرة على التعايش، والتعامل مع كل مفردات الحياة؛ جامدها ومتحركها، صامتها وناطقها، جاهلها وعاقلها، فمن كانت تلك صفاته فقد حقق مهارات النجاح بشكل ما من أشكاله.

وتطوير الذات يُعدّ الوسيلة الأهم لتحقيق النجاح، في تنفيذ الخطط المرسومة للوصول إلى الأهداف العامة. فلا ريب أنّ أساس تطور المجتمعات، هو تطور الأفراد فيها، وأساس كل ذلك هو العمل على إكتساب المهارات التي تؤدي إلى نهوض الأفراد، وتطوير ذواتهم، وبالتالي ينعكس ذلك على المجتمع ككل، فيصبح المجتمع متطورًا وفاعلًا. وإذا استطعنا أن نشيع في أمة الإسلام ثقافة تطوير الذات؛ فإننا نكون قد أوجدنا الأساس الضروري لتفعيل الطاقات الإسلامية الهائلة، والكامنة في الوقت ذاته (بكار، ٢٠٠٩).



المبحث الثالث:

السعادة الحقيقية
ثمرة الإيمان بالله تعالى

المبحث الثالث

السعادة الحقيقية ثمرة الإيمان بالله تعالى

إن الهدف الأسمى من تطوير الذات؛ هو تحقيق النجاح والسعادة، لكن ثمة حقيقة حول «السعادة» ومكامنها لابُدّ من بيانها؛ فالناس متفاوتون في فهم السعادة، فمنهم مثلًا من يراها في جمع الأموال، ومنهم من يراها في الحصول على أرقى الشهادات، وأنْدَر التخصُّصات، ومنهم من يرى السعادة في تسلُّم مناصب عُليا وهكذا.

وكما يقول الفضلي (٢٠١٧) فإن بعض الناس يتوهّم أن السعادة في جمع الأموال؛ فالواقع يؤكد أن كثيرًا من أرباب المال، وأصحاب الثروات يعيشون في شقاء، وتعاسة دائمة؛ لأنهم يتعبون في جمع المال وحفظه، واستثماره، والقلق والخوف من فوات هذا المال وزواله، فيكون المال وبالًا على صاحبه وسببًا لتعاسته. فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {تَعِسَ عبدُ الدِّينارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وإنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ} (البخاري، ح:٢٨٨٧). وبعضهم يظن أن السعادة في العقل والذكاء، وهذا يخالف ما هو واقع ومُشَاهد من حال كثير من الناس، فكم من شخص ألمعيّ عبقري يعيش في ضيق نفسي، بل يصل الحال ببعضهم إلى الانتحار -كما في بلاد الغرب- هروبًا من واقعهم. بل إن الأمن والأمان مع صحة البدن، ولقمة تسدُّ الرمق؛ هي من أعظم أسباب السعادة، كما قال صلى الله عليه وسلم: {مَن أصبحَ مِنكُم آمِنًا في سِرْبِه، مُعافًى في جسَدِهِ، عندَهُ قُوتُ يَومِه، فَكَأنَّما حِيزَتْ له الدُّنْيا} (الترمذي، ح: ٢٣٤٦) .

ولقد انشغل المفكرون منذ القدم، بالبحث عن ماهية السعادة؛ فقدَّموا أطروحات متباينة، إلّا أن الرؤية القرآنية للسعادة تتمحور حول مفهوم «الحياة الطيبة»؛ وهنا، لابُدّ من وقفة مع السعادة الحقيقية المتمثلة في الحياة الطيبة، بما تتضمنه من طمأنينة في النفس، ورضىً بقضاء الله وعطائه. وهذا كله يجمعه قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧)؛ فالحياة الطيبة عنوان النجاح؛ لأن المقصود من الأشياء نفعها، ولا يرجى من النجاح إلّا السعادة وطيب الحياة. وفي قوله تعالى: ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى﴾ فقيل من ذكر أو أنثى على التبيين، ليعمَّ الموعد النوعين جميعًا حياة طيبة يعني في الدنيا وهو الظاهر؛ وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح

موسرًا كان أو معسرًا، يعيش عيشًا طيبًا؛ إن كان موسرًا فلا مقال فيه، وإن كان معسرًا فمعهُ ما يطيب عيشه؛ وهو القناعة والرِّضا بقسمة الله. وقيل: هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه (الزمخشري، ٢٠٠٩).

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ وعدٌ بخيرات الدُّنيا، وأعظمها الرضى بما قسَمَ لهم، وحسَّنَ أملهم بالعاقبة والصحة والعافية، وعزة الإسلام في نفوسهم، وهذا مقام دقيق تتفاوت فيه الأحوال على تفاوت سرائر النفوس، ويعطي الله فيه عباده المؤمنين على مراتب هِمَمِهم وآمالهم، ومن راقب نفسه رأى شواهد هذا (ابن عاشور، ١٩٨٤). وهو -أيضًا- كما بيَّنهُ السعدي (٢٠٠١) أنه وعدٌ لمن آمن وعمل صالحًا بطمأنينة القلب، وسكون النفس، وعدم التفاتها لما يشوش القلب، فيرزق الله المؤمن رزقًا حلالًا طيبًا من حيث لا يحتسب.

فالإنسان بدون الإيمان العميق بالله جل جلاله ليُصاب بأشدِّ أنواع التمزُّق والحيرة، ويعيش أشدَّ حالات البؤس والظلام، وإن رفَلَ في النعيم الدنيوي؛ فالنعيم الدنيوي دون إيمان لا يُغذِّي الروح، ولا يُقنع العقل، ولا يُطمئن على المسير الطويل.

إن كثيرًا ممنْ في الغرب رغم ما يرفلون فيه من نعيم دنيوي، تزداد فيهم حالات الانتحار، وإدمان المخدرات، والإحساس بالتفاهة، والعبثية وقسوة الحياة يومًا بعد يوم؛ لأنهم يفتقدون الإيمان، فلا سعادة، ولا راحة نفسية، ولا طمأنينة دون الإيمان بالله تعالى (هيئة تحرير التوعية الإسلامية، ١٩٨٥).

فالحياة الدنيا جميلة من روعة الإيمان، ورائعة بارتباطها بالخالق؛ فحينما يعيش الإنسان فيها مسيئاً لا يرتبط بمنهج الحق، لا تنفعه الدنيا بأسرها، ولو كانت له وحده. قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (الرعد: ١٨)؛ فيتجنَّى المرءُ على الدنيا حينما ينظر لها نظرة الرفض، أو يتعلق بها تعلق الخلود، فيجب ألا يتقوقع على نفسه، ويثيرها لله حضارةً وعلمًا وإبداعًا وتقوى (أرشيد، ٢٠٠٦).

فالسعادة شيء يشعر به الإنسان بين جوانحه، في صفاء نفس وطمأنينة قلب، وانشراح صدر، وراحة ضمير، جاءت كلها ثمرة الإيمان والعلاقة الحقة بين العبد وربه؛ هذه هي السعادة الحقيقية التي شعر بنشوتها أحد المؤمنين الصالحين فقال: «إننا نعيش في سعادة لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف». وقال آخر وهو ثمل بهذه السعادة الروحية التي تغمر جوانبه: «إنه لتمُرُّ عليّ ساعات أقول فيها: لو أن

أهل الجنة في مثل ما أنا فيه الآن لكانوا إذًا في عيش طيب». هؤلاء وأمثالهم ممن رُزقوا نعمة الإيمان الحق وتلذَّذوا به؛ يسخرون من التحديات، وإن برِقت ورعدت، ويبتسمون للحياة وإن كشرت عن أنيابها، ويفلسفون الألم ليصبح عندهم نعمة تستحق الشكر (أحمد، ١٩٩٣).

ولكن، ما هو كُنه هذا الإيمان بالله، الذي يقلب حياة الإنسان رأسًا على عقب؟!! ما هو جوهره، وما حقيقته؟!!. وهل هو مجرد النطق باللسان؟. لا شك أن الإيمان بالله لا يعني -فقط- مجرد التلفظ باللسان، لأن الإيمان لم يقتصر -فقط- على الجوارح، بل لا بد أن يخالطه النية، والنية محلها القلب، والقلب يعني أن يستقر ذلك الإيمان، ويهدأ، حتى يخالط كل ذرة من ذرات الإنسان. وإذًا، هل هو مجرد الإقرار بوجود الله ﷻ كلا. فهذا الإقرار هو -أيضًا- من أفعال الجوارح، ولا يعد ترجمانًا حقيقيًا للإيمان الذي محله القلب، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فقد أقر كفار قريش بهذا النوع من الإيمان؛ وهو توحيد الربوبية، وقد جاء في القرآن الكريم وفي عدد من آياته، يقول الله:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (العنكبوت:٦١)

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٣)

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (لقمان: ٢٥)

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ...﴾ (الزمر: ٣٨)

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (الزخرف: ٨٧)

إذًا، ما هي حقيقة هذا الإيمان الذي يجلب السعادة، والراحة، إنه الإيمان الجازم، الذي لا يتزعزع، والثابت ثبات الراسيات... بأسمائه ﷻ وصفاته، فإذا حصل الإيمان بأن الله سميع، عليم، بصير، قادر، لا تأخذه سنة، ولا نوم، إذا أعطى، فلحكمة، وإذا منع؛ فلحكمة، النافع؛ لحكمة، الضار؛ لحكمة، لا معقب لما يشاء، وكل شيء عنده بمقدار... إذا قرَّ ذلك كله في داخل النفس البشرية؛ زال الحسد، وذهب الغل، والحقد، وانتفى القلق من المجهول، فلا وجود لكل منغصات الحياة...فلا ضغط، ولا سكري، ولا جلطات دماغية، أو قلبية، ولا انتحار لأمر قد قدره الله عليك لحكمة بالغة لا يعلمها إلا هو

سبحانه، وشعار المسلم في هذا المشهد العظيم هو قوله عليه الصلاة والسلام: {يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ} (الترمذي، ح: 2516).

فأية سعادة ترتجى بعد هذه السعادة؟ وأية تنمية تنتظر بعد هذه التنمية، وأي تطوير يرتجى بعد هذا التطوير الرباني، إنه الله...خالقنا، ومربينا، وهو العليم بما يصلح أحوالنا: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤)

أمَّا حقيقة نجاح الكفَّار والعصاة؛ فما ذاك بنجاح، وإنما هو متاع، واستمتاع فيه من ضنك الحياة، وقلق البال، واضطراب النفس، وتوتر الأعصاب ما يُذهب مقصود النجاح ونفعه؛ فالصورة صورة النجاح، والجوهر فشلٌ وضياع (الفقيه، ٢٠١٤)، في هذا يقول الحق تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طه: ١٢٤). إنه الاستدراج، لقوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٢)، فالغنى، والمال، للكافر استدراج لا كرامة، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ (الزخرف: ٣٣)، فأية سعادة زائلة، وزائفة هذه، أية سعادة يكون عاقبتها عذاب السعير. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: {إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ} (أحمد، ح: ١٧٣١١).

وبتتبع آيات القرآن الكريم التي تحدّثت عن جزاء المؤمنين؛ بهدف بيان بعض معالم تلك الحياة الطيّبة التي يحياها المؤمن في الدنيا، فقد توصلت إلى ثلاثة محاور رئيسة تتمثل من خلالها الحياة الطيبة للمؤمن في الدنيا؛ وهي:

- **الحياة الطيبة في علاقته مع ربه.**
- **الحياة الطيبة في علاقته مع نفسه.**
- **الحياة الطيبة في علاقته مع الناس.**

فمن معالم الحياة الطيبة للمؤمن في علاقته مع ربه جل جلاله أنه يعيش الحبّ، والرضا، والمعية، ويتولى الله أمره، ويُحبَّب إليه الإيمان،

ويُرزق الهداية، والنظر بنور الله لحقائق الأشياء، وتُقبل توبته، ويُغفر له، ويُعطى نصيبين من رحمة الله، ونورًا ومغفرة. وفي الجدول (٢،١) الآتي توضيح للآيات الدالة على تلك المعالم.

جدول (٢،١)

من معالم الحياة الطيبة للمؤمن في علاقته مع ربه جلّ جلاله.

الحياة الطيبة للمؤمن في علاقته مع ربّه جلّ جلاله	
حُبُّ الله	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (المائدة: ٥٤)
رضا الله	﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (التوبة: ١٠٠)
معيّة الله	﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ١٩)
ولاية الله	﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (البقرة: ٢٥٧)
حُبُّ الإيمان	﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات:٧)
الهداية	﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الحج: ٥٤)
قبول التوبة والمغفرة	﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (الأحزاب: ٧٣) ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ (المائدة: ٩)
الرحمة والنور	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الحديد: ٢٨)
النظر بنور الله لحقائق الأشياء	﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ (القصص: ٨٠)

أما من معالم الحياة الطيبة التي يحياها المؤمن في علاقته مع نفسه؛ أنه يحقق الاستخلاف في الأرض، والعزة والعلو والرفعة، والرزق الكريم، والخير والبركات، والطمأنينة والسكينة، والانتفاع بالقرآن، والنجاة من الغمّ، وصلاح البال، وصلاح الأبناء وحفظهم، والصبر والثبات، وابتعاد الشيطان عنه. وفي الجدول (٢،٢) الآتي توضيح لتلك المعالم الدالة على ذلك.

جدول (٢،٢)

من معالم الحياة الطيبة للمؤمن في علاقته مع نفسه

الحياة الطيبة للمؤمن في علاقته مع نفسه	
الاستخلاف والتمكين والأمان	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ (النور: ٥٥)
العـــزَّة	﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون: ٨)
الـــرِّفعة	﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١)
الرزق الكريم	﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الحج: ٥٠)
البركـــات	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الاعراف: ٩٦)
الشفـــــاء	﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٥٧)
النجاة من الغم	﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ١٠٣)
صلاح البال	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ (محمد: ٢)
صلاح الذرية	﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (الكهف: ٨٢)
الصبر والثبات	﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (التغابن: ١١)
ابتعاد الشيطان	﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (النحل: ٩٩)

وأما من معالم الحياة الطيبة التي يحياها المؤمن في علاقته مع الناس؛ أنه ينال من الله حُبَّهم وودّهم، ويهديه لطيب القول معهم، ويدافع الله عنه، وينصره. وفي الجدول (٢،٣) الآتي توضيح لتلك المعالم.

جدول (٢,٣)

من معالم الحياة الطيبة للمؤمن في علاقته مع الناس.

الحياة الطيبة للمؤمن في علاقته مع النـــاس	
ودّ النــاس	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (مريم: ٩٦)
الهداية لطيّب القول	﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ (الحج: ٢٤)
دفع كل ذي شـرّ	﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الحج: ٣٨)
النصر على الأعداء	﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: ٤٧)

فالإيمان مفهوم شرعي متكاملٌ عميق؛ يستهدف الإنسانية برمَّتها ليرتقي بها. فلا تسمو هذه الإنسانية بالقُوى المادية فحسب؛ رغم أهميتها وعناية الإسلام بها، وإنما يجب أن يقترن معيار التفوق الإنساني ويُوجَّه من قِبل ما هو أعظم منها، ذاك الأصل الذي يحدد شخصية الإنسان ويبرز معالمه، ويضبط حركاته وسكناته، ألا وهو الإيمان الكامل (الغندور،٢٠١١).

والسعادة -قبل كل شيء- إحساس نابعٌ من داخل النفس، وبهذا الاحساس يتكيَّف خط مسار الحياة، فلذلك تختلف النفوس، فما يُسعد إنسانًا قد لا يرضى به آخر. غير أن هناك حقيقة مشتركة لا يصح إغفالها، هي أن أسلوب حياة كل إنسان رهن بمزيج من صحته، وتكوينه العقلي، وطبعه الشخصي، وعاداته وغرائزه، والقدرة على التوفيق بين هذا كله في اتزان واعتدال بتوجيه عقيدة سليمة (البوهي، ١٩٨١).

إن السبب وراء الشقاء في الحياة، يرجع إلى أمر واحد هو فقدان الإيمان؛ هذا خلاصة ما جاء في التحقيق الصحفي الذي نشره رئيس تحرير مجلة «روزا اليوسف» الذي يحمل عنوان «أهل الجنة ليسوا سعداء»، ويقصد الكاتب بأهل الجنة هم سكان السويد، الذين يعيشون في مستوى اقتصادي يشبه الأحلام، ولا يكاد يوجد في حياتهم خوف من فقر، أو بطالة، أو كارثة من كوارث الحياة. و الدولة قدمت لهم ضمانات غطّتْ كل أوجه الحياة، ولم تدع ثغرة إلّا سدَّتها، ومع ذلك فإن الناس يحيَوْن حياة قلقة مضطربة يملأها الضيق، والتوتر، والشكوى، واليأس، ويلجأ الآلاف منهم للانتحار لما يعانونه من عذاب نفسي أليم (أحمد، ١٩٩٣). ولعل ما يحدث في السويد، ودول شمال أوروبا الإسكندنافية -من غياب المنهج الرباني، وتغييب الدين من حياة الناس- هو نموذج مصغر لكل المجتمعات الغربية التي أقصت الجانب الديني من حياتها، ولغياب الشعار؛ الأيقونة: (اعلم يا ابن آدم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما

أخطأك لم يكن ليصيبك...) هذا الشعار، بل هذا الحصن الحصين، الواقي من الصدمات الحياتية، وما أكثرها، وما أشد تأثيرها...إن غياب هذا الشعار من حياة الناس أوصلهم إلى ما أوصلهم إليه من نكد الحياة، وجفافها، وقسوتها: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طه: ١٢٤). باختصار شديد: إنها مقدمات منحرفة، أفضت إلى نتائج كارثية، ومدمرة.

وعلى أية حال، يمكننا القول أن السعادة هي ثمرة تحقيق الإنسان لأمانة وجوده، مع الاستمتاع بالعافية، والنجاح، ولا يتم ذلك بغير خُلُق متين، وطبع رشيد، بغير عائق، أو مكدِّرات، وقد تكفَّل خالق النفس أن يهديها سبيلها، إذا التزمت فطرتها. قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (النحل: ٩٧)، ولقد فجّر الإيمان في قلب الإنسان ينابيع للسعادة، لا يمكن أن تغيض، ولا أن تتحقق السعادة بغيرها. تلك هي ينابيع السعادة، والسكينة والأمن والأمل والرضا.

فمن الطبيعي أن يكون الإيمان بالله هو أصل العقيدة وبابها الأكبر؛ فمنه تنبعث كل ألوان الإيمان الأخرى، التي لا يستقيم إيمان الإنسان إلّا بها. لكنها هي لا تستقيم بغير الإيمان بالله، والإيمان بالله هو إيمان بالغيب؛ ولذلك كان أول وصف للمؤمنين في مفتتح سورة البقرة، في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة: ٣) والإيمان حركة، والإيمان طاقة؛ حركة تجيش في القلب فتحرّكهُ بوجدانات شتى، وتبعث فيه انفعالات حيّة متدافعة لا تسكن ولا تهمد ولا تموت. وطاقة تنفجر في محيط النفس كلها، فتحرّك فيها أدقّ ذراتها، فتلمس آثارها في داخل النفس وخارجها، عملًا وسلوكًا، وأفكارًا ومشاعر، كما تلمس الآلة المغناطيسية، والكهربية في الآلة الدائرة، والمصباح (قطب، ١٩٧٤، ٢٣/٩).

والمؤمن بالله الواحد جل جلاله هو المطمئن الوحيد في هذه الحياة؛ لإنه يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليُصيبه. إنه معلَّق الوجدان بالله جل جلاله فقد استراح عقله من التخبّط والحيرة، حين قدَّم له منهج الإسلام الواضح البيّن؛ التصوّر الكامل، والأجوبة المحكمة المقنعة، ورفَعَهُ عن سواد اليأس، وظلمات الجهل؛ فالمؤمن بالله جل جلاله يعرف الغاية التي لأجلها خُلق، وكيف يحققها، والمصير الذي ينتظره، وكيف يجعلهُ بإذن ربّه مصيرًا سعيدًا (هيئة تحرير التوعية الإسلامية، ١٩٨٥).

إن القلب إما أن يمتلئ حبًا لله جل جلاله أو أن يمتلئ حبًّا للدنيا، لذلك قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان، وجعل قلبه سليمًا من كل مرض؛ كالكِبْر، والعُجب، والاستعلاء، والغيبة، والنميمة، وحُب الذات وكلها أمراض مُهلكة (النابلسي، ٢٠١٦).

وكلها من أعظم أسباب النجاح في تربية النفس، وترويضها، أو إن شئت بمصطلح العصر؛ فهي من أعظم أسباب التنمية البشرية، التي يقود صاحبها نحو الفلاح، والسعادة!! وما انهارت البشرية في أخلاقها إلا عندما تلاشى الحس الإيماني في ضميرها، تحت ذرائع لا تثبت أمام الواقع النكد الذي تعيشه في شتى مناحي الحياة، وعندما صدق عليهم إبليس الإنس ظنه، وزين لهم مقولة (الدين أفيون الشعوب)!!.

ويشير إيمونز (Emmons,2000) أنه كلما ازداد الإنسان قوة إيمانية، وعظمت صلته بالله جل جلاله تسمو اهتماماته، وأهدافه، وسلوكاته، لتصبح أبعد من الأمور المادية، ويزداد وعيه بذاته، وبالمعتقدات، والقضايا الخاصة بالحياة، والموت، والأهداف الكامنة وراء وجود الإنسان. فيقبل على أعماله وأفعاله من أجل إرضاء الله، وتصبح أهدافه في الحياة مقدسة، تعكس صفاء السلوك، وتجعله قادرًا على التكيف الاجتماعي، وحل المشكلات، والتخطيط الفعال. كما أن تلك القوة -الإيمانية- تساعده في إيجاد حلول للمشكلات التي يواجهها في المجالات المختلفة، وأن تعزيز الإيمان وزيادته يعين الفرد على الاستقامة والفضيلة.

وأشارت دراسة الأعصاب التي قام بها راماشاندران «Ramachandran» إلى وجود «منطقة الإله» (God Spot) في مركز الروحانية، والموجود في الوصلات العصبية، داخل الفصوص الصدغية للدماغ؛ وتضيء (منطقة الإله) عند الحديث مع الأفراد عن موضوعات روحانية (Zohar & Marshall, 2000). وفي هذا السياق يؤكد سعيد الشربيني الخبير في علم اللغة الكوني، في مقابلة تلفزيونية، أن قسم اللغة العربية في لندن، قد امتلك جهازًا يَعدُّ أصوات الكلمات، حيث تظهر على الشاشة عدد أصوات الكلمة بمجرد النطق بها، فلما أرادوا عد أصوات كلمة (الله) بدأ الجهاز في العد فسجل أربعة أصوات قبل الوصول إلى صوت الهاء، فلما نطق المتحدث بالهاء واكتملت الكلمة فإذا بالجهاز يكتب الرقم (واحد) بدل الرقم (خمسة)، فأسلم أحد أعضاء الفريق فورًا!!

ويؤكد يالجن (١٩٨٥) أن الجانب الإيماني ضروري لتحقيق السعادة التي يسعى الفرد إليها، وحاجة أساسية بل أهم احتياجاته؛ وحدد أربعة جوانب رئيسة لتعزيز الإيمان لدى الفرد على النحو الآتي:

- التأمل في صفات الله: التأمل في دقة صنعه وعظمته، وإبداع خلقه، وعلمه وقدرته؛ فكلما زاد الفرد تأملًا وتفكرًا وعلمًا، ازداد خشية وخشوعًا وإجلالًا لله جل جلاله ونسي عالمه وهمومه، ومشكلاته الدنيوية. وهذا مصداق قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢١). وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: ١٩١)

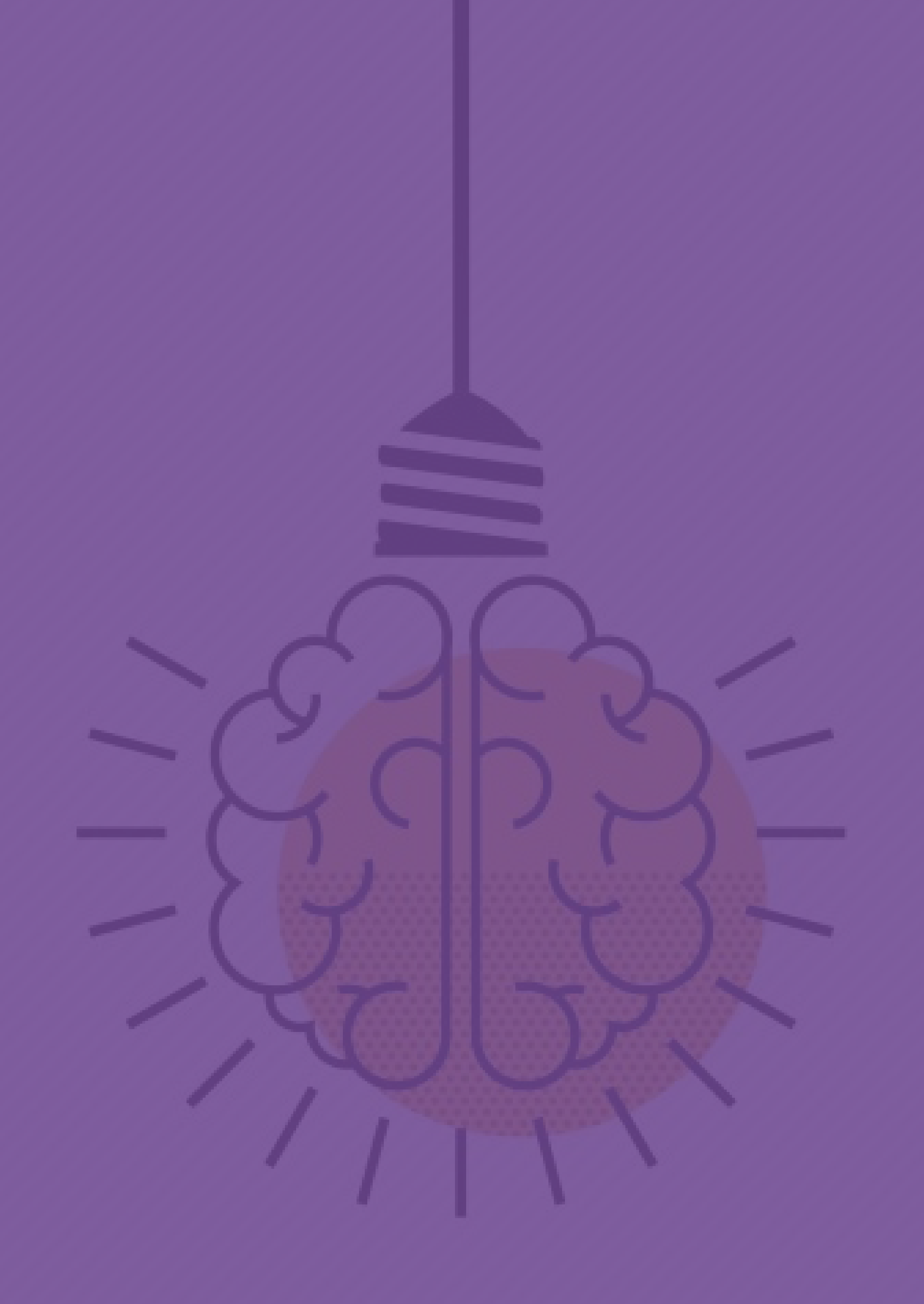
- أداء العبادات المفروضة: كالصلاة والصوم وغيرها؛ فهي غذاء الروح، وبها يتصل الفرد بربه، وتعد مصدر قوّته، خاصة عندما تكون خالصة لله وحده، شاكرًا لله على عظيم نعمه التي لا تعد ولا تحصى.

- حياة الفضيلة والاستغراق في أعمال الخير: والمسارعة في فعل الخيرات، والمداومة عليها، والابتعاد عن الرذائل، والمساوئ ظاهرًا وباطنًا.

- الدعاء والذكر: الالتجاء إلى الله في السراء والضراء، يزيد الفرد من ربه قربًا وأنسًا.

والإسلام لا يرسم للمؤمن سبيل الإيمان السليم فحسب؛ بل يهديه صراط الله المستقيم ويجعله الأكثر سعادة، وقوة، وراحة نفسية، وطمأنينة في هذه الدنيا، ويملأ وقته بجلائل الأعمال، والحسنات، والخيرات، حتى يمتزج بالخير، ويمتزج الخير به (هيئة تحرير التوعية الإسلامية، ١٩٨٥).

إنّ نعمة الإيمان بحق من أعظم نِعَمِ الله؛ فالإيمان هو القضية المصيرية التي ينبغي للإنسان أن يهتم بها، وهو السعادة الأبدية، وثمار الإيمان الحقّ، أكثر من أن تحصى، وأصل تلك الثمار الحياة الطيبة في الدنيا والمساكن الطيبة في جنات عدْنٍ في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (الصف: ١٢) وكانت لهم جنات الفردوس نزلًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۞ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ (الكهف: ١٠٧-١٠٨).





المبحث الرابع:

تطوير الذات...
وعلاقته بالتفاسير القرآنية

المبحث الرابع

تطوير الذات... وعلاقته بالتفاسير القرآنية

لقد دعا القرآن الكريم إلى تطوير الذات، وتنميتها، فقد جاء ذلك في آيات عديدة، سيما ما يتعلق منها بالتغيير نحو الأفضل، وتزكية النفس، التي تعدُّ من أهم صور تطوير الذات، كما أشار إلى ذلك الخطيب (٢٠١٠)، وفولي (٢٠١٤).

أ. تطوير الذَّات وعلاقته بالتغـــيير الإيجابي

التغيُّر، والتغيير سُنةٌ كونية، وإرادة إلهيَّة، فطبيعة الحياة في تقلُّب، وتبدُّل، وتغير، وتلوُّن. فالمتأمِّل في الكون، وفي طبيعته، ومناخه، وأحواله... يجد أن الحال لا تدوم فيه على واحدة، وكذلك سُنَّة التغيُّر في الإنسان. وهذا يعني أن كل المخلوقات في هذا الكون الفسيح؛ مفطورة على القابلية، والاستعداد للتغيير؛ وفقًا لما يستجد من متغيرات، وتحولات كونية، وإنسانية، وحضارية. غير أن هذا التغيير -لكي يسير في وجهه الصحيح ويؤتي ثمارًا خيِّرة لصالح الإنسانية، والأجيال المتلاحقة - يستدعي وعيًا ذاتيًا، والتزامًا حقيقيًّا بأسباب، واشتراطات هذا التغيير (الخطيب، ٢٠١٠).

إنَّ دائرة مدلول التغيير واسعة، تشمل كل أشكال التحويل، والتبديل؛ فمثلًا: ما يحدث بفعل تجديد ما يبلى، فهذا تجديد، ومنه ما هو تطوير لما هو موجود، ومنه ما هو مرحلي يتم تدريجيًا، ومنه ما هو مفاجئ. ومن التغيير ما يقتصر على التنقيح، ووجهة التغيير تحددها غالبًا قيم بعينها، فيكتسب التغيير مفهومًا معياريًا أخلاقيًا، وفي هذه الحالة، يكون التغيير إيجابيًا ومقبولًا (الدجاني، ١٩٩٥، ٢٠).

فحالة التبدّل والتغيّر أحدى أهم مظاهر الكون والحياة، التي تتجلى في عملية الحركة الدائبة والمستمرة؛ ويعدُّ التغيير الجذري سمة من سمات نهج القرآن الكريم، في علاج المشاكل من جذورها حلًا جذريًا بعيدًا عن التسكين والترقيع؛ يقول تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١)؛ قال ابن عاشور (١٩٨٤، ١٧٥) في بيان معنى ﴿مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ أي: ما استقرّ وعلق بهم. ثم قال: والمراد بهذا التغيير سببه وهو الشكر، بأن يبدلوه بالكفران؛ ذلك أنَّ الأمم تكون صالحة، ثم تتغير أحوالها ببطر النعم، فيعظم فسادها، فذلك تغيير ما كانوا عليه.

ويعقّب قطب في ظلاله، على الآية الكريمة أعلاه: «فإنَّ الله لا يغيِّرُ نعمةً أو بؤسًا، ولا يغيِّرُ عزًّا أو ذلَّةً، ولا يغيِّرُ مكانةً أو مهانةً؛ إلا أنْ يغيِّرَ النَّاسُ من مشاعرِهم، وأعمالِهم وواقعِ حياتِهم، فيغيِّر اللهُ ما بهم وِفْقَ ما صارت إليه نفوسُهم، وأعمالُهم. وإن كان اللهُ يعلم ما سيكون منهم قبل أنْ يكونَ، ولكن ما يقعُ عليهم يترتَّبُ على ما يكونُ منهم، ويجيءُ لاحقًا له في الزَّمانِ بالقياسِ إليهم» (قطب، ٢٠٠٣: ١٣/ ٢٠٤٩).

فالتغيير سُنّة من سنن الله تعالى في خلقه، وهو جزء من ابتلاء الله تعالى لعباده في هذه الحياة، فهو سبحانه يقلّبهم في أحوال من اليسر والعسر، والمنشط والمكره، لتتجلّى عبوديّة عباده له جل جلاله ملوّنة بالظروف التي يمرّون بها، وكيف يقاومون أهواءهم، ويستخدمون طاقاتهم وإمكاناتهم؛ فكم نحن بحاجة إلى التغيير، والتطوير. ومن الواضح أن العقل البشري لا يدرك الحقيقة دفعة واحدة، وإنما على سبيل التدرّج، لتصبح قضية التطوير من أكبر القضايا التي تشغل بال الإنسان في كل زمان ومكان. وفي التنمية البشرية، وتطوير الذات يُقصد بالتغيير دائمًا نحو الأحسن فالأحسن (بكار، ٢٠٠٥).

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإصلاح، والتغيير نحو الأفضل، معتمدًا على سنن الله في التغيير، ومتوكلًا عليه جل جلاله وقد تحمّل، ومعه أصحابه صنوفًا من العذاب، استطاع بعدها تحقيق تغيير جذري في حياة الأمة، صنعته عزيمة الإنسان وإرادته وفق المنهج الرباني؛ إذ لا بد لأن يحدث التغيير من قوة دافعة، ومحركة من الإنسان ذاته، وهو ما يعرف بالأخذ بالأسباب، بحيث يمتلك الإنسان ذاته عنصر المبادءة، وتحريك الساكن.

ويرى بكار (٢٠١٢، ٧) أنَّ «مسألةَ التَّغيير ليست من المسائلِ اليسيرة والسَّهلة؛ فهي تحتاجُ من البصيرةِ، والرُّؤيةِ على مقدارِ ما تحتاجُه من الإرادةِ والعزيمة»، وأن تغييرَ المعنويَّات، والقناعات، ليس بسهولةِ تغييرِ الماديَّات، إذْ يحتاجُ إلى مزيد من الصَّبرِ والمثابرة.

وموقف الإسلام من التغيير الإيجابي موقف محمود، بل إن الشريعة برمَّتها قائمة على تفعيل طاقات الإنسان النفسية، والعقلية، والبدنية، وتوجيهها وِجهَةً تُعطي الفرد، والجماعة أكبر قدر من الخير الديني، والدنيوي، وتتجنب قدر المستطاع السلبيات، والشرور الناجمة عن التفاعل، والاحتكاك مع الناس، بما فيهم من نوازع، وما يتبنونه من مواقف. ويمكن أن نَعدَّ «تطوير الذات» صورة مهمة لإيجابية الإنسان تجاه نفسه، أو أنها صورة لتنمية الذات المؤمنة، متكئة على الإسلام الحنيف وتعاليمه الراقية (فولي، ٢٠١٤).

فالتغيير نحو الأفضل، والأكمل، هو صورة من صور تطوير الذات. وللتغيير ركائز، وأساليب، ينبغي التنبُّه إليها، وإدراكها، ثم مراعاتها، وحسن التعامل معها. كما أنَّ

للتغيير الإيجابي عوائقَ قد تكون مادية؛ وفي هذا الحال قد لا تُشكِّل عثرةً كبيرةً أمام إصرار الإنسان على تطوير أوضاعه نحو الأفضل، لكن عائق التغيير الأقسى حينما يكون نفسيًا، وفكريًا محضًا. وحتى نرتقي في عملية التغيير نحو الأفضل، وتطوير ذواتنا من أجل النجاح في الحياة؛ لا بدَّ من فهم ركائز التطوير الذاتي، ومساراته، وتحدياته، وعقباته، وكيفية التعامل معها.

كما أن التغيير الإيجابي في الحياة الشخصية، والاجتماعية، أمرٌ مطلوبٌ، ويحتاج إلى مبادرة ذاتية، ويمكن تحقيقه بيسر وسهولة. فقد أوضح الله تعالى لنا معاييره، وأعطانا القدرة، والإرادة على الفعل لتحقيقه، بل إن الحياة جميعها اختبار لنا في قدرتنا على الفعل والوصول إلى الخيارات المناسبة واتباعها.

ب. تطوير الذَّات وعلاقته بتزكية النفس

تزكية النفس كما يقول ابن عاشور (١٩٨٤: ٤٩/٢) «تطهير النفس مشتقة من الزكاة وهي: النماء، وذلك لأن أصل خلقة النفوس كمالات، وطهارات، تعترضها أرجاس ناشئة عن ضلال وتضليل. فتهذيب النفوس وتقويمها يزيدها من ذلك الخير المودع فيها. قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۞ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (التين: ٤-٦)، وفي الحديث: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، ففي الإرشاد إلى الصلاح، والكمال نماء لما أودع الله في النفوس من الخير في الفطرة».

وفي تفسير المنار: «غاية الدين تزكية النفس بمعرفة الله وعبادته، وما شرعه من الأعمال والآداب، للفوز بسعادة الدارين» (رضا، ١٩٩٠، ٤٦١/٧).

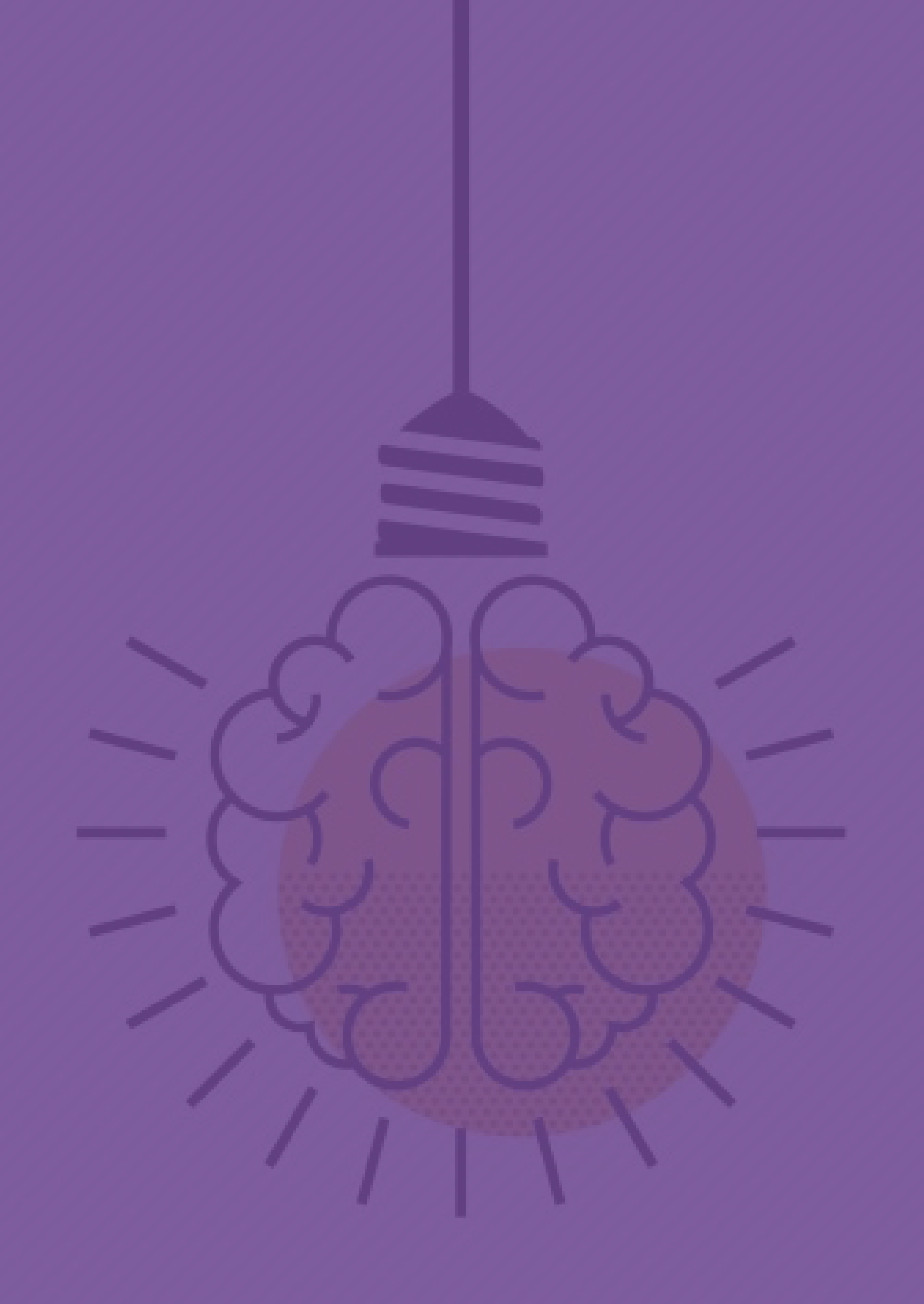
وتزكية النفس؛ «تطهيرها من أمراض، وآفات، وتحققها بمقامات، وتخلّقها بأسماء، وصفات، فالتزكية في النهاية تطهُّر، وتحقُّق، وتخلُّق»(حوى، ٢٠٠٤: ٣).

ويقول (الخطيب، ٢٠١٠): أن مفهوم التزكية يقابله مفهوم «التدسية» القائم على «الخفاء» و«الإغواء» و«الإفساد» للنفس، بما يستوجب لها الخيبة في الدنيا، والخسران في الآخرة. ويجتمع ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ٧-١٠).

وفي مقام الحديث عن «تطوير الذات»، يُقصد بتزكية النفس: «توظيف تعاليم الإسلام وتشريعاته في الارتقاء بالنفس، وتطهيرها من العوائق التي تعرقل مسيرتها في الحياة؛ مرتبطة بالله تعالى خالق الوجود وبمنهجه العظيم». فقد وردت في القرآن الكريم «التزكية» بمعناها الإيجابي، باعتبارها مهمة من مهمات النبوة الأساسية، التي

يقوم بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم في أمته. ثم من يخلفه من علماء المسلمين وصالحيهم-أكثر من مرة- منها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (آل عمران: ١٦٤)، فالتزكية هنا: التطهير، لكن يقوم بها مربٍّ ومعلمٌ، وليست من أعمال الإنسان الذاتية تجاه نفسه (فولي، ٢٠١٤).

أما المعنى الذي تقوم عليه التزكية في الدراسة الحالية، فنجده في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ (طه: ٧٦). وقال تعالى: ﴿وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (فاطر: ١٨)، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (الأعلى: ١٤)؛ فإن الله تعالى ما جعل الفلاح لمن زكى نفسه، إلا لأنه أمرٌ عظيم، وبحصوله للعبد، يتم له كل خير عميم. فتزكية النفس تعني إصلاح الظواهر، والبواطن، والتقرب إلى الله بطيب المقاصد، وحسن السرائر. فتكون على الطريق بسلوك الصراط المستقيم؛ فالمؤمن يسعى لتزكية نفسه بتنقية قلبه من كل مرض؛ مرض الشهوات، ومرض الشبهات، والرياء، والنفاق، والعجب، والتكبُّر، والحسد، والغلّ، وحبّ المعاصي وأهلها. والمؤمن يزكي نفسه كذلك بتزيين قلبه بالإيمان، ومراقبة الله تعالى وإرادة الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. فالتزكية؛ منهجٌ إسلامي أصيل، وفريد، وقيمة مركزية في تطوير الذات، وفق منهج القرآن الكريم، ووفق منهج الله في أمره، ونهيه.





المبحث الخامس:

القُرآن الكريم...
المصدر الأساس لتطوير الذات

المبحث الخامس

القُرآن الكريم... المصدر الأساس لتطوير الذات

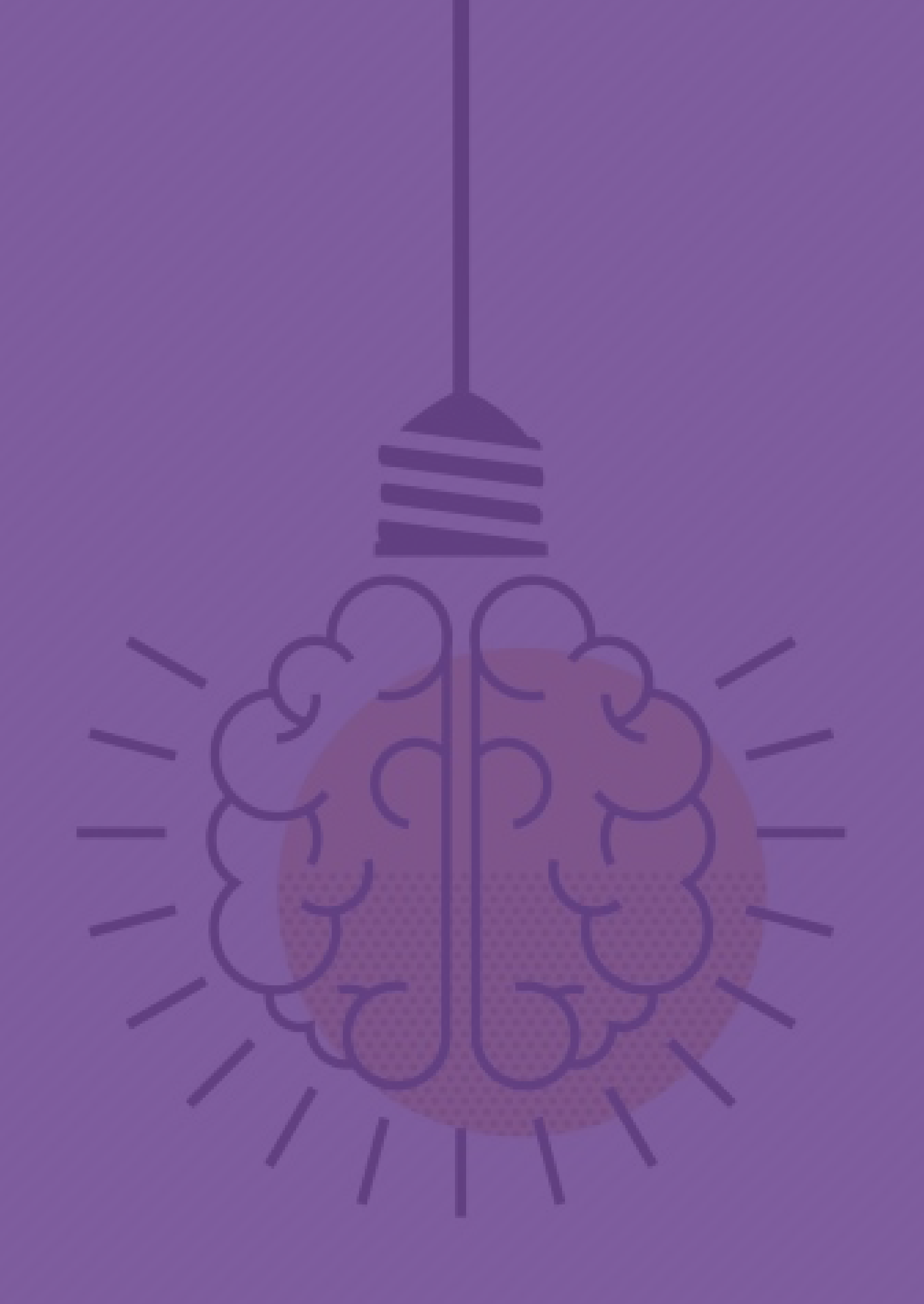
لمَّا كان تطوير الذات، وتحقيق النجاح والسعادة في الحياة، مطلب جميع الناس على اختلاف أجناسهم وتوجهاتهم؛ فقد كان لزامًا علينا معرفة مصدره الأساس، وكيفية تحصيله، حتى لا يضِلُّ ناشدها. ولمَّا كان كتاب الله تعالى هو الهادي، وفيه سعادة الدارين، لمن تمسك به قولًا وعملًا؛ كان البحث في سُوَره وآياته، ومعرفة حكَمِه التي ذكرها الله تعالى فيه، أقصر الطرق لمعرفة حقيقة النجاح المفضي إلى السعادة في الدنيا والآخرة (الفضلي، ٢٠١٧). ولعل مما تتميز به الفلسفة الإسلامية، في نظرتها للسعادة، والنجاح؛ أنه النجاح المنضبط بضوابط الأخلاق الإنسانية، التي تتماشى مع الفطرة التي فطر الناس عليها، فلا يكون النجاح والسعادة على حساب سعادة الآخرين، ونجاحهم، ولا تكون السعادة بالاعتداء على حقوق الآخرين، وحرياتهم، ودمائهم، وأعراضهم...، كما لا يجب أن تكون السعادة مجزوءة، منقوصة، تمثل ما توافق عليه المجتمع من أسباب السعادة فقط!! ولا بأس أن تتحقق السعادة من خلال ما يتوافق عليه المجتمع، ولكن انطلاقًا من مجموعة القيم، والأخلاق المنبثقة عن الدين الإسلامي، فليس كل ما تتوافق عليه المجتمعات كان صوابًا، وإلا انطبق علينا قول الحق سبحانه: ﴿...إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٢٢).

ولكي تكون الرؤية لتطوير الذات رؤية متكاملة، تسعى إلى تحقيق النجاح الحقيقي في الحياة؛ يجب أن تنطلق من منهج متكامل، لا عوج فيه، ولا نقص. وما ذلك إلا في كتاب الله العظيم؛ فإذا كان القرآن الكريم مصدر التشريع الأول لأحكام الإسلام، وأخلاقه، فإن السنَّة النبوية قد تبوأت منزلة عظيمة في الإسلام، فبالإضافة لكونها التطبيق العملي للقرآن المجيد، فهي -أيضًا- تكشف غوامضَه، وتشرَح ألفاظه، وتوضِّح مُبهمَه، وتزيل إشكاله، وتمثِّل التطبيق العملي الكامل لهذا الكتاب العظيم (السباعي، ١٩٨٢). قال صلى الله عليه وسلم: {إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي}(الحاكم، ح: ٣١٩).

يقول قطب (١٩٧٤، ٢١-٢٢) إن كتاب الله هو مصنع الإيمان الذي تُستمدّ منه القوى -وهو يعرّف الناس بالله- يوقع على أوتار فطرية في القلب البشري، تلك

الأوتار التي أودعها الله لتتلقى إيقاعات الكون والحياة والوجود، لتهتز بكلام الله وآيه فتستيقظ، ويحرّكها فتنفعل. وفي لحظة انفعالها يقول لها إنه الله، ثم يقول لها: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾(الأنعام: ١٠٢)؛ لكن الحس البشري ليتبلّد على المنظر المكرّر والتجربة المكرّرة، فلا تعود تهزّه كما هزّته أول مرة. من هنا تفقد دلالتها، فلا تعطي توقيعها الصحيح على أوتار القلب البشري؛ لأن هذا القلب قد «ران» عليه فلا يستجيب. وهنا يأتي القرآن بطريقته الفذّة، فيمسح تلك القشرة الصلدة التي رانت على الحس فتبلّد، ورانت على القلب فلم يعد يستجيب. ولكأنما حين يزيل تلك القشرة يصل إلى العصب الحيّ، فيطلق له شحنة فيتلقاها بكاملها كأنما يتلقاها أول مرة، فيهتزّ لها اهتزاز التجربة الجديدة، وينفعل بها كمن يعيشها أول مرة. وحين يبلغ اهتزاز القلب ذروته يقول له: إنه الله، إنه الله الخالق المبدع المصوّر، إنه الله الرزاق، إنه الله المحيي، المميت، إنه الله مدبّر الكون كلّه بكل ما فيه، إنه الله عالم الغيب والشهادة الذي لا يُعجز قدرته شيء.

ويتميَّز بناء منهجية عملية لتطوير الذات من القرآن الكريم بخصائص عدة قادته إلى جوهر التكامل، هي ذات الخصائص، والسمات التي تميزت بها الشريعة الإسلامية بجميع جوانبها وموضوعاتها.





المبحث السادس:

خصائص ومميزات تطوير الذات وفق منهج القرآن الكريم

المبحث السادس

خصائص ومميزات تطوير الذات وفق منهج القرآن الكريم

إنَّ لتطوير الذات وفق منهج القرآن الكريم، مميزات وخصائص استمدّها من خصائص الشريعة الإسلامية، التي جعلت منه منهجًا متكاملًا. ومن أهم الخصائص والمميزات كما ذكرها كل من قطب (١٩٩٣)؛ وسابق (١٩٨٨)؛ وعبد المتجلي (١٩٩٩)؛ والسويدان وباشراحيل (٢٠٠٩)؛ والكمالي (٢٠١٣)؛ هي: الربانية، والشمولية، والتوازن، والثبات، والإنسانية، والإلزام، والتواصل والتتابع.

أ. الربانيّة

إن الدعوة إلى الله، وتقويم النفوس وتهذيبها؛ لا يكون إلا بكتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. قال تعالى:﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (ق: ٤٥). وقد اشتمل القرآن الكريم على عدد هائل من النماذج السلوكية، والتطبيقات العملية، في كيفية التصرف في مختلف نواحي الحياة ومواقفها، تحت مختلف الضغوط، والظروف النفسية والاجتماعية(رشدي،٢٠٠٩).

والقرآن الكريم لما يتضمنه من مبادئ وقيم وخصائص وتوجيهات ربانيّة؛ جعلته منهجًا متكاملًا لتطوير الذات، وتحقيق الغايات، قادرًا على معالجة كافة المشكلات الإنسانية في شتى مناحي الحياة علاجًا حكيمًا، في الجوانب الروحية، والعقلية والبدنية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية؛ لأنه تنزيل الحكيم الحميد، الذي وضع لكل مشكلة بلسمها الشافي في أسس عامة، تترسم الإنسانية خطاها، وتبني عليها في كل عصر ما يلائمها، فأثبتَ بذلك صلاحيته لكل زمان ومكان.

يقول الشعراوي (١٩٩١): لأنه جل جلاله ربّ كل شيء وربّ النفس البشرية، فقد وصف مراحلها وصفًا حكيمًا، ووضح معالمها توضيحًا دقيقًا، وبيّن وسائل اجتيازها، وأعان السالكين فيها على بلوغ غايتها، لمن أراد الإدراك النبيل. وقد جعل الله في النفس الإنسانية نفسًا لوامة ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة: ٢)، ونفسًا تأمر بالسوء ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ

بِالسُّوءِ﴾ (يوسف: ٥٣)، ونفسًا مطمئنة ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (الفجر: ٢٧). فإن مهمة النفس اللوامة؛ أن ترد على كل ما توسوس به النفس الأمَّارة بالسوء. لكن إن لم تُلَم النفس اللوَّامة، فالنفس الآمرة بالسوء تتمادى، ولا يردعها رادع. ومثال ذلك: الإنسان الذي تلح عليه شهوته لارتكاب معصية ما، فيرتكبها، ومن بعد ذلك يندم ويلوم نفسه، ويتوب عن المعصية، هذا الإنسان يردع نفسه ذاتيًا. لكن إن سيطرت النفس الأمارة بالسوء فلا رادع. أما النفس المطمئنة؛ فهي النفس التي تطمئن إلى منهج الله.

وتتواتر آيات القرآن الكريم نحو تأكيد طبيعة الوجود وغايته، فهي تنفي في أكثر من موضع أن يكون هذا الوجود قد جاء حدوثه صدفة عارضة، أو عبثًا بغير قصد، ولغير غاية؛ بل على النقيض من ذلك، تشير إلى أن الله تعالى أوجد الوجود في أحسنِ وأكمل هيئة وصورة، قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ (السجدة: ٧)، وهو -عز وجل- من بعد إحسان الخلق لم يترك الوجود هملًا، إنما يتعهده بالرعاية والتربية، وبهذا يلهج المسلم بالمناجاة في كل وقت: ﴿الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الفاتحة: ٢). فالرب مشتق من التربية، وهو المالك المتصرِّف للإصلاح. ومن هنا كانت ربوبيته مطلقة شاملة كاملة لا تغيب عن الوجود لحظة. فالصلة بين الخالق والخلائق دائمة، وممتدة في كل وقت وحال، فالوجود جميعه يتجه إلى رب واحد، له السيادة المطلقة عليه، وهو يتعهده بالرعاية الدائمة غير المنقطعة.

ب. الشمولية

من سمات تطوير الذات وفق منهج القرآن الكريم؛ الإحاطة والشمول. ذلك لأنه من عند الله الذي قد أحاط بكل شيء علمًا. قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩). أورد ابن كثير (١٩٩٨: ٥٩٤) في تفسير هذه الآية عن ابن مسعود قوله: «في القرآن كل علم وكل شيء»، فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خَبر ما سبق وعِلم ما سيأتي، وكل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم.

وقال ابن عاشور (١٩٨٤، ٢٠٤/١٣) في تفسير الآية ذاتها: «إن القرآن أنزله الله تعالى كتابًا لعلاج أمر الناس كافة، رحمة لهم لتبليغهم مراد الله منهم، فكان المقصد الأعلى منه؛ صلاح الأحوال الفردية والجماعية والعمرانية. فالصلاح الفردي يعتمد تهذيب النفس وتزكيتها، ورأس الأمر فيه صلاح الاعتقاد، لأن الاعتقاد مصدر الآداب والتفكير. ثم صلاح السريرة الخاصة، وهي العبادات الظاهرة كالصلاة، والباطنة كالتخلق بترك الحسد، والحقد، والكبر. أما الصلاح الجماعي فيحصل أولًا من الصلاح الفردي، إذ أن

الأفراد أجزاء المجتمع، ولا يصلح الكل إلا بصلاح أجزائه؛ وهو ضبط تصرف الناس بعضهم مع بعض، على وجه يعصمهم من مزاحمة الشهوات ومواثبة القوى النفسانية، وهذا هو علم المعاملات، أو ما يُعرف بالسياسة المدنية. وأما الصلاح العمراني؛ فهو أوسع من ذلك؛ إذ هو حفظ نظام العالم الإسلامي، وضبط تصرف الجماعات والأقاليم بعضهم مع بعض، على وجه يحفظ مصالح الجميع، ويرَعى المصالح الكُليَّة الإسلامية، وحفظ المصلحة الجامعة عند معارضة المصلحة القاصرة لها، ويسمى هذا بعلم العمران وعلم الاجتماع».

لذا فالشمولية تشمل «الإنسان والكون والحياة، على أن يُنظر للإنسان باعتباره روحًا وعقلًا وجسدًا وعاطفة. وكذا تشمل علاقة حياته العامة والخاصة، كجزء من المجتمع، فتشمل الدنيا والآخرة» (السويدان، وباشراحيل،٢٠٠٩: ٥٣).

إنّ تطوير الذات وفق منهج القرآن الكريم تطوير متكامل؛ كما يذكر قطب (١٩٦٢، ١٠٧) أنه مبني على الوحدة الشاملة، وحدة الخالق، ووحدة حقيقة الكون، ووحدة الكائنات، ووحدة النوع الإنساني، ووحدة توجهه في العبادة، ووحدة مصدر التلقي عن الإله الواحد. ومنها يتوجه الإنسان فطريًا ليتعامل مع الحياة وحركتها؛ على أنها سلسلة من العبادة المتلاحقة لله رب العالمين.

فالشريعة الإسلامية أوسع نطاقًا لتطوير الذات من كافة الرؤى الوضعية؛ إذ الشريعة الإسلامية لا تهتمّ بالمظهر فحسب، بل بالمظهر الذي ينفذ إلى السرائر، فتقيس تصرفات الفرد بمعيار مزدوج، أولهما: معيار ظاهري يتناول التصرف في مظهره وأثره، وثانيهما: معيار باطني يتغلغل في خفايا النفس؛ ليكشف دوافع السلوك (الزلمي؛ والبكري، ٢٠٠٦: ٤٢).

ج. التوازن

مبدأ التوازن من المبادئ التي اعتمدت عليها الشريعة الإسلامية، وتميزت بها عن سائر الأُطر، والمناهج الوضعية، والمبادئ الاجتماعية. وهناك كثير من الأمثلة في كتاب الله، وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم تفرض حدّ التوازن في حركة الإنسان، كما فرضته في حركة الوجود والكون، وفي أسس وكليّات النظام الإسلامي، ليعمّ التوازن في كل جزء أو مفصل على مستوى النظرية والتطبيق، مستوعبة مفاهيمًا كثيرة كالتوازن بين الحقوق والواجبات، وبين مصالح الفرد والجماعة، وبين العبادة والعمل. جاء في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ (الجمعة: ١٠)؛ ففي

هـذه الآيـة يلحـظ التـوازن بـين الجانـب الروحـي «العبـادة» والجانـب المـادي «الكسـب» لديمومـة حيـاة الإنسـان وتلبيـة مطلبـه الاقتصـادي. وعنـد تأمـل الآيـة نقـف عـلى حقيقـة أن التـوازن ليـس دعـوى في القـرآن؛ بـل هـو أمـرٌ واجـبُ التحقيـق في الحيـاة بدليـل الفعـل ﴿فَانْتَـشِرُوا﴾ وهـو دعـوة لكسـب العيـش بعـد الصـلاة (الكـمالي، ٢٠١٣ : ٢٣٠).

لقـد جـاءت الشريعـة الإسـلامية خالـدة عـلى الدهـر، باقيـة عـلى الزمـن، وافيـة لحاجـات الأمـة في نظامهـا العِبـادي، والفـردي، والخُلُقـي، والاجتماعـي، والاقتصـادي، والسـياسي... عندمـا اشـتملت عـلى أسـمى مـا عرفتـه البشريـة مـن أحـكام ومبـادئ كالمسـاواة، والحريـة، والشـورى، والعدالـة، والرحمـة، والتعـاون، والتكافـل، والتسـامح... شريعـة مؤسسـة عـلى الفضائـل والآداب، فـلا فصـل فيهـا بـين القاعـدة القانونيـة والقاعـدة الأخلاقيـة؛ وقـد تفـرع عـن هـذه الميـزة (سـابق، ١٩٨٨):

- نظرية سوء استعمال الحق، وأصلها قوله صلى الله عليه وسلم: {لا ضرر ولا ضرار}.

- نظريـة الـضرورة، وأصلهـا في قولـه تعـالى: ﴿وَمَـا لَكُـمْ أَلَّا تَأْكُلُـوا مِـمَّا ذُكِـرَ اسْـمُ اللَّـهِ عَلَيْـهِ وَقَـدْ فَصَّـلَ لَكُـمْ مَـا حَـرَّمَ عَلَيْكُـمْ إِلَّا مَـا اضْطُرِرْتُـمْ إِلَيْـهِ﴾ (الأنعام: ١١٩).

-نظريـة الظـروف الطارئـة؛ أي مراعـاة الأعـذار، حيـث تكـون قـوة قاهـرة لا دخـل لإرادة الإنسـان فيها.

- حماية الضعيف من استغلال القوي في ميدان الاقتصاد، وهذا أساس تحريم الربا والاحتكار.

فمـن يُصـدِّق أن في الشريعـة انفصامًـا بـين الديـن والدنيـا!؟ واللـه تعـالى يقـول: ﴿قُـلْ مَـنْ حَـرَّمَ زِينَـةَ اللَّـهِ الَّتِـي أَخْـرَجَ لِعِبَـادِهِ وَالطَّيِّبَـاتِ مِـنَ الـرِّزْقِ قُـلْ هِـيَ لِلَّذِيـنَ آمَنُـوا فِي الْحَيَـاةِ الدُّنْيَـا خَالِصَـةً يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ﴾ (الأعراف: ٣٢)، ثـم أَلَـم تتنـاول الشريعـة عقـد البيـع وعقـد الإيجـارة والمضاربـة والرهـن، وجميـع عقـود الـشركات والـزواج والطـلاق والمواريـث، وهـذه كلهـا معامـلات دنيويـة.

فالقـرآن يهـدي للتـي هـي أقـوم في ضبـط التـوازن بـين ظاهـر الإنسـان وباطنـه، وبـين مشـاعره وسـلوكه، وبـين عقيدتـه وعملـه. يهـدي للتـي هـي أقـوم في الموازنـة بـين التكاليـف والطاقـة، وفي علاقـات النـاس بعضهـم ببعض(المقبـل، ٢٠١٢). قـال تعـالى: ﴿إِنَّ هَـذَا الْقُـرْآنَ يَهْـدِي لِلَّتِـي هِـيَ أَقْـوَمُ﴾ (الإسراء: ٩).

د. الثبات

إن القيم والمفاهيم الإسلامية والقرآنية ثابتة لسماويتها؛ فمضامين التنمية البشرية وتطوير الذات ثابتة -أيضًا- بفعل ثبات الموازين والمعايير القرآنية. قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود: ١)؛ فإحكام آيات الله كان وراء حفاظ الرسالة الإسلامية على هويتها، ووجودها، فلا تذوب وسط الثقافات والحضارات الأُخرى، وأنّ هذا الثبات لا يعني الجمود أو التخلف أو محاربة كل جديد، بل حركة منضبطة؛ والإسلام دين يدعو للتطور ومواكبة الجديد، في ظل ثوابت العقيدة وقيمها الخالدة (السويدان وباشراحيل، ٢٠٠٩: ٥٩).

فلماذا لا تتبدَّل سنة الله ولا تتحوَّل؟ حيث يقول تعالى: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (فاطر: ٤٣)؛ لأن الله تعالى أولًا ليس عنده بِداء، و-أيضًا- لأنه سبحانه إله واحد، لا ثاني له، ولا شريك له، فلا أحدَ يستدرك عليه، أو يُغير فعله (الشعراوي:١٩٩١).

ويقول قطب (٢٠٠٣) في قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ (الروم: ٣٠) ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ اتجه إليه مستقيمًا؛ فهذا الدين هو العاصم من الأهواء المتفرقة التي لا تستند على حق، ولا تُستمد من علم، إنما تتبع الشهوات والنزوات بغير ضابط ولا دليل. ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ مستقيمًا وفق منهجه دون سواه، مائلًا عن كل ما عداه ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾؛ وبهذا يربط بين فطرة النفس البشرية وطبيعة هذا الدين، وكلاهما من صنع الله، وكلاهما موافق لناموس الوجود، وكلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته واتجاهه. والله الذي خلق القلب البشري، هو الذي أنزل إليه هذا الدين ليحكمه، ويصرِّفه ويقومه من الانحراف. وهو أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير. فالفطرة ثابتة والدين ثابت لا تبديل لخلق الله. فإذا انحرفت النفوس عن الفطرة لم يردَّها إليها إلا هذا الدين المتناسق مع الفطرة، فطرة البشر، وفطرة الوجود. ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون؛ فيتبعون أهواءهم بغير علم ويضلون عن الطريق المستقيم.

ومن عظمة هذه الشريعة أن أحكامها القطعية لا تقبل التغيير، وأنها تعتمد على المقاصد والنوايا وهي تنظِّم الدين والدنيا. والاجتهاد الذي قرَّرته الشريعة كفيلٌ بجعلها مسايرة لكل تطور ووافية بحاجات الأمم في كل العصور. والشريعة الإسلامية في الوقت ذاته مرنة تتسع لكل ما فيه رحمة وعدل ومصلحة، فحيثما توجد المصالح فثمّ شرع الله (سابق، ١٩٨٨). قال تعالى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ

﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٦).

هـ. الإنسانية (العالمية)

يقول صاحب المنار (رضا،١٩٩٠)، في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٨)، هذا خطاب عام لجميع البشر من العرب والعجم، وجَّههُ إليهم محمد بن عبد الله النبي العربي الهاشمي، بأمر الله تعالى ينبئهم به أنه رسول الله تعالى إليهم كافة، ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سبأ: ٢٨) وقوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ (الأنعام: ١٩) أي وأنذر به كل من بلغه من الثقلين، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)؛ يشمل عقلاء الجن. وفي هذا المعنى أحاديث صحيحة ناطقة باختصاصه صلى الله عليه وسلم لرسالة العامة، كحديث جابر في الصحيحين وغيرهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {أُعطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أحَدٌ قَبْلِي...منها: وكانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خاصَّةً وبُعِثْتُ إلى النّاسِ عامَّةً} وفي رواية (كافَّة) (البخاري: ح:٣٣٥؛ مسلم: ح:٥٢١).

إنّ مطلب عالمية القرآن والرسالة السماوية الإسلامية مطلب مسلّم به؛ لكثرة ما ورد من آيات بينات بهذا الخصوص. فعالمية القرآن وإنسانيته ستكون دافعًا لترجمة فعاليات التنمية البشرية وتطوير الذات، التي تُعدّ عالمية -أيضًا- فعلى الرغم من خصوصية أفكار المنهج الإسلامي، وتنمية الذات المرتبطة بها، إلّا أنها كانت إنسانية بخطابها، على أساس أن الإنسان موضوعٌ لها (الكمالي،٢٠١٣، ٢٤٣)؛ فهي تنظر إلى الإنسان باعتباره خليفة الله في الأرض، فتهدف إلى الوصول بالإنسان إلى مرتبة الكمال (الطيطي وآخرون، ٢٠٠٩، ٢١). من هنا، فإن فكرة تطوير الذات وفق منهج القرآن الكريم هي فكرةٌ إنسانيّة عالميَّة تناسب الأطياف كافة، في كل زمان ومكان.

و. الإلزام

تعامل القرآن الكريم مع المفردات المرتبطة بتطوير الذات وتزكية النفس على أساس اللزوم، وعدّ تركها أو مخالفتها وفق مقتضى المفهوم أمرًا مذمومًا يصل إلى درجة الحُرمة. قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ٣)، ووفق هذا الأساس كانت الشريعة الإسلامية تفعّل مبدأ الثواب والعقاب، أو مبدأ الترغيب والترهيب، الذي يُعدّ حافزًا حقيقيًّا ودافعًا فعّالًا

للتنمية البشرية وتطوير الذات (الزملي والبكري، ٢٠٠٦).

وبهذا فإننا وفق منهج القرآن الكريم، يمكن أنْ نضيف لتطوير الذات؛ خاصيّة الإلزام والامتثال بضوابط ومقاييس، لا تتعدى الأدلة الشرعية الواردة في القرآن الكريم، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف النظريات الوضعية التي يظهر فيها التخبّط بوضوح بين مجتمع وآخر وبين فترة زمنية وأخرى، بحيث تتباين في المفهوم والمنهج والوظائف والأدوات.

ز. التواصل والتتابع

استطاع القرآن الكريم أن يصور لنا حقيقة هذا التواصل والتتابع، بين الدار الدنيا والآخرة، من خلال بناء الإنسان؛ القادر على العطاء والانتاج والتطور، وذلك بقراءة المشهد الآخروي الذي سوف يترك أثره على طبيعة حركة الإنسان وسعيه وطبيعة آماله وتطلعاته في هذه الحياة الدنيا. قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (القصص: ٦٠). وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (البقرة: ٣٦)؛ فإن تتابع نتائج التنمية البشرية وتطوير الذات؛ الذي ينم عن «النجاح والسعادة» في الدارين الدنيوي والأخروي، يعطي حافزًا ودافعًا إضافيًا للإنسان لمواصلة جهده نحو تطوير ذاته، بزيادة إيمانه أولًا الذي يحقق له الحياة الطيبة والنفس المطمئنة، والتي لا تتوقف عند حدّ عالم الدنيا ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص: ٧٧). والإنسان فيها لا يتقاعس في عمله لكبر سنه، أو لقرب أجله، أو لعارض ما، لإيمانه بأن الدنيا حقًا مزرعة الآخرة، على عكس الدراسات الوضعية والمادية الغربية التي قيّدت تطوير الذات بعالم محدود ضيق (الكمالي، ٢٠١٣: ٢٤٨).

فالترابط بين النجاح في الدارين، كترابط الروح بالجسد، لا يمكن أن يُتصوَّر وجود أحدهما إلّا بوجود الآخر. وهذه حقيقة قررها الإسلام في مواضع كثيرة في القرآن الكريم؛ فلا يوجد باحث عن النجاح يريد نجاحًا لذاته مجردًا من نفعه وثماره؛ إذ المقصود من الأشياء نفعها لا ذاتها. والنجاح لا يمكن أن يكون له نفع، إلّا مع الإيمان، والعمل الصالح، وبحسب إيمان العبد يكون نجاحه في الدنيا والآخرة؛ فإذا كان إيمانه تامًا كان نجاحه في الدارين تامًا، وإذا كان ناقصًا نقص نجاحه بحسب ما في إيمانه من نقص (الفقيه، ٢٠١٤).



المبحث السابع:

تطوير الذات وعلاقته بالمفاهيم المعاصرة

المبحث السابع

تطوير الذات وعلاقته بالمفاهيم المعاصرة

تشترك العلوم الإنسانية في موضوعها الذي يتركز على «الإنسان»، هدفها الأسمى الذي يتلخّص في الارتقاء بالفرد والمجتمع نحو الوجود الإنساني الأفضل. من بين تلك العلوم، والمفاهيم المعاصرة: علم النفس الإيجابي، والتنمية البشرية، والبرمجة اللغوية العصبية NLP، كما أشار إلى ذلك (العدل: ٢٠٠٨)، و(Corballis 2012) ، وخليل (٢٠١٣)، والشرماني (٢٠١٦). في الفقرات الآتية مناقشة لتلك العلاقات.

أ. تطوير الذات وعلاقته بعلم النفس الإيجابي

يعد علم النفس الإيجابي -الذي وضعه سليجمان Seligman- حسبما تعرفه الجمعية النفسية الأمريكية؛ بأنه: «فرع من فروع علم النفس، يركز على تحسين الأداء العقلي للبشر، والبحث عمّا يجعل الإنسان أكثر سعادة، وكيف يمكن للفرد أن يعيش حياة مُرضية، إذْ يهدف إلى فهم وتعزيز العوامل التي تتيح للأفراد، والمجتمعات السعادة، والازدهار، وذلك من خلال تحديد مواطن القوة، واستخدامها وتنميتها للوصول للصحة النفسية الطبيعية» (Compton, 2005).

وهذا يعني أن علم النفس الإيجابي يهدف إلى استيعاب المفاهيم التي تعزز الإيجابية، مثل «السعادة»، ويسعى إلى الاهتمام بالقدرات الشخصية المتعددة، كالصلابة النفسية، والارتقاء بالإنسان، واستكشاف ما إذا كان من الممكن تطوير التدخلات التي تزيد من المشاعر الإيجابية، وتساعد الإنسان على العيش في المستويات العالية من السعادة، والإحساس أكثر بالعواطف الإيجابية (الشرماني، ٢٠١٦).

ويهتمّ علم النفس الإيجابي بتناول متغيرات إيجابية مثل: السعادة، وجودة الحياة، والنجاح وغيرها، التي قد تساعد الأفراد على مواجهة تحديات العصر، بعدما لوحظ إغفال علماء النفس للمتغيرات الإيجابية، وتركيزهم على المتغيرات السلبية في الشخصية كالقلق، والاكتئاب، والتوتر (عبدالخالق وآخرون،٢٠٠٣).

ويشير عثمان (٢٠٠٦) إلى أنه مع تقدم الحياة، وتعقدها؛ فقد أصبح هناك حاجة لبناء شخصية تكون أقدر على مواجهة الضغوط، والمتطلبات، والصعوبات التي تعتري

الإنسان. من هنا ظهرت الحاجة الماسة لعلم النفس الإيجابي؛ الذي يحاول الإجابة عن تساؤلات عدة، لما يعتري الإنسان من مشاعر أثناء محاولته حلّ المشكلات، والصعوبات، وما يتعرض له من متغيرات، وضغوطات، لكي يصل إلى نقطة الاستقرار، والإشباع، والسعادة، والأمن، والسكينة، والرضا.

ويبحث علم النفس الإيجابي في الجوانب الإيجابية الإنسانية، وتفعيل دور السلوك من أجل رقي الفرد والمجتمع؛ حتى يصل إلى الوجود الإنساني الأفضل (العدل، ٢٠٠٨: ١٩).

إذًا فعلم النفس الإيجابي هو: الدراسة العلمية التي تجعل لحياة الفرد قيمة حقيقية، وتساعد على معرفة مواضع القوة لديه، فيعمل على بناء السِّمات الإيجابية، التي تساعد الأفراد، والمجتمعات، ليس على التحمل، والبقاء فحسب؛ بل تساعدهم -أيضًا- على الازدهار. كما أن استخدام استراتيجيات علم النفس الإيجابي؛ يقود الفرد إلى منهج جديد؛ هو تنمية السمات الإيجابية، والفضيلة، والقوى الإيجابية، على مدى الحياة، والاستفادة منها في الصحة، والعلاقات، والعمل، وتحقيق السعادة بعيدًا عن ضيق الأفق، ومعايشة المواقف السلبية، والأمراض النفسية (الشرماني، ٢٠١٦).

ويشير ليو (Lu, 2001) إلى أنه يمكن تحقيق السعادة؛ بشرط أن تتوفر لدى الفرد القدرة على اكتشاف الحقائق، والشعور بالرضا، والامتنان، والقدرة على العطاء، والقدرة على تهذيب النفس. كما أنه يمكن زيادة الشعور بالسعادة لدى الأفراد، ويمكن تدريبهم على ذلك من خلال أساليب عدة، منها: تغيير نمط الحياة، وتغيير المفاهيم الخاطئة، وتدريبهم على إدارة مشاعرهم، وعلى الاستمتاع بوقتهم.

وهكذا يبدو جليًّا مدى الارتباط بين علم النفس الإيجابي، وما يُعرف اليوم بتطوير الذات، وطبيعة العلاقة بينهما. التي تتمثل في سعي كليهما إلى الارتقاء بالإنسان، إلى أعلى درجات الكمال، وتحقيق أقصى مستويات النجاح والسعادة. إذ أن مجال علم النفس الإيجابي على المستوى الذاتي، يدور حول الخبرات الإيجابية الذاتية ذات القيمة مثل: الوجود الأفضل، والقناعة، والرضا عن الماضي، والأمل والتفاؤل «بالنسبة للمستقبل»، والسعادة «في الحاضر».

ب. تطوير الذّات وعلاقته بالتنمية البشرية

ليست التنمية البشرية مفهومًا جديدًا؛ فقبل بضعة عقود كانت تستعمل للإشارة بشكل أضيق، إلى الاستثمار في المهارات البشرية. وكان ينظر إليها على أنها مكمل ضروري للاستثمار في رأس المال المادي. ففي أوساط المختصين الإداريين؛ كانت التنمية البشرية تعادل تطوير الموارد البشرية. ولم تكتسب التنمية البشرية معنى أعمق إلا في السنوات الأخيرة من خلال الإدراك بأن التنمية قابلة للإدامة -فقط- عندما يكون البشر قادرين بصورة متزايدة على التحكم بمصيرهم. ذلك أن جوهر التنمية البشرية هو جعل التنمية في خدمة الناس بدلا من وضع الناس في خدمة التنمية (السنبل،٢٠٠١). ولعل ذلك المفهوم؛ (وهو جعل التنمية في خدمة الناس بدلًا من وضع الناس في خدمة التنمية) هو ما يسعى إليه الإسلام، ويتطابق مع قوله صلى الله عيه وسلم: {المسلم أخو المسلم، لا يَظلمه ولا يُسلمه، ومَن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته}؛ (البخاري، ح: ٢٤٤٢؛ مسلم، ح: ٢٥٨٠).

وقد اشتملت تقارير التنمية البشرية للأمم المتحدة، التي صدرت منذ مطلع التسعينيات؛ على مفاهيم للتنمية البشرية، وأكدت أنها «عملية تهدف إلى زيادة القدرات المتاحة أمام الناس. ومع كون هذه الخيارات غير محدودة، فإنه يمكن تمييز ثلاثة خيارات مهمة؛ تتمثل في ضرورة أن يحيا الناس حياة طويلة خالية من العلل، وأن يكتسبوا المعرفة، ويحصلوا على الموارد اللازمة لتحقيق مستوى حياة كريمة»، ثمّ تمتدّ هذه الخيارات حتى تستوعب الحريّات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، واحترام حقوق الإنسان (العاني، ٢٠٠٢: ١٣).

ويشمل مفهوم التنمية البشرية العديد من المجالات، منها: مجال تنمية أو تطوير الذات أو تطوير الشخصية، وبالتالي فإن العلاقة بينهما علاقة تحديد، وتكامل. أي أن مفهوم التنمية البشرية يحدّ مفهوم تنميه الذات، كما يحد الكل الجزء فيكمله، ويغنيه، ولكن لا يلغيه. لكنها ليست علاقة تطابق كما يرى بعض الباحثين، إذ تهدف تنميه الذات إلى تنميه مهارات الحياة العملية كمهارات القيادة، والتواصل، وتنظيم الوقت، والتفاوض وغيرها (خليل: ٢٠١٣).

وقد عرفت (الساعدي، ٢٠٠٨: ٢٣) التنمية البشرية بأنها: «العملية التي تستهدف الإنسان، وتعمل جاهدة على وضع كل ما يفيده، ويخدمه في متناول يده خاصة، وأن يحيا حياة يكتسب فيها المعرفة، ويتمتع بمستوى معيشة كريمة، فضلًا عن تطوير طاقاته، وإمكاناته؛ لأنه أساس الحركة التنموية في أي مجتمع».

وبذلك تهدف التنمية البشرية التي موضوعها «الإنسان»؛ إلى الارتقاء به بشكل متكامل أخلاقيًا، وعقليًا واجتماعيًا، وصحيًا، وعلميًا وغير ذلك. وإحداث تغيير حقيقي في حياة الإنسان يجعله ينتقل إلى حياة أرقى وأفضل مما هو عليه؛ من خلال تمكينه لاستخراج مكامن المواهب والقدرات عنده، وتنميتها وتوظيفها بفاعلية (الغندور، ٢٠١١).

ويتضح مما سبق أن «الإنسان» هو المستهدف من عملية التنمية البشرية وموضوعها، ويلتقي مع تطوير الذات في الموضوع والهدف؛ حيث الارتقاء بالإنسان بشكل متكامل من كافة الجوانب الأخلاقية والاجتماعية، والعقلية، والعلمية، والصحية، وغيرها؛ ليرقى إلى حياة أفضل وأسمى مما هو عليه، بعد استكشاف مواهبه وطاقاته، والعمل على تطويرها وتوظيفها في الحياة.

ولعل هذا يتقاطع مع الرؤية القرآنية للإنسان بشكل عام؛ الإنسان كإنسان، بعيدًا عن عناصر الجنس، أو اللون، أو العرق. ومن تمام هذا التكريم؛ أن خصه الله ﷻ بنوره، وعلمه، واستخلافه في الأرض، كما خصه بتحية الملائكة، وسجودهم له، لقوله سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (ص: ٧١-٧٢)، ولقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء:٧٠).

وبالعودة إلى أن الإنسان -هو ذاته- محور التنمية، والتغيير، وأن الكرامة الإلهية تخص بني آدم بشكل عام، فإن الأخذ بأسباب ذلك التكريم موكول إلى الإنسان ذاته، فهو المخير بين أن يحافظ على هذه المنحة الربانية، وبذلك يكون منسجمًا مع أصل خلقته، أو أن يدعها فيرتكس في الخُلُق. يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ*ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (التين: ٤-٦). ولعل مركز الاهتمام التطويري، التنموي قد تركز في الآية الأخيرة من السورة، والتي قرنت بين الاستثناء من الارتداد إلى الضعف، والهوان، والعجز، وأرذل العمر، وبين الإيجابية المتمثلة في الإيمان بالله، وما يشيعه داخل النفس البشرية من راحة، واطمئنان، وسكينة من جهة، والمبادرة إلى فعل الخيرات، والصالحات بشكل عام.

ج. تطوير الذَّات وعلاقته بالبرمجة اللغوية العصبية NLP

البرمجة اللغوية العصبية، حقل معرفي نشأ، وتبلور في السبعينات من القرن الميلادي الماضي، على أيدي مجموعة من المفكِّرين، والفلاسفة الغربيين؛ أبرزهما على الإطلاق الأمريكيين: (ريتشارد باندلر، ١٩٥٠) Richard Bandler (وجون جريندر، ١٩٤٠) John Grinder. يتعاطى حقل البرمجة مع الظواهر الإنسانية من خلال ثلاثة مكونات، هي: الجهاز العصبي Neuro واللغة Language والبرمجة Programming. وهذه المكونات الأساسية أعطت للحقل اسمه المعروف Neuro-Linguistics Programming «البرمجة اللغوية العصبية» (هاريس، ٢٠٠٤، ٣٥).

وتشير الأدبيات؛ إلى أن «البرمجة» تعني القدرة على اكتشاف، واستخدام البرامج العقلية المخزنة في العقول، التي نستخدمها في اتصالنا بأنفسنا، أو بالآخرين دون وعيٍ منا. أما «اللغة» فتشير إلى قدراتنا على استخدام اللغة بنوعيها الملفوظ، وغير الملفوظ؛ للكشف عن أسلوب تفكيرنا، وماهية اعتقادنا، وأنظمة الاتصالات اللغوية، وتشتمل على: الصور، والأصوات، والمشاعر، والتذّوق، والشم، واللمس، والكلمات. أما «العصبية» فيقصد بها الجهاز العصبي «العقل»؛ الذي يعمل على ترجمة تجاربنا حول المراكز الحسية، وهي: النظر، والسمع، والإحساس، والشعور، والشم، والتذوّق (البريدي، ٢٠٠٧).

وفي التسعينات، بدأ الاهتمام بالعلاج باستخدام تقنيات البرمجة اللغوية العصبية؛ لتغيير العديد من الاعتقادات الخاطئة، الخاصة بالمرضى، وبمنظورهم للشفاء، حيث استخدم في علاج العديد من الأمراض العضوية والنفسية مثل الفوبيا، والإدمان، وتغيير أنماط الحياة، ومجالات التواصل، وإدارة الأعمال (Helwing ,2001).

واعتبر الزعلة (٢٠١٣) أن البرمجة اللغوية العصبية؛ عنوانٌ خلقَ تحوُّلًا مفصليًا في مسيرة ما يسمى بتطوير الذات، وأن أربابَهُ يؤكدون أنه علم منهجي؛ ذو أصول، وقواعد، تتعلق ببرمجة العقل الباطن على أفكار إيجابية، ومقولات تفاؤلية، واستخدام بعض القوانين، والآليات، والحيل النفسية، والطاقات الشعورية التي تؤدي -كما يراه الباحثون- إلى تحويل الإنسان إلى شخصية إيجابية، متفائلة، طموحة، ناجحة، متوازنة، بشكل شامل.

فيما اعتبر خليل (٢٠١٣) أن البرمجة اللغوية العصبية NLP من تقنيات تطوير الذات، التي ظهرت في الغرب مع تقنيات أخرى كالتنويم الإيحائي «Hypnisis»، والتأمل «Meditation»، وطريقة سيلفا للتحكم العقلي «Silva mind control». وتقوم هذه التقنيات على فكرة أساسية تستند إليها وهي: «أن تغيير العالم يبدأ من داخل

الإنسان؛ فالنجاح، أو الفشل يتوقف أساسًا على الإنسان وليس الظروف».

ويبيّن الكحيل (٢٠٠٩) أن الحاجة لتطوير مدارك الإنسان، هي السبب الرئيس وراء اكتشاف تقنيات البرمجة اللغوية العصبية؛ فقد كان بعض الناس يحققون نجاحًا كبيرًا في حياتهم، وهذا ما لفت انتباه بعض العلماء فقرروا دراسة أسباب هذا النجاح. ثم خرجوا بنتيجتين مهمتين هما:

- أن كلَّ إنسانٍ يحققُ نجاحًا ما، فهو يستخدم طريقة ما في إدارته لشؤون حياته، وهذه الطريقة أو «الاستراتيجية» في العمل هي التي حققت له نجاحاته.

- أن أيَّ إنسانٍ يحقق نجاحًا ما، فهذا يعني أننا نحن -أيضًا- قادرون على تحقيق نجاح مماثل، فيما لو اتبعنا الطريق ذاته. ونقول إذن بكل بساطة: إن البرمجة اللغوية العصبية هي «كيف تتحكم بدماغك»!

ويعتمد أسلوب البرمجة على تزويد المستهدف بمجموعة من الأساليب، والأفكار، والمهارات، التي تجعل منه إنسانًا ناجحًا وقويًا. لكن سرّ النجاح يكمن في التحكم بالذات، أو بالدماغ أو السيطرة على الانفعالات؛ أي إنه –وبصورة أدقّ- هو تعلُّم الفرد كيف يعمل عقله، وبالتالي إعادة برمجته.

وتتضمّن البرمجة مجموعة من المبادئ الأساسية، أو المسلمات «Principles» أو المعتقدات «Beliefs»، التي تعد بمثابة الفلسفة الموجهة للبرمجة. وأهم تلك المبادئ، كما أوضحها البريدي (٢٠٠٧):

أ. التغيير يصنع التغيير؛ فالمفتاح الحقيقي للتغيير؛ أن يبدأ الإنسان بتغيير نفسه.

ب. الخريطة ليست الواقع؛ أي إن إدراك الإنسان للواقع ليس هو الواقع.

ج. للتواصل بين الناس طريقتين: الواعي؛ الكلام المفهوم، واللاواعي؛ مثل: لغة الجسد، ونبرة الصوت.

د. التواصل هو ردّ الفعل الناتج؛ حيث تنبثق استجابة الناس من خبراتهم وتجاربهم الشخصية.

هـ. الشخص الأكثر مرونة «يمتلك أكبر قدر من الخيارات» فيكون قادرًا على التحكم في حياته.

و. لا يوجد فشل؛ فالحياة عبارة عن تجارب، يقوم فيها الإنسان بأفعال معينة وتعود بنتائج مختلفة.

ز. يعمل الناس بشكل متقن وفق استراتيجياتهم التي يختارونها، وفي ظل ما هو متاح لهم في الموقف.

ح. وراء كل سلوك نية إيجابية لصاحبه؛ النية الإيجابية قد لا تكون إيجابية إلا من وجهة نظر الشخص نفسه.

ط. العقل والجسم يؤثر كل منهما في الآخر؛ ويتفاعلان فيما بينهما، ويتبادلان التأثر والتأثير.

ي. إذا استطاع أي شخص أداء شيء، فأي شخص آخر يمكنه فعله.

ك. نمذجة الأداء المتميز يقود إلى تحقيق الامتياز.

ل. إذا سلك الشخص الطريق نفسه؛ فسوف يحصل على النتائج نفسها.

وتعد البرمجة العصبية أشهر أساليب التنمية الذاتية في العالم العربي، حيث كثرت تطبيقاتها، وطرق فهمها، وشرحها، وانتشرت مراكز تدريبها؛ ولقد هاجمها كثيرون، واقتنع بها كثيرون. وسنعرض في موضع آخر من هذه الدراسة بعض الآراء، ونتائج دراساتٍ لباحثين، وأكاديميين، وعلماء من المسلمين، والغرب، حول ما إذا كانت هذه التقنيات «البرمجة» وغيرها التي شاعت في العالم الإسلامي، باسم تطوير الذات ونحوه؛ هي وسائل مساعدة ذاتية فعلًا، أم أنها تحمل من المحاذير، والتأثيرات السلبية ما يجعلنا نهملها إلى الأبد، حسبما طالب بذلك عالم النفس البولندي في هذا المجال ويتكوسكي (Witkowski :2010)، الذي وصف البرمجة اللغوية العصبية بأنها تمثل «هُراء العلوم الزائفة التي ينبغي أن تهمل للأبد».

وإنْ انتُقِدَت البرمجة NLP في مبادئها، ومعتقداتها، أو في غموضها، أو تضليلها، وضآلة مصداقيتها العلمية؛ إلا إنها تشترك مع تطوير الذات؛ في أن موضوعها «الإنسان»، وأنها تقنية، ووسيلة للارتقاء به من خلال تزويده بجملة من التقنيات، والأفكار، والمهارات، والأساليب، التي تجعل منه إنسانًا ناجحًا، وقويًا، وسعيدًا (Corballis :2012).



المبحث الثامن:

واقع وسائل المساعدة الذاتيَّة في تطوير الذات

المبحث الثامن

واقع وسائل المساعدة الذاتيَّة في تطوير الذات

يُقصد بوسائل المساعدة الذَّاتية، أنها عملية تنمية وتوسيع الخيارات المتاحة أمام الإنسان، باعتباره جوهر عملية التنمية ذاتها؛ أي تنمية الناس بالناس وللناس. وهي من حيث العناية بالأفراد، تُعنى بتغيير حياة الإنسان من السلبية إلى الإيجابية، وتحدد أهدافه، وتضعه في الإطار الإيجابي ليتمكن من تحسين حياته وتطويرها. وتقوم بتدريبه على تنظيم وقته، والتحكم بمشاعره، وتعليمه كيفية اتخاذ القرارات الحاسمة، والصحيحة في الوقت المناسب. وتمثل البرامج والدورات التدريبية، ومراجع تطوير الذات «الكُتب والإصدارات»، أهم وسائل المساعدة الذاتية لتطوير الذَّات (الطليمات، ٢٠١٦). ولكن، كيف يتأتى للفرد أن يغير حياته من السلبية إلى الإيجابية، أو تحديد أهدافه، وتنظيم وقته، أو التحكم في مشاعره... إلخ؟ تساؤلات إن أمكننا الإجابة عنها بصورة موضوعية، وبعيدًا عن التنظير المثالي المجرد...عندئذ سوف يمكننا تطوير ذواتنا بطريقة آلية، سهلة، وميسرة، ولعلنا نشير هنا إلى عامل مهم، ورئيس في هذه المسألة، ألا وهو الدافعية، التي هي سر عظيم من أسرار إحداث التغيير في حياة الإنسان، ولن تكون الدافعية ذات جدوى حتى يتحقق لدى الفرد بعض المقومات، منها:

أ- استشعار المشكلة.
ب-تحديد المشكلة.
ج- وجود هدف.
د- تحديد الهدف.
هـ-الثقة بالقدرة على التغيير.
و- الرغبة الذاتية الجامحة في التغيير.
ز- بدء العمل من أجل تحقيق الهدف.

فرق كبير بين من يتمنى النجاح في شتى مناحي الحياة؛ العلمية، والعملية، وبين من يفهم كيف يطلق العنان لطاقاته الكامنة، أو الأزرار الخفية، والمحركة لكل أسباب النجاح، والفلاح، فقصص الناجحين، الذين استطاعوا أن ينموا قدراتهم، ويطوروا من ذواتهم، تتلخص في أنهم استشعروا وجود مشكلة ما في حياتهم، ثم شخصوها،

وحددوها، ثم وضعوا هدفًا واضحًا سعوا لتحقيقه، مع الرغبة النفسية الجامحة في الانتصار على تلك المشكلة، إذ لا سبيل أمامهم إلا سبيل النجاح، ثم النجاح، ثم النجاح، وحتى لا يعيش حالة من أحلام اليقظة؛ فيتراجع، وينكص على عقبيه؛ لا بد له من البدء في العمل الجاد من أجل تغيير ذلك الواقع المؤلم. وسنضرب لذلك مثلين اثنين للتدليل على ذلك، أما أحدهما فمن عصر الصحابة -رضوان الله عليهم-، وأما الآخرى فصورة من صور النجاح في العصر الحديث، وهما نموذجان لقصتي نجاح غير عاديتين -والصور كثيرة جدًا- أما الأولى: فهي قصة نجاح عبد الرحمن بن عوف في تجارته في المدينة. تحت شعار (دلني على السوق!!) ذلك الصحابي الذي رفض أن يشارك أخاه سعد بن الربيع؛ في بيته، وماله، واكتفى بالذهاب إلى سوق المدينة، ليمارس التجارة، مختزلًا قصة نجاحة بعبارة (دلني على السوق). وتقدر ثروته عند وفاته بثلاثة ملايين، ومائتي ألف دينار، وهذا حسب ما ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح، حيث قال: (جميع تركة عبد الرحمن بن عوف ثلاثة آلاف ألف ومائتي ألف (أي ثلاثة ملايين ومائتا ألف) حتى قطعت ثروته من الذهب بعد وفاته بالمسحاة، وكان قد أَوصى لمن بقي من أهل بدر؛ لكل رجل أَربعمائة دينار، وكانوا مائة، فأَخذوها، وأَخذها عثمان فيمن أَخذ: وأَوصى بأَلف فرس في سبيل الله.

وأما الثانية: فهي قصة نجاح رجل الأعمال؛ صاحب أكبر إمبراطورية للمحاسبة، وهو طلال أبو غزالة. تحت شعار (لم يكن أمامي سوى التفوق!!) فقد كان تعليمه كله مجانًا؛ عبارة عن منح دراسية مجانية، فكان يقول دائمًا: أهلي فقراء، ولم يكن أمامي سوى التفوق!! وكأني بهم وهم يرفعون شعار رسول الله ﷺ: {استعن بالله ولا تعجز}. وامسح كلمة (مستحيل) من معجمك وارفع الشعار العظيم: (للفردوس نسعى) الفردوس بمفهومه الشمولي، وما يعنيه من دلائل: الفردوس الأعلى من الجنة، كما يعني النجاح الاجتماعي في أعلى صوره، النجاح في الدراسة في أرقى صورها، النجاح في العمل في أكمل صوره، وأعلاها...إلخ.

أ. البرامج والدورات التدريبية في تطوير الذات

تعد البرامج، والدورات التدريبية لتطوير الذات، إحدى أهم وسائل المساعدة الذاتية؛ فقد تسابق علماء الإدارة، وعلماء الأخلاق، وعلماء النفس، والاجتماع في تأليف الكتب، وإعداد المحاضرات، وعقد البرامج، والدورات التدريبية؛ لأجل تطوير الذات، التي تنبثق أهميتها من طبيعة الأهداف التي تتمثل في رفع كفاءات الأفراد (المتدربين)؛ المعنوية والمادية؛ من خلال اكتسابهم لمهارات تطوير الذات، كالتأمل، وتعزيز الدافعية،

والثقة بالنفس، فضلًا عن تنمية بعض المهارات المتعلقة بأداء أعمالهم.

ويقصد بالبرامج التدريبية لتطوير الذات؛ أنها عملية مخططة ومنظمة في ضوء أسس علمية لتقديم خدمة تساعد الناس في عملية الوصول إلى أحسن الخيارات المناسبة، وهي عملية تعلّم ونموّ، ومعلومات ذاتية من الممكن أن تترجم إلى فهم أفضل لدور الإنسان والسلوك بفاعلية إيجابية (الداهري: ٢٠٠١: ٤٦٨). وهنا يأتي الدور الأبرز للإنسان ذاته في مدى قدرته على التفاعل الإيجابي، والفاعل في إحداث التغيير النفسي الداخلي، في التغلب على مشكلته، وإعادة تشكيل ذاته من جديد، بما يتناسب وما يتلقاه من قيم، وقواعد تدريبية. وليكن شعارك الداخلي:

ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهِهَا عَنْ غَيِّهَا   فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ

ويعرّف زهران (٢٠٠٢) البرامج التدريبية بأنها عملية بنَّاءة، تهدف إلى مساعدة الفرد كي يفهم ذاته، ويدرس شخصيته، ويستكشف خبراته، ويحدد مشكلاته، وينمي إمكاناته، ويحلّ مشكلاته، في ضوء معرفته ورغبته وتعليمه وتدريبه، لكي يصل إلى تحديد مستوى التطور الذاتي، وتحقيق النجاح في مختلف نواحي الحياة.

ولعل أولى خطوات النجاح في هذا المضمار؛ أن يكتشف الإنسان ذاته، ويضع يده على جرحه، فإذا تألم، سعى نحو الخطوة التالية، فراح يسعى لعلاج ذلك الألم، أما إن فشل، ولم يصارح نفسه بعجزه، فتلك هي المكابرة، وذلك هو النفاق الذاتي، أو النفاق الداخلي، وهو أسوأ أنواع النفاق، وهنا، لن يستطيع التقدم خطوة واحدة نحو الإيجابية، والفلاح، وهو ما يعبر عنه بالصدق مع الذات، وتطابق ظاهر الإنسان مع باطنه، وكلما اختلف ظاهر الإنسان عن باطنه، كلما كان شاذًا، وازدوجت شخصيته، وهو النفاق وقد عده القران مرضًا قال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۞ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (البقرة:٩-١٠) والقرآن إذ يذم هذا الفعل؛ فإنه في الوقت نفسه يحث على أن يكون الإنسان متصالحًا مع ذاته أولًا، وقبل كل شيء، وهو منهج إسلامي صرف.

ويُعدُّ التدريب من أهم الوسائل التي تحقق أهداف الأفراد، ورؤى منظمات الأعمال، ويحقق كذلك أهداف التنمية الشاملة في مختلف المجالات؛ ذلك أن التدريب أسلوب ذكي لتغيير الاتجاهات، وإكساب مهارات، ومعارف جديدة، وتغذية المهارات والمعارف الموجودة وتفعيلها؛ من خلال إعداد، وتطبيق نماذج ونظريات التعلم الفعالة، على نحو يحقق أعلى درجة ممكنة من الإتقان في الأداء (البريدي، ٢٠٠٧).

وترى الباحثة أن التدريب، والإعداد، مظهر حضاري، وقبل ذلك هو من صميم الفكر الإسلامي، مصداقًا لقوله سبحانه: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ...﴾ (الأنفال: ٦٠) وهو يشمل أعمال الدين، والدنيا على السواء، ومن تأمل سيرة السلف الصالح وجدهم قد طبقوا ذلك تطبيقًا عمليًا، وكذلك فقد درب النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على الإفتاء، وأفتوا بحضرته. وهو تمرين لهم على الاجتهاد والإفتاء. وهو وسيلة مهمة من وسائل رفع الإنتاجية في شتى مجالات التدريب؛ سواء ما يتعلق بالفكر، أو العلم، أو الاقتصاد، وهو أداة فاعلة في بناء الشخصية. ولكن تظل برامج التدريب -وعلى الرغم من جدواها الموضوعية- عملًا بشريًا يفتقر للكمال، والنزاهة في بعض الأحيان؛ شأنه في ذلك شأن كل فعل بشري. وقد سجلت على هذه البرامج بعض المآخذ التي يجب معالجتها (الدويش، د.ت) ومنها:

- غياب الوعي بفلسفة التدريب؛ فالتدريب ليس تعليمًا، كما أنه ليس بديلًا للتعليم، وما يتطلب تحقيقه عن طريق التعليم، فليس التدريب هو البديل الصحيح في تحقيقه.

- تهميش المعرفة، والتقليل من شأنها، فالمهارات والاتجاهات -رغم أهميتها- لا تغني عن المعرفة التي تسهم في بناء الشخصية، وتمثل عنصرًا مهمًا من عناصر تكوينها.

- دخول كثير من المدربين في غير مجالات تخصصهم، فمن غير المقبول أن يتحدث الشخص في غير تخصصه، فضلًا عن أن يصبح مدربًا فيه.

- عدد من البرامج التدريبية، وبالأخص ما يتصل ببناء الشخصية، لا يستند إلى أسس علمية، بل هو خواطر، وآراء شخصية يجمعها المدرب من مصادر متفرقة، أقل ما فيها المراجع المتخصصة.

- تستند كثير من عوامل النجاح في هذه البرامج إلى المهارات الشخصية للمدرب، وبالأخص ما يتعلق بمهارات الإلقاء والتأثير، وكثير من هذه المهارات تختفي من ورائها جوانب القصور في التكوين المعرفي، والعلمي، وعمق الشخصية لدى المدرب.

لا شك أن الحاجة ماسة إلى التدريب، والاعتناء به، لكن من المهم -أيضًا- الوعي الجيد بفلسفة التدريب وتوجيهه للمجالات الملائمة له، وألا يقود الانبهار به، إلى إقحامه في مجالات ليس هو الأداة الأفضل لتحقيقها، ومن المهم ألا يتصدى للمهام التدريبية إلا من يحمل التأهيل الكافي، وأن تستند البرامج التدريبية إلى أساس معرفي، وعلمي.

وقد وفدت برامج تطوير الذات إلى العالم العربي بأسماء، ومصطلحات عديدة، أشهرها ما سمي بـ«البرمجة اللغوية العصبية»، من خلال ترجمة عدد من الكتب الغربية المهتمة بصناعة الذات. وحظيت تلك البرامج بتفاعل كبير، وتخصَّصَ في هذا المجال طيفٌ متنوع من الأكاديميين، والإداريين، والأخصائيين النفسيين والشرعيين، بل وعددٌ لا بأس به من التربويين والمعلمين؛ ربما بدرجة أقل. أصبح يطلق عليهم جميعًا صفة «مدرب معتمد»، أو «خبير في تطوير الذات» وغير ذلك من المسميات والتصنيفات، التي لا يُعرف متى، وأين، وكيف يحصل عليها المدرب. بذلك أصبحت من المهن التي تُدِرُّ أرباحًا طائلة من خلال الدورات القصيرة باهظة الثمن، التي تحظى باستقطاب أعدادٍ كبيرة من المشاركين الذين يرغبون في تطوير ذواتهم، أو التخلص من عادات سلبية بداخلهم، عبر تقنيات هذا العلم الجديد -كما أشار إلى ذلك الحسين (٢٠١٧)- وأضاف أنه وعلى الرغم من وجاهة هذه المهارات، والحاجة إليها، وأهميتها في عالم التنمية، وتطوير الذات؛ إلا أن أخطر ما في الأمر هو ضبابية صفة المدرب، ولقبه، الذي يعد مفتاحًا للولوج إلى عالم الربح المادي الكبير، وأهليَّة مانح تلك الصفة، في عالم يموج بالمتغيرات، والتحولات، الشيء الذي يضع علامات توقف أمام بعض المدربين.

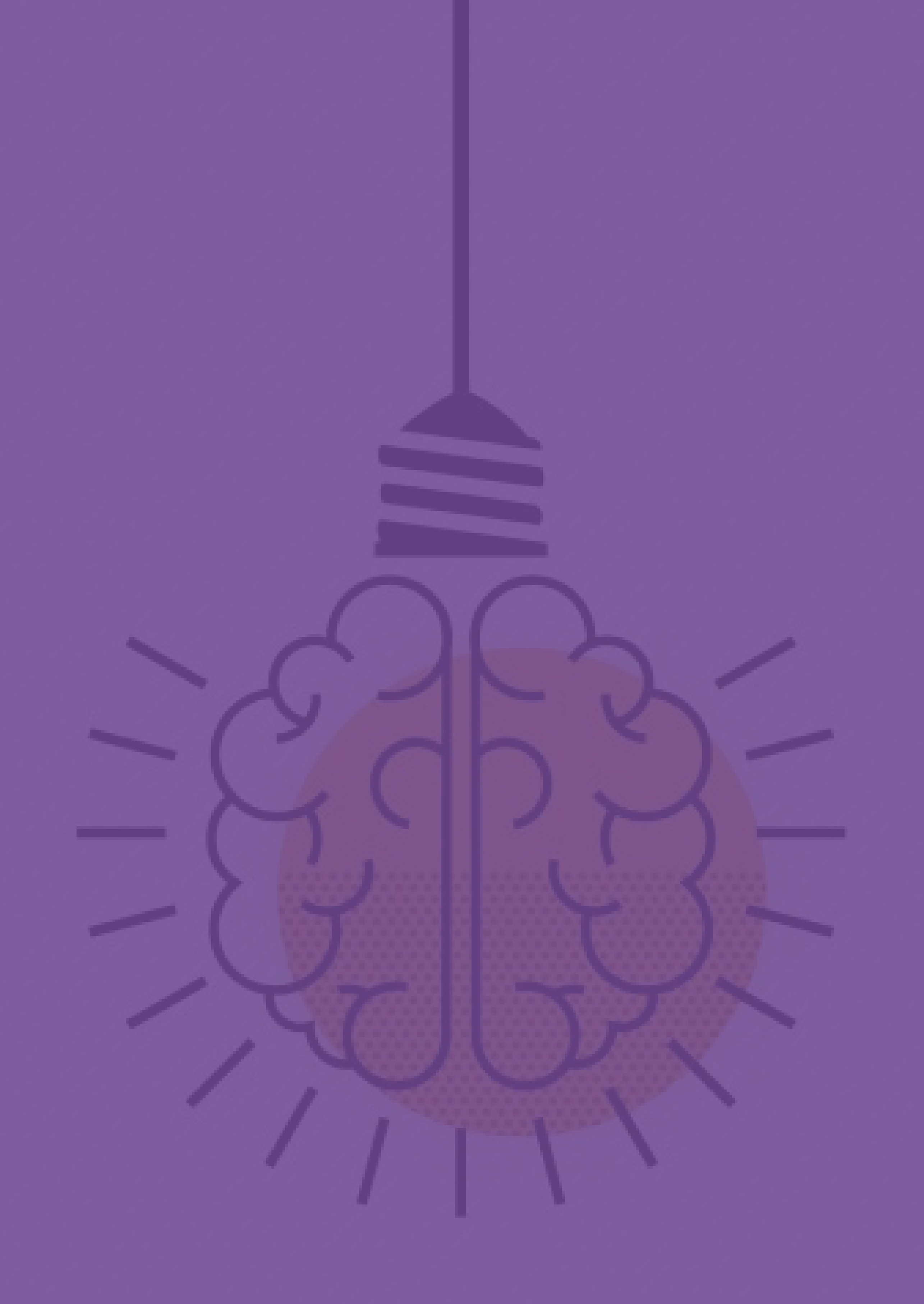
ب. كُتب التنمية البشرية وتطوير الذات

تقول بيرجسما (Bergsma, 2007) أن هناك كتبًا تسمى «كتب المساعدة الذاتية»؛ وهي كتب تروّج للحياة السعيدة، ويتم بيعها على نطاق واسع في الدول المتقدمة. وتعتمد هذه الكتب على نشر رؤى من العلوم النفسية، على وجه الخصوص (علم النفس الإيجابي). وفي تحليل للكتب الأكثر مبيعًا في هولندا أسفرت النتائج؛ أن الهدف الرئيس لشراء هذه الكتب هو ليس للتخفيف من الاضطرابات، والأعراض النفسية في المقام الأول، ولكن لتعزيز قوة الشخصية وأدائها لتحقيق النجاح في الحياة.

وحول المحاور والموضوعات التي تناقشها كتب تطوير الذات؛ قام أبو الشامات وآخرون (Aboalshamat & others, 2014) بدراسة نوعية لتحليل الكتب الأكثر مبيعًا في تطوير الذات، وحددت نتائجها خمسة موضوعات رئيسة وهي: الهوية، والنمو الشخصي، والعلاقات الشخصية، والتعامل مع الضغوطات، ومنع الاكتئاب.

وفي مجتمعاتنا الإسلامية انتشرت بكثرة تلك الكتب التي تُدعى بكتب التنمية البشرية، وتطوير الذات، كحال البرامج، والدورات التدريبية -أيضًا- وأقبل عليها المسلمون إقبالًا واسعًا، وتأثروا بها اعتقادًا منهم أنها قادرة على تغيير حياتهم نحو الأفضل، وأنها ستحقق لهم السعادة المنشودة (الطليمات، ٢٠١٦). ولعلنا نؤكد مرة

ثانية على ما سبق أن أشرنا إليه؛ وهو أن التغيير لا بد أن يكون منشؤه النفس البشرية بدرجة كبيرة، فهي الوعاء المستقبل، الذي سوف يحتضن ذلك التغيير، فإن لم يكن الوعاء جاهزًا، ومهيئًا لذلك التغيير، فإن كل الكتب، والبرامج، والدورات...لن تجدي نفعًا، ولن تستطيع إحداث التغيير المطلوب.





المبحث التاسع:

وسائل المساعدة الذَّاتية بين أهدافها الإنسانية وانتقادات الباحثين

المبحث التاسع

وسائل المساعدة الذَّاتية بين أهدافها الإنسانية وانتقادات الباحثين

في البداية، لا بد من تقرير، أو تسجيل ملاحظة موضوعية مهمة في هذا المجال؛ ألا وهي أن هذه الدورات التدريبية -على أهميتها، وحاجة الأفراد إليها- إلا أنها ليست علمًا تجريبيًا قابلًا للقياس، شأنها في ذلك شأن كثير من العلوم الإنسانية، التي لا يمكن ضبطها، والتحكم في نتائجها كنتائج يقينية، أو كمسلمات علمية. وعلى الرغم من ذلك... يمكننا التغاضي عن ذلك، فكثير من العلوم تتسم بهذه الصفة، ولكن الذي يجعل مثل هذه الدورات في مهب الريح؛ كونها منتجًا بشريًا، لا يعتمد على ثوابت يقينية، مما جعلها تأخذ صفة موجات المد العالية، وسرعان ما تتراجع، وتضمحل. وأخطر ما في هذه المسألة؛ إذا ما ظهر فيما بعد ما ينقضها، ويثبت عدم جدواها، ولذلك تؤكد الباحثة على ضرورة استناد مثل هذه الدورات -وهي تخاطب عقول أبنائنا المسلمين- على ثوابت الدين الإسلامي؛ وخصوصًا من الكتاب والسنة بشكل خاص، وعدم الركون لسير السلف الصالح كتجارب فردية خاصة؛ إلا إذا كانت هذه السير إحدى مخرجات الثوابت الإسلامية المنبثقة عن الكتاب، والسنة، ولا بأس من مراجعة كثير من النظريات الغربية في هذا المجال، ومحاكمتها لمدى مطابقتها للفكر الإسلامي؛ فإن طابقتها أشرنا لذلك، وإلا استبعدناها من برامجنا. ولعل ذلك يعطي مصداقية من نوع ما لمثل هذه الدورات، لأن الوازع الديني يفعل في النفوس ما لم يفعله أي حراك عقلي آخر، لأن العقل بحكم أنه مخلوق؛ فهو ناقص، ويفتقر إلى الكمال، وأنى للناقص أن يكون كاملًا، وهل جاء الإسلام بعقائده، وتشريعاته إلا من أجل النهوض بالإنسان، وإسعاده؟!.

وإذا تساءلنا: لماذا يُقبل الناس على دورات التطوير الذاتي؟ ولماذا يبحثون عن آخر إصدارات كتب تطوير الذات؟ فيبدو أن الأسباب متعددة، والحاجات متفاوتة، وتختلف باختلاف نوعية تلك الدورات وطبيعة الأشخاص وظروفهم ودوافعهم. فمنهم من تكون لديه طموحات ورغبات لبناء شخصيته بناءً قويًا متكاملًا، والارتقاء بقدراته، ومهاراته، واستثمار طاقاته، ومنهم من تكون لديه معاناة أو عقبات أو نقص يريد التغلب عليه، ليكون في وضعٍ أفضل، وحالٍ أحسن. لكن أمام تلك الأسباب والحاجات

المتعددة؛ فقد تباينت مواقف الناس تجاه هذه الدورات، والكتب ما بين قبول غير متبصِّر، ورفضٍ مجحف، وما بينهما؛ بناء على ما في هذه الدورات من إيجابيات وسلبيات ذات أبعاد متعددة نفسية، واجتماعية فكرية، وسلوكية. (الصغير، ٢٠٠٧).

وتبدو وسائل المساعدة الذاتية، سواء تلك المتمثلة في الدورات والبرامج التدريبية، أو كتب التنمية البشرية وتطوير الذات؛ أنها المنقذ للإنسان من همومه، ومشاكله التي تواجهه، وأنها السبيل من أجل تحقيق النجاح والسعادة في الحياة؛ فهل حقًا هي كذلك؟ يوضح بو عجاجة (٢٠١٦) أن لكل عصر أساطيره التي تشغل الناس، وتشكل مخيّلتهم، وسلوكهم. ولعصرنا أسطورة ساحرة انجذب إليها الحالمون بالنجاح والتغيير؛ ألا وهي أسطورة العقل الباطن، والتنمية البشرية، وتطوير الذات، والبرمجة اللغوية العصبية، التي أهدرت في سبيلها الأموال، والأوقات من أجل تعليمها، وتعلمها دون أن تنتج نجاحًا ولا تفوقًا، ولا تغييرًا جماعيًا ملحوظًا.

فرغم الشعارات، والأهداف الإنسانية التي تُروّج لها تلك الدورات؛ فإن سوق التدريب في مجال تطوير الذات يواجه انتقادات كثيرة من بعض الباحثين، والكُتّاب، من أبرزها: ملاحظة فوضى تنظيمية، وعدم وجود مرجعية علمية، إضافة إلى بروز دخلاء على هذا العلم لا يملكون الحد الكافي من التأهيل. كما اتهم بعض النُّقاد المدربين بالمبالغة في تصوير النتائج الباهرة للمتدربين، وصعوبة قياس عائد التدريب في هذا الفن، والمتاجرة بآمال وطموحات البسطاء وابتزازهم بأسعار باهظة (الحسين، ٢٠١٧).

ولا شك أن هناك دورات حقيقية تطويرية ومثرية، كتلك الدورات التي تُعنى بالقراءة السريعة، وتقوية الذاكرة، وتعليم اللغات مثلًا، ويمكن للإنسان أن يستفيد منها فائدة عملية وملموسة؛ لكن بالنظر إلى محتوى مواد تطوير الذات، نجدها في الغالب مزيجًا عشوائيًا لمجموعة من نظريات علم النفس، والتربية، والإدارة، مدعمة بمقولات، وقصص وتجارب لبعض المشاهير، والناجحين في عالم المال والأعمال، وأصحاب الثروات الضخمة والرياضيين، والإعلاميين (الزعلة، ٢٠١٣).

وقد ناقش الباحثان آركويتز وليلينفلد (Arkowitz & Lilienfeld, 2006) موضوع البرامج والكتب التي تساعد على التطوير الذاتي، حول ما إذا كانت تساعد فعلًا، أم لا يجني المستفيد منها سوى ضياع المال. واستنتج الباحثان؛ أنه على الرغم من أن هذه البرامج تؤدي إلى تحسينات صحيّة إلا إنها تُقدِّم وعود واسعة ومُبالغ فيها، قد تُصيب البعض بخيبات الأمل؛ لأنهم عندما يفشلون في إحداث تغيير، يعتبرون أنفسهم حالات ميؤوسًا منها، ويشعرون بالإحباط، ويتوقفون عن المحاولة. وفي السياق نفسه، تقول

بيرجسما (Bergsma, 2007) أن هناك كثيرًا من الشكوك حول برامج، ودورات تطوير الذات، التي يدَّعي البعض أنها تقدم أملًا كاذبًا، وقد تكون مدمرة -أيضًا- وتأسف الباحثة أن تلك الآثار الإيجابية والسلبية مهملة من حيث الدراسة، والتحليل في علم النفس الأكاديمي.

وفي قراءات الزعلة (٢٠١٣) التحليلية لكتب تطوير الذات، يشير إلى أن أقدم الكتب في هذا المجال كتابا ديل كارنيجي «دع القلق وابدأ الحياة»، و«كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس». ويرى أنّ معظم الكتب الأخرى تُعدّ عالة عليهما في أصل الفكرة وتنظيرها. كما ظهرت بعد ذلك كتب لمؤلفين عرب، تتحدث عن إدارة الوقت وطرق استثماره. ومما زاد من انتشار موجة تطوير الذات، والتنمية الذاتية؛ وجود عدد من دور النشر المحلية، والعربية التي عمدت إلى ترجمة الكتب الأمريكية لمؤلفين عالميين، ومدربين مشاهير، بعناوين لافتة للنظر، مدموغة بالكلمة السحرية التي تجذب، على غرار: «الكتاب الأكثر مبيعًا في أمريكا» أو «طبع من هذا الكتاب عشرة ملايين نسخة، وترجم إلى ثلاثين لغة حول العالم».

ومن الملاحظ -أيضًا- تهويل القائمين على دورات التنمية البشرية، ومراهنتهم على نجاحها، ومبالغتهم في رفع أسعارها، غير أنّ النتيجة في كل الأحوال لم تتجاوز تخريج أشخاص يطاردون النجاح، فلا يطالونه، ويستغرقهم هاجس التفوق المنبعث من مناهج موهومة، لا تملك سندًا علميًّا يبرهن عليها، ولا إحصائيات تدعم نسبة تواترها ونجاعتها (بو عجاجة، ٢٠١٦).

وقد وصف بيرتش (Birch, 2017) برامج المساعدة الذاتية؛ بأنها تبيع آمالًا كاذبة، وتعرّض الأشخاص إلى جرعة غير صحيّة من تلك الآمال، التي قد تؤدي إلى نتائج عكسية، والشعور بالتعاسة؛ لاسيما للأشخاص الذين يعانون من تدني الثقة بالنفس، وضعف القدرات، وذلك نتيجة طرح الأفكار المتمثلة في الحماس الزائد، وقدرة الأشخاص على تحقيق الآمال أيًّا كانت.

حتى إذا لم يستطع المتدرب الوصول إلى مبتغاه؛ فقد يصاب بانتكاسة نفسية خطيرة، تفقده الأمل في نفسه، وفي قدراته، وطموحاته.

لكن الأمر أكثر خطورة من ذلك؛ ذلك أن لغالبية كتب، وبرامج تطوير الذات تأثير ديني عقائدي، وذلك بحسب ما جاء في دراسة أبو الشامات، وآخرون (Aboalshamat & others, 2014) التي بيَّنت أنه على الرغم من شعبية تلك البرامج؛ إلا أن محتوى كثير منها علماني روحي. وتؤكد أن محتوى تلك البرامج خليط من معلومات مثبتة

علميًا، وغير مثبتة، بل ومضللة أحيانًا. وهو ما أكدته -أيضًا- الطليمات (٢٠١٦) حينما أشارت أن تلك البرامج، والكتب ظاهرها فيه الرحمة، وباطنها من قبله العذاب؛ حيث تدعو في ظاهرها إلى تحسين قدرات الإنسان، وتشجعه على النجاح في حياته، وتتضمن في باطنها عقائد وفلسفات ضالة. ويقول كردي (٢٠١٠) أنه ربما كان أصل تسمية «التنمية البشرية أو تطوير الذات»؛ دال على أصلها الذي انبثقت عنه من «حركة القدرات البشرية الكامنة»، التي خرجت في الغرب، من أجل تعظيم الإنسان وتدريبه، للاستغناء عن الإله وعن الحاجة لاستمداد العون منه.

والقارئ المدقق في كل النظريات الغربية الوافدة إلينا، يلاحظ أنها تتدثر بدثار العلوم الحديثة، فإذا ما دققت النظر بين السطور، وجدت أنها فكرية، أيديولوجية إلى حد كبير، وبعيدًا عن التفصيلات التي سيجدها القارئ في مظانها، نضرب لذلك بعض الأمثلة لبعض المدارس الغربية التي تغطت بدثار النقد الأدبي مثل: الكلاسيكية، الرومانسية، البنيوية، الواقعية...وغيرها من المدارس، فهي تعالج في جوهرها قضايا فكرية تتناقض تمامًا مع الثوابت الدينية الإسلامية، مثل: تقديس العقل إلى درجة التأليه، وبعضها انتقل إلى النقيض فراح يقدس العاطفة، وما تجره على الإنسان من دمار، وبعضها الآخر يدعو إلى دراسة النص الأدبي بمعزل عن المؤلف، وهو ما عرف بنظرية موت المؤلف المنسوبة إلى (بارت)، وصولا إلى دراسة النص الديني بمنأى عن قائله (الله) عز وجل، تحت ذرائع واهية!! ومن تلك المدارس، والمذاهب من ينكر وجود الإله أصلًا كالواقعية، وتدعي أنها مذاهب في الأدب والنقد...وليس من المستهجن، ولا من المستغرب أن تستند مثل هذه البرامج التدريبية إلى قاعدة من الأفكار، والفلسفات الخطيرة على مجتمعاتنا الإسلامية، والتي تخالف، بل وتقدح في صميم معتقداتنا، وثوابتنا الدينية، والتي انبثقت من مجتمعات تعاني من بعض السلبيات الفكرية، والفراغ الديني، كما هو الحال في المجتمعات الغربية التي تعاني فراغًا روحيًا مرعبًا، ولم تستطع تلك المجتمعات، ولا فلاسفتها، ولا منظروها من التغلب على تلك السلبيات، لأنهم قدسوا العقل فظنوا أن بإمكانهم حل معضلات مجتمعاتهم بمثل هذه الأفكار، والعقل الذي اعتمدوا عليه في حل مشكلاتهم مخلوق، قاصر، وأنى للقاصر الناقص أن يدرك الحقيقة الكاملة!!

ولهذا فإنّ الفراغ الروحي الحاصل في النفوس، سواء في العالم الغربي أو العربي، والبحث عن روحانيات جديدة تحقق فاعليتها مباشرة، وماديًا بدرجة أولى؛ جنّح بكثيرين إلى تصديق الوهم، وتقبّل هذه الأسطورة؛ التي ابتدعها من يبحث عن روحانيات جامعة خارج الديانات، مستلهمًا مبادئ بوذية وسحرية، تسلب الوجدان

والعقول، ولا تؤسس لفعل واقعي عقلاني حقيقي (بو عجاجة، ٢٠١٦).

وكتبت هيئة تحرير مجلة المعرفة (٢٠٠٧) تقريرًا حول ما كشفه الكاتب الصحفي الأمريكي ستيف ساليرنو «Steve Salerno» في كتابه الذي يحمل عنوان: كيف صيَّرت حركة تطوير الذات أمريكا عاجزة How the Self-Help Movement Made America Helpless الذي يلخص فيه الكاتب وجهة نظره في سؤال ذكي هو: إذا كانت هذه الكتب تساعد الناس -كما يزعم مؤلفوها- على الارتقاء، والاستغلال الأمثل لطاقاتهم الجسمية، والعقلية، وإذا كانت هذه الدورات تأخذ بأيديهم إلى السعادة، وتوفر لهم الحلول لمشاكلهم؛ فلماذا ما زالوا يصطفون في طوابير لشراء آخر ما يصدر من كتب تطوير الذات؟ ولماذا يواصلون حضور هذه الدورات؟ أليس من المفترض أنهم قد أفادوا من هذا الكتاب، وتعلموا من ذاك المتحدث؟ فلماذا هذا السعي المحموم لالتهام ما تقذف به المطابع من جديد الكتب؟ ألم يحفظوا عن ظهر قلب وصفة النجاح، وينتقلوا إلى المحطة التالية، حيث النجاح والسعادة؟!. وهو تساؤل معتبر وفي محله!!

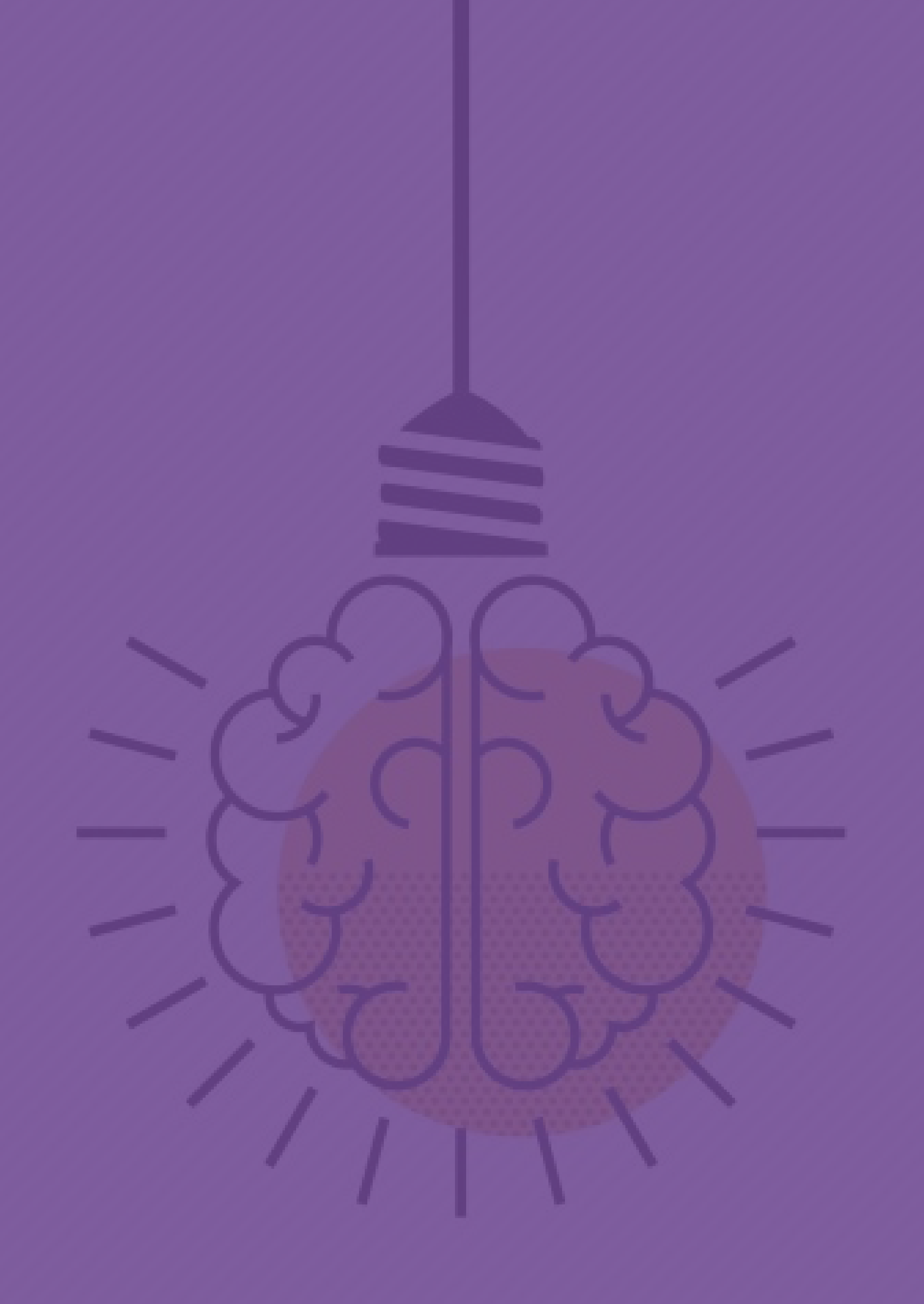
ومن المآخذ على برامج تطوير الذات البعيدة عن النظرة الإسلامية -على سبيل المثال لا الحصر- تصوير الإنسان أنه يمتلك قوة كامنة تجعله يعتمد على نفسه، وعلى القدرات الداخلية التي يمتلكها. ولأن تلك البرامج نابعة من نظرة علمانية، لا تؤمن بوجود خالق؛ فهي بالتالي لا تعترف بعبادة التوكُّل على الله والاستعانة به جلّ جلاله، والتي هي أصل، وركيزة أساسية في توحيد الله تعالى وفي عبادته (البقمي، ٢٠١٣). قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥)؛ فالمسلم إذا وثق بالله تعالى في كافة مجالات حياته كافأه الله جل جلاله وآواه وأيّدهُ ونصره. فالله تعالى في عون عباده، يلبي حاجاتهم، ويكشف كرباتهم ما إن حققوا التوحيد، وأركان الإيمان، مخلصين التوجُّه إليه جل جلاله فالثقة بالله هي أساس اليقين (اللوح، ٢٠١٦).

ومن المؤسف -أيضًا- أن كثيرًا من برامج تطوير الذات، تحرم الإنسان من عبادة الله تعالى ومن الدعاء وإظهار الحاجة والفاقة إليه، جرَّاء تلك البرامج التي تركِّز على بلوغ المراد مباشرة من خلال الأنا، والجزم، والحزم عبر رسائل اللاواعي البرمجية (كردي، ٢٠٠٤). ومدعية قدرة الفرد على تغيير ذاته، بذاته دون الحاجة إلى الخالق سبحانه وهذا مبدأ خطير يتنافى وجوهر الفكر الإسلامي. يقول صلى الله عليه وسلم: {يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ وَلَا إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ} (الطبراني، ح: ١٠٤٦)، مع بذل كل الأسباب المؤدية لتحقيق المراد، والوصول إلى الغاية. كما علمنا صلى الله عليه وسلم أن نقول إذا حزبنا أمر: «لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ، وَلاَ

مَنْجَى مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ» (الترمذي، ح:٣٦٠١) وهو براءة من كل قوة إلا من قوة الله، وهو إظهار للضعف البشري، استسلام لحوله، وقوته، وهو دعاء حري بالإجابة.

ويضيف الفقيه (٢٠١١) أن الأصل هو عدم المبالغة في الثقة بالنفس، التي قد توصل الإنسان إلى حدّ الغرور، والعُجب، كما هو حاصل فيما تقدمه تلك الكتب والبرامج. وأوضح رمضان (٢٠١٠) أن الثقة بالنفس محمودة في أن يرى الإنسان في نفسه الكفاءة، وأن لديه مواهب وقدرات، لكنه يراها في حجمها الحقيقي، ولا يرى نفسه أنه أقل من الآخرين، أو أفضل منهم، بل إن لديه إمكانيات ليست في غيره، وفي الآخرين، إمكانيات قد لا يتصف بها هو. كما أنه دائمًا حريصٌ على أن ينسبَ الفضل لله فيما يملك، وليس لنفسه، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ...﴾ (النحل: ٥٣)

كما أُمرنا بالاعتراف بعيوب النفس والتعرُّف عليها؛ فإذا أراد الله بعبده خيرًا بصَّره بعيوب نفسه، ومن كملت له بصيرته، لم تخْفَ عليه عيوبه، وإذا عرف عيوبه أمكنه علاجها. وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ (الأنعام: ١٠٤).





٣

الفصل الثالث
المنهج العملي

المبحث الأول: المبادئ الأساسيَّة لتطوير الذَّات نحو النجاح في الحياة وفق منهج القرآن الكريم

المطلب الأول: الاستعانة بالله مطلب أساس لتطوير الذات

المطلب الثاني: تزكية النفس...أولى خطوات تطوير الذات.

المطلب الثالث: أهداف تطوير الذات، يجب أن تنطلق من غاية الوجود.

المطلب الرابع: أهداف تطوير الذات لا بد أن تكون موصولة بالآخرة.

المطلب الخامس: تطوير الذات لا يخرج عن مقاصد الشريعة الإسلامية.

المبحث الثاني: مسارات النجاح وفق منهج القرآن الكريم

المطلب الأول: الفلاح منهج قرآني لتطوير الذات.

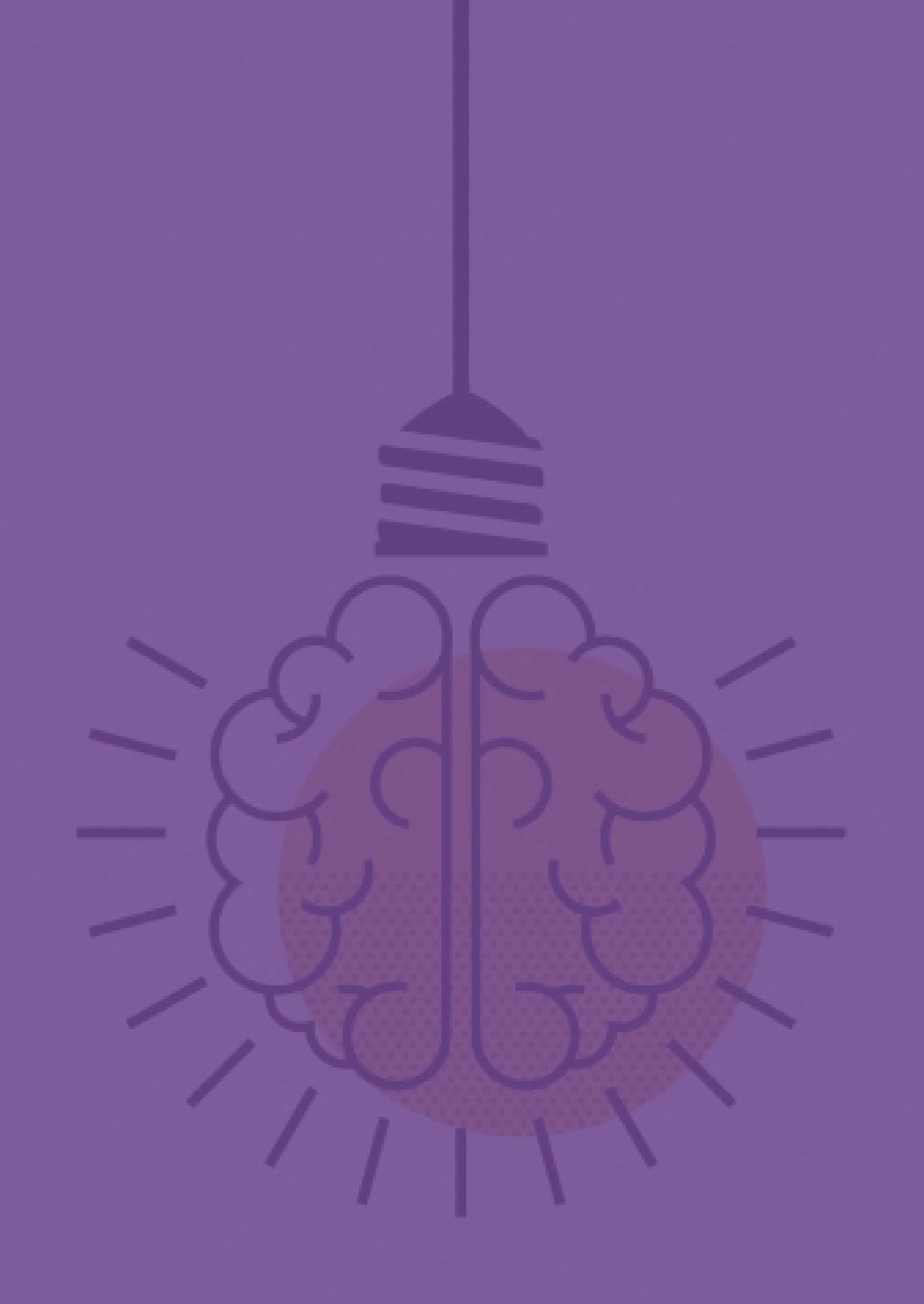
المطلب الثاني: مسارات النجاح وخطواته في ضوء آيات الفلاح.

المبحث الثالث: بناء منهج عملي لتطوير الذَّات نحو النجاح في الحياة مُستمدّ من القرآن الكريم

المطلب الأول: تزكية الذات لتفادي الفشل.

المطلب الثاني: الاستعداد والتعلم للبدء بالنجاح.

المطلب الثالث: العمل والثبات لتعزيز ومواصلة النجاح.

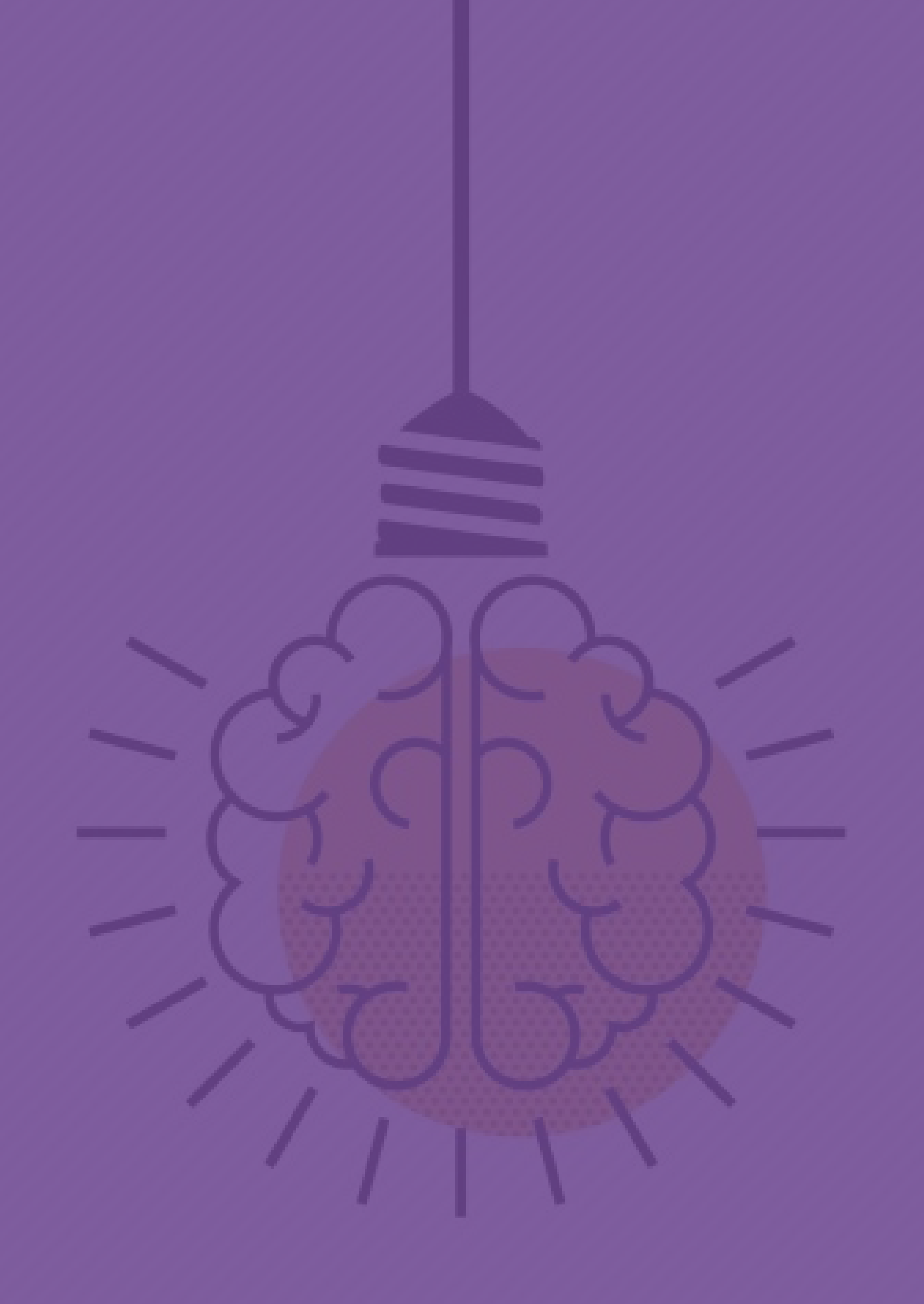


مُقدِّمَةُ الفَصْـــلِ

الفصل الثالث

نتائج الدراسة

إنَّ تأصيل تطوير الذات نحو النجاح في الحياة وفق منهج القرآن الكريم يمثل الهدف الأساس لهذه الدراسة، ففي هذا الفصل تستنبط الباحثة المبادئ الأساسيَّة لتطوير الذَّات نحو النجاح في الحياة، ومسارات النجاح، والمنهج العملي لتطوير الذَّات نحو النجاح في الحياة؛ وذلك من خلال تحليل آيات الفلاح في القرآن الكريم، بالاستعانة بأمهات كتب تفسير القرآن الكريم، والتفاسير الحديثة، ذات الصلة بموضوع الدراسة الحالية.





المبحث الأول:

المبادئ الأساسيَّة لتطوير الذَّات نحو النجاح في الحياة وفق منهج القرآن الكريم

المبحث الأول

المبادئ الأساسيَّة لتطوير الذَّات نحو النجاح في الحياة وفق منهج القرآن الكريم

عندما ننظر إلى المبادئ الأساسيَّة لتطوير الذات، نجد أنّ أبرز ما كتبه مفكِّرو الغرب أمثال براين تريسي (Brian Tracy)، وتوني روبنز (Tony Robbins)، وستيفن كوفي (Stephen Covey) وغيرهم، وغاية ما يعني مفهوم تطوير الذات عندهم في أحسن التعريفات، هو: «السعي إلى النجاح الشخصي، وتحقيق الذات من أجل الوصول إلى الراحة النفسية، والسرور (السعادة)». وما هو إلا سعي أعرج من أجل الوصول بالإنسان إلى ما يُظنّ أنه السعادة؛ حتى ولو انخدع بعض المهتمين بتطوير الذات بتلك الأفكار، والرؤى الغربية. فالسعادة بمعناها الحقيقي لا تتحقق إلّا بالإيمان بالله جل جلاله (الشمراني، ٢٠١٦).

لذا كان من الضرورة بمكان، أن تتبنَّى الباحثة مفهومًا جديدًا لتطوير الذات، يصل بالفرد إلى تحقيق النجاح، والسعادة، ويشتمل على المبادئ الأساسية لرحلة التغيير، والتطوير وفق منظور قرآني؛ حيث تُعرِّف الباحثة تطوير الذَّات بأنه: «الجهود التي يبذلها الفرد تزكيةً للنفس، وتنميةً لها، مستعينًا بالله لتحقيق أسمى أهداف النجاح في الدنيا، والفوز بأعلى الدرجات في الآخرة، وفق مقاصد الشريعة الإسلامية». وبذلك يتضمَّن تعريف الباحثة خمسة مطالب أساسية لرحلة تطوير الذات، هي:

أولًا- الاستعانة بالله كمطلب أساس لتطوير الذات.

ثانيًا- تزكية النفس أُولى خطوات تطوير الذات.

ثالثًا- أهداف تطوير الذات يجب أن تنطلق من غاية الوجود.

رابعًا- أهداف تطوير الذات لابُدَّ أن تكون موصولة بالآخرة.

خامسًا- تطوير الذات لا يخرج عن مقاصد الشريعة الإسلامية.

ويوضح الشكل (٤،١) الآتي مبادئ تطوير الذات وفق المنظور القرآني:

الشكل (٤،١) المبادئ الأساسية لتطوير الذات

المبادئ الأساسية لتطوير الذات

تزكية النفس أُولى خطوات تطوير الذات

الاستعانة بالله كمطلب أساس لتطوير الذات

تطوير الذات لا يخرج عن مقاصد الشريعة الإسلامية

أهداف تطوير الذات لابُدَّ أن تكون موصولة بالآخرة

أهداف تطوير الذات يجب أن تنطلق من غاية الوجود

وفيما يأتي توضيح لتلك المبادئ:

المطلب الأول

الاستعانة بالله مطلب أساس لتطوير الذات

الاستعانة مشتقة من الفعل (استعان) فعل مزيد بثلاثة أحرف هي: الهمزة، والسين، والتاء، وهي إذا اجتمعت في فعل كانت بمعنى طلب حدوث الفعل، مثل: استطعم؛ أي طلب الطعام، استعلم؛ أي طلب العلم...وهكذا. فالفعل استعان، يفيد اللجوء إلى الله وطلب العون منه، وهو مقام رفيع من مقامات العبودية، يظهر العبد من خلاله التذلل لخالقه، والافتقار إليه بطلب العون منه. روى الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كنت خلف النبي ﷺ فقال لي: {يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ} (الترمذي، ح: ٢٥١٦)، والحديث في مجمله وفي جوهره، يركز على أهمية الاستعانة بالله، وحده دون سواه، تحرزًا من الوقوع في الشرك، موضحًا أن الله وحده من يستعان به، وهو وحده من يستعاذ به دون سائر مخلوقاته من إنس، وجان، وحجر، وشجر... فكل الخلق مفتقرون إليه سبحانه في حفظهم، وقضاء حوائجهم، حتى لو اجتمعت الأمة كلها؛ إنسُها، وجنُّها، على النفع، أو الضر، فلن يكون إلا ما أراده الله بحكمته البالغة، ومشيئته القاهرة... ولا شك أن هذا الفهم لهذا المقام من العبودية... من شأنه أن يبعث الطمأنينة، والسكينة في النفوس، والراحة في الضمائر؛ أن أمورهم كلها بيده ، وليست بيد أحد من خلقه...إنها رياضة الله سبحانه لخلقه؛ إنها البوصلة التي ترشدهم نحو الوجهة الحقيقية إذا ما استغاثوا، أو استعاذوا، فلا يستعينون إلا بالله في قضاء حوائجهم، لا يستعينون إلا بالله في تربية نفوسهم، لا يستعينون إلا بالله في هدايتهم وصلاحهم، في راحة بالهم، في رزقهم، في كل شأن من شئون دينهم، ودنياهم، وإلا... فستتفرق بهم السبل، وتجتالهم الشياطين.

إنّ رحلة تطوير الذات نحو النجاح شاقة ومُضنية، لكن الله تعالى يُعين عباده على ما فيها من مصاعب، إذا اتجهوا إليه، واعتمدوا عليه. هذه المعونة الإلهية تتجلى أقوى ما تتجلى؛ في أن يمنح المولى سبحانه وتعالى المؤمنين نورًا يضيئ لهم ظلمات الطريق، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الحديد: ٢٨). فشتان بين من يسير تحت أشعة الأنوار في طريق ظاهر مرسوم، ومنهج واضح محدد، لا عوائق أمامه، ولا صعوبات فيه، وبين من يسير متخبطًا في الظلام يمنةً، ويسرة، في دائرة مغلقة، وهو لا يدري أين يسير، ولا كيف يسير(عبد المتجلي،١٩٩٩). قال تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٢).

وفي قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة:٥) أطلق الحق جل جلاله فعل الاستعانة لتشمل كل أمر من أمور الدُّنيا، ولم يحدد سبحانه الاستعانة على طاعة، أو غيره، ولم يقيِّدها بأمر محدد، وإنما جاءت مطلقة، فاستعان الرسول صلى الله عليه وسلم بالله على تربية نفسه، وتزكيتها، وكان صلى الله عليه وسلم يسأل ربَّهُ في دعائه قائلًا: (اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاها، وَزَكِّها أَنْتَ خَيْرُ مَن زَكّاها، أَنْتَ وَلِيُّها وَمَوْلاها) (مسلم، ح :٢٧٢٢). وجاء في نهاية ما كتبه عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص وجنده: «اسألوا الله العون على أنفسكم، كما تسألونه النصر على عدوكم، أسأل الله ذلك لنا ولكم». فالاستعانة بالله تكون في الأمور كلها، وفي مقدِّمتها العون على العبادة (النابلسي، ٢٠٠٢).

المطلب الثاني

تزكية النفس... أُولى خطوات تطوير الذات

في البداية لا بد من التأكيد على أن المقصود من تزكية النفس هنا هو تطهيرها، وسوقها نحو فعل الخيرات، والنأي بها عن المنكرات، وليس مدحها، والثناء عليها، حيث نهى الشارع الحكيم عن ذلك فقال: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (النجم: ٣٢) وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء: ٤٩).
أما أطر النفس على الحق، وتطهيرها من الذنوب، وتنقيتها من العيوب، والارتقاء بها إلى علياء طاعة الله، والسمو بها نحو آفاق العلم النافع، والعمل الصالح...كل ذلك، وغيره مما أمرنا به الحق، هو من أفعال الفطرة، فالمرء يولد على الخير، أما الشر فطارئ، حادث، لقوله صلى الله عليه وسلم: {مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ}. (البخاري، ح: ١٣٥٨)

تعدُّ تزكية النفس وترقيتها من العوائق والآفات التي تعرقل مسيرة النجاح أُولى خطوات تطوير الذَّات؛ فالتزكية في البناء الحضاري الإسلامي مفهوم يستجمع معاني (النمو) و(الخيرية) معًا، فهو مفهوم ذو أبعاد قيِّمة تقوم على أمرين: أولهما: (التطهير)، أو (التخلية) للنفس من الرذائل، ونوازع الشر. وثانيهما: «الترسيخ»، أو «التحلي» بالفضائل بكل ما فيه صفاء النفس، وبركتها، وصلاحها. وعلى الفرد أن يختار لنفسه ما به كمالها، ودفع الرذائل عنها (الخطيب، ٢٠١٠).

فالإيمان يزكِّي نفس الإنسان، ويحميها من الاضطراب، والتشتت، ويزكي عقله؛ فيحرره من الأهواء والشهوات، والتعصب، والخرافات. وتحقق التزكية آثارًا كبيرة ومهمة في عملية تطوير الذات؛ فهي تنعكس على أهداف التطوير، فتجعلها أهدافًا خيّرة نبيلة، وتنعكس على وسائل تطوير الذات ومنهجيته، فتجعلها تتميز بالإحسان والإتقان واليسر والرحمة، وتنعكس على مُعدِّي ومنفِّذي برامج تدريب تطوير الذات، ورسم مشاريع التنمية والتطوير فتضمن سلامة التفكير والتنفيذ (بني مصطفى، ٢٠٠٩).

المطلب الثالث

أهداف تطوير الذات، يجب أن تنطلق من غاية الوجود

إنَّ الإنسان المدرك لرسالته في هذه الحياة هو إنسان ناجح؛ لأنه يعرف ماذا يريد أن يعمل قبل رحيله. ولأنه يعرف -أيضًا- أنه مهما أُوتي من قوة فلن يستطيع أن يعمل كل شيء، وبالمقابل لا يجدر به أن يترك كل شيء. من هنا أتت أهمية تحديد رسالته بدقَّه. فالقرآن الكريم حددها بصورة جلية واضحة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)، وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٥).

ولا شك أن المسلم العاقل أول ما يتبادر إلى ذهنه عند كتابة رسالته في الحياة؛ هو الهدف من الوجود أصلًا في الحياة، وهو تحقيق العبودية لله تعالى، وأنه جلّ جلاله خلقنا لهدف، واستخلفنا لعمارة الأرض، وتحقيق أهداف الخلق عن طريق هذه العمارة؛ ورغم أنها مفاهيم أولية بديهية، لكنها عميقة للغاية؛ حيث يترتب عليها الاتجاه الذي يكتب فيه الإنسان رسالته في الحياة. وخُلق الإنسان ليكون خليفةً في الأرض، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠)، بكل ما تعنيه هذه الكلمة من عمارة للأرض وسعيٍ فيها ونهوضٍ بها وإثراءٍ للحياة، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ واسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود: ٦١).

وهذا لا يتأتَّى إلّا إذا عاش الإنسان في ظلال الإيمان وأنوار الوحي، منطلقًا بجهده لعمارة الدنيا حتى ينال جزاء سعيه في الآخرة. أما القلب الذي لم يشرق عليه نور الرسالة المحمدية، فهو قلب مظلمٌ بَوَار، ديدنه الفساد في الأرض وإن ظن أنه يُحسن صُنعا (محمد،٢٠١٧). لقد عاش الإنسان أرغد فترات حياته -يوم أن خلق الله آدم- في الجنة... حتى إذا عصى ربه، أخرج منها مذءومًا مدحورًا؛ فالمسألة مرهونة بالطاعة، والشكر، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم: ٧)، فكان درسًا لكل بني الإنسان من أجل تربية النفس على السمع والطاعة، وشكر النعم، والمنعم... وإلا...فالعقاب، والطرد!!

المطلب الرابع

أهداف تطوير الذات لابُدَّ أن تكون موصولة بالآخرة

إنَّ الأهداف كما تتحدث عنها كتب تطوير الذات والنجاح، لابد أن تكون محددة، وواضحة، وواقعية، وقابلة للقياس؛ لكن الباحثة هنا تتحدث عن المعيار الأهم في صياغة الأهداف، ألا وهو مدى صلة الهدف بالآخرة، وهل يقرِّب صاحبه من الجنة أم لا؟ فالنجاح الحقيقي (الفلاح) هو البقاء في النعيم، وألّا تنقطع النجاحات بالموت. فنجاحات الدنيا مهما علت لا تعدل مثقال ذرة من نجاحات الآخرة، ولا بدَّ من صلة إيجابية بين الأهداف الدنيوية والنجاحات بالآخرة، قال تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (يونس: ٦٢-٦٤). وقال تعالى: ﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ (آل عمران: ١٤٨)، وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (النساء: ١٣٤). فكُلّ هدف في الحياة مهما صغر لابُدّ أن يكون موصولًا بالآخرة، إذ أن أهداف المؤمن جميعَها موصولة بالآخرة.

إذًا، فالبداية الحقيقية لتحقيق السعادة والنجاح في الحياة؛ هي أن تكون لدى الفرد رؤية واضحة سليمة ورسالة حاضرة متميزة في الحياة، منبعها كتاب الله، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأن تكون الأهداف العملية متوافقة معهما تمام التوافق، ومتناسقة تمام التناسق. فمهما اختلفت الأهداف باختلاف الأشخاص، وأعمارهم واهتماماتهم وظروفهم في الحياة، إلّا أنها لابُدّ أن تكون موصولة بالآخرة؛ فالنجاح الحقيقي هو النجاح المستمرّ مدى الحياة وإلى الأبد في الآخرة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن اقتران التنمية البشرية، وتطويرها باليوم الآخر، يساهم في ضبط سلوك الفرد، وتقويمه، وتوجيهه نحو الخير، والفضيلة، فمن يعتقد بحتمية البعث، والنشور، ومن ثم الحساب على النقير، والقطمير...فلاشك أن سلوكه سينضبط بضوابط الفضيلة، والخير، والجمال. وهذا مطلب أساس من مطالب التنمية البشرية في ضبط سلوك الأفراد.

المطلب الخامس

تطوير الذات لا يخرج عن مقاصد الشريعة الإسلامية

إنّ الشريعة الإسلامية بما فيها من دعوة للإيمان بالله، وتزكية للنفس، وتطوير للذّات؛ جاءت تنزيلًا من عند الله جل جلاله وهي أهم الخصائص التي تميزت بها عن غيرها من القواعد الاجتماعية، وذلك لأمرين مهمين، هما: «الأول: عصمة الشريعة الإسلامية من الخطأ، والنقص، والجَور، والهوى. الثاني: قوة سلطانها على النفوس؛ فيطاع جل جلاله لا خشية جبروته فحسب، وإنما شغفًا بطاعته وإجلالًا لحكمته» (الزلمي والبكري، ٢٠٠٦: ٤١).

كما أنه لا بد أن يكون الهدف الذي يسعى الإنسان إلى تحقيقه؛ هدفًا مشروعًا، والأهداف أكثر من أن تحصى، إلّا أنه في المقابل، هناك من الأهداف التي رسمها بعض الناس، التي لا يجوز السعي لها، أو حتى التفكير بها؛ فكل سعي في الأرض للفساد، والإفساد، وإن استطاع صاحبه تحقيقه، وعاد عليه بنفع عاجل، لكنه في موازين الحق، والهدى مردودٌ وباطل، كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (الفرقان: ٢٣)، وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أحدَث في أمرنا- أو ديننا- هذا ما ليس فيه فهو رَدٌّ. وفي لفظٍ: من عمل عملًا ليس عليه غيرُ أمرِنا فهو رَدٌّ) (البخاري، ح:٢٦٩٧؛ مسلم، ح: ١٧١٨). فالمقاصد الشرعية إذًا، هي مجموعة الحكم، والغايات غير المنطوقة، التي تستنبط، وتكون متوافقة وروح الأحكام العامة للشريعة الإسلامية، بغرض تحقيق المصالح العامة للناس؛ دنيوية كانت، أم دينية، بحيث إذا فقدت هذه المصالح، اختلت حياة الناس، وعمت الفوضى، وانتشر الخراب والدمار؛ ذلك أن حقوق الإنسان تعد من صلب المقاصد الشرعية، وأن الشريعة الإسلامية جاءت من أجل تحقيق مصالح الإنسان، ودفع الضرر عنه، وفيما نعتقد فإن نظام المواريث في الإسلام مثال حي للحفاظ على حقوق الإنسان، ومنع تغول بعض الورثة على حقوق الآخرين، وخصوصًا المستضعفين من النساء. وتتدرج مصالح الإنسان بحسب أهميتها، ولعل أهمها ما يعرف بالضرورات الخمس وهي: حفظ الدين، والعقل، والنفس، والمال، والنسل، وقد عالج القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة تلك المصالح، وغيرها، في مواطن متعددة، ومناسبات مختلفة، ولا يخفى

أن تأكيد الكتاب والسنة على تلك الضرورات، وغيرها؛ إنما هو من قبيل حرص الإسلام على التكوين النفسي، والجسمي للإنسان المنتمي لهذا الدين.

ولا يمكن أن يكون النجاح حقًّا، إلّا إذا كان في طريق يرضاه الله؛ بحيث لا يكون وبالًا على صاحبه في المآل؛ ولن يكون كذلك إلّا إذا جمع بين شيئين عليهما مدار النجاح في الدنيا والآخرة، الأول: همّة تدفعه إلى السعي وراء الأسباب، والثاني: تقوى الله الذي به ينجو من العذاب. فالهمَّة تولِّد في النفس حرارة الطموح إلى معالي الأمور، دينية كانت أم دنيوية، وتقوى الله يوجِّه تلك الهمة وتضبطها بالاستقامة والالتزام؛ ليكون النجاح حُجَّة لصاحبه عند الله لا حُجَّة عليه (الفقيه، ٢٠١١).

فالنجاح مع الله هو الغاية والأساس، والنجاح مع النفس ومع الناس تبعٌ وليس غايةً؛ إذ لا بُدَّ من الالتزام بالحدود والوسائل الشَّرعيَّة في تحقيقه؛ وهذا ما يميِّز المسلم عن غيره في نظرته للنَّجاح؛ فالمؤمن يريد أن يصل إلى النجاح من خلال الوسائل الشرعية المباحة، وغير المؤمن يريد أن يصل إلى النجاح بأي طريق كان؛ إذ الغاية عنده تبرِّر الوسيلة (دار الوطن، ٢٠١٢).

لذا فإن تطوير الذات لا ينبغي أن يخرج بأي حال من الأحوال عن مقاصد الشريعة الإسلامية، فلا يطلب الإنسان تطوير نفسه، أو أي شكل من أشكال النجاح، بما لا يتفق مع الثوابت الشرعية؛ كأن يحقق مثلًا نجاحًا ماديًّا يكون مصدر الربح فيه معاملة محرمة، وأكل لأموال الناس بالباطل؛ ففي هذه الحالة لا يُعدّ فلاحًا، بل يخلف خسرانًا دائمًا، لأنه وقع على غير مراد شرع الله تعالى.



المبحث الثاني:

مسارات النجاح وفق منهج القرآن الكريم

المبحث الثاني

مسارات النجاح وفق منهج القرآن الكريم

أشارت الباحثة أكثر من مرة إلى أن أسمى أهداف تطوير الذات في واقعنا المعاصر؛ هو تحقيق النجاح، والسعادة في الحياة؛ لكنَّ كلمة (النجاح) أو مادة (نَجَحَ) لم ترد في جميع سُور القرآن الكريم، وآياته، ولله تعالى في ذلك حكمة بالغة؛ حيث عبّر الحقّ سبحانه في القرآن الكريم عن النجاح، والظَفْرِ بالبُغية، والفوز، والسعادة، وغيرها من معانِ الخير بمشتقات كلمة (الفلاح) التي ذكرت (٤٠) مرة، كما سيتم تبيان تفاصيل ذلك في فقرة لاحقة. وبعد دراسة وتحليل الآيات الأربعين التي وردت بها مشتقات الفلاح، لاحظت الباحثة أنه يمكن تصنيفها، واستنباط مسارات للنجاح؛ لتنطلق من الأخيرة خطوات، وقواعد عمليَّة لتطوير الذات نحو النجاح في الحياة. ولبيان ذلك نبدأ أولًا بالفلاح.

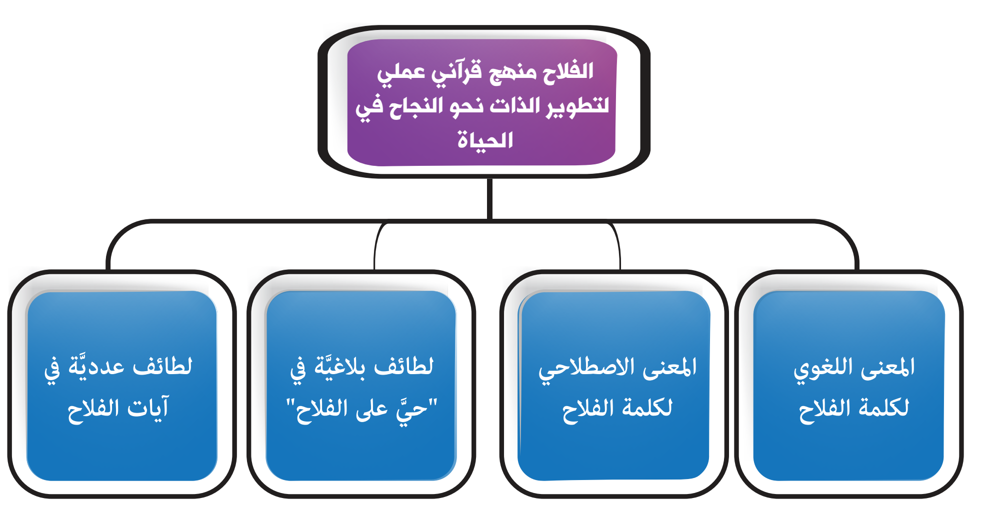
المطلب الأول

الفلاح منهج قرآني لتطوير الذات

وردت مشتقات كلمة (الفلاح) في آيات القرآن الكريم، وكثير من أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم التي من قبساتها أضاء الكون بنداء الصلاة وفيه «حيَّ على الفلاح» التي تتكرر على مسامعنا مع كل صلاة، مما يُشعر بأهمية الصلاة وأنها الطريق الأول للفلاح؛ كما تبرز أهمية الفلاح في المنظور الإسلامي.

فهل كلمة (الفلاح) هي الأدقّ، والأشمل لموضوع تطوير الذات؟ وهل يمكن اعتبارها -كلمة الفلاح- مدخلًا قرآنيًا لبناء منهجية عملية لتطوير الذات نحو النجاح في الحياة؟ هذا ما سيتضح من خلال أربعة أبعاد كما في الشكل (٤،٢) الآتي:

الشكل (٤،٢) الفلاح منهج قرآني عملي، لتطوير الذات نحو النجاح في الحياة



يتمثل البعد الأول في بيان المعنى اللغوي لكلمة (الفلاح) وعلاقتها بتطوير الذات. ويتمثل البعد الثاني في مناقشة المعنى الاصطلاحي لكلمة الفلاح وعلاقته بتطوير الذات. أما البعد الثالث فستوضح الباحثة من خلاله بعض اللطائف البلاغيَّة في جملة «حي على الفلاح»، لكونها أكثر عبارات الفلاح ترديدًا واستماعًا، وعلاقة تلك اللطائف بتطوير الذات.

فيما يشير البعد الرابع إلى ثلاث لطائف عدديَّة في آيات الفلاح، وعلاقتها بتطوير الذات؛ وآيات الفلاح هنا تعني: آيات القرآن الكريم التي وردت بها مشتقّات الفلاح: (تُفْلِحُوا - يُفْلِحُ - يُفْلِحُونَ- الْمُفْلِحِينَ- تُفْلِحُونَ- الْمُفْلِحُونَ- أَفْلَحَ) وعددها أربعون آية.

أ. المعنى اللغوي لكلمة الفلاح وعلاقته بتطوير الذات

أصل كلمة (الفلاح) مأخوذ من (فَلَحَ) الأرض، وفَلْحُ الأرض هو شقُّها (الشعراوي،١٩٩١). وتدل مادة (الفلاح) على الشقّ، كسائر الكلمات التي ينتظمها معه الاشتقاق الأكبر، كالفلج والفلق، ومن هنا سُمِّي الأكّار فلّاحًا، لأنه يشق الأرض لأجل الزرع (الخليلي، ٢٠١٢؛ وأبو حيان، ١٩٩٣).

فأصل (الفَلَاح) القطع والشق، ومنه سُمِّي الزرأّع فلَّاحًا لأنه يشقُّ الأرض، وفي المثل: «الحديد بالحديد يفلح» أي: يُشقّ (البغوي،١٩٩٥؛ وأبو حيان، ١٩٩٣؛ والزمخشري، ٢٠٠٩) ويضيف (الزمخشري، ٢٠٠٩) أن الفلَّاح يستخدم كافَّة أعضائه في الفلاحة فتشُق عليه، وتثقل.

فلماذا عبّر الحقّ سبحانه وتعالى عن النجاح الدائم بكلمة (الفلاح)؟ وما علاقة تطوير الذات والنجاح بالفِلاحة والأرض والنبات؟

يُعطينا الحق سبحانه صورة من واقعنا المشَاهَد، ويستعير من فلاحة الأرض ليعبِّر عن فلاح المؤمن وفوزه بالنعيم المقيم في الآخرة؛ فالفلَّاح يحرُث أرضه، ويسقيها، ويرعاها فتعطيه الحَبَّ، الذي إن تصدق بحبَّةٍ ستعدل سبعمائة حبة؛ جزاءً له في الآخرة، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ الذين يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ الله كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ والله يُضَاعِفُ لِمَن يَشَآءُ والله وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٦١). وبالتقصِّي عن علاقة الفلاحة، والأرض، والنبات بتطوير الذَّات، والنجاح في الحياة تشير الباحثة إلى ما يلي:

الفلاح أمرٌ مشهود؛ فحين يُعبِّر الله تعالى عن النجاح، وعن كل معاني الخير بكلمة (الفلاح)؛ إنما يعبر بأمر مشهود مُحس ويباشره الناس جميعًا؛ كون الفلاح من فَلَحَ الأرض، وفَلْحُ الأرض هو شقُّها، فإذا فلحْ الإنسان الأرض بهذه المشقة حرثًا وبذرًا وتعهدًا بالريّ، فإن الأرض تؤتي خيرًا ماديًا ملحوظًا. كذلك الحال في رحلة تطوير الذات؛ تتطلب أن يشقُّ الإنسان طريق النجاح بيده، ويبحر في أعماق ذاته مكتشفًا لها ومحللًا مكنوناتها، وأن يجتهد في الحرث والبذر والرعاية، ليأتي النجاح مشهودًا ملحوظًا بإذن الله (الشعراوي،١٩٩١).

و(الفَلاحُ) سعيٌ واجتهاد؛ فكما هو الحال في فلاحة الأرض وما يعتريها من جهد ومشقَّة، فإن تطوير الذات والسعي إلى تحقيق أهداف الحياة؛ يتطلَّب من السعي والاجتهاد ما يتطلبه. فلا يقال أفلح الرجل إذا فاز بمرغوبه عفوًا من غير تعب ولا معاناة، بل لا بد من تحقيق المعنى اللغوي- الفوز بالمطلوب- من السعي إلى الرغبة والاجتهاد لإدراكها (رضا، ١٩٩٠). وكما أن أمر الفلاحة شاقّ كذلك الحال في تطوير الذات فإنه يتطلب جهدًا ويواجه الفرد في رحلة التطوير مشقة لا مناص منها.

والفِلاحة تعب يثمرُ راحة؛ فكما أن كل ثمرة لا بُدَّ لها من حَرْث ومجهود، كذلك ثمرات النجاح تأتي على قَدْر تعب الفرد ومجهوده. ومن يتعب في أول حياته، ويتقن صنعة ما، أو علمًا من العلوم؛ سيرتاح في مستقبل حياته، والله تعالى لا يُضيع أجرَ مَنْ أحسن عملا. وكما أن الفلاح إذا تعب واجتهد زاد محصوله، كذلك المؤمن؛ كلما تعب في العبادة، واجتهد زاد ثوابه وتضاعف جزاؤه في الآخرة (الشعراوي،١٩٩١).

ومن علاقة الفلاحة بتطوير الذات والنجاح والفلاح -أيضًا- أن الثَّمر بيد الله؛ فكما أن مهمّة الفلاحة في الأرض مقتصرة على الحرث والسقي، وأن نموّ الزرع والثمر بيد الله لا دخل للإنسان فيه، ولا عمل، كذلك الحال في رحلة الإنسان لتطوير ذاته؛ فهو يبذل قصارى جهده لتحقيق أهدافه، ولكن نتيجة سعيه بيد الله، وهو الموفق سبحانه وتعالى. ولقد نبَّه الله تعالى بني الإنسان إلى هذه الحقيقة حتى لا يغترَّ بحركته في الحياة، ويقول أنه هو الذي يزرع (الشعراوي، ١٩٩١)؛ قال تعالى:﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۞ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ۞ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ (الواقعة: ٦٣- ٦٥).

والأرض حين تحرثها تكون خالية، ليس فيها شيء يُهْلَك، إذًا: المراد بالحرث هنا الزرع الناتج عن عملية الحرث، الضرورية لعملية الزراعة؛ لأنك بالحرث تثير التربة ليتخللها الهواء، فيزيد من خصوبتها وصلاحها لاستقبال البذرة. وأُولى خطوات تطوير الذات تنقية النفس وتطهيرها من العوائق والآفات؛ لتستقبل بذور الخير التي تُعينها على النجاح والفلاح.

ب. المعنى الاصطلاحي لكلمة الفلاح وعلاقته بتطوير الذات

حول معنى كلمة (الفلاح) يقول ابن منظور (٢٠٠٣، ٥٤٧/٢): «الفَلحُ والفلاحُ الفوز والنجاة والبقاء في النعيم والخير، وفي حديث أبي الدحداح: «بشَّرَكَ الله بخيرٍ وفَلْحٍ» أي: بقاءٍ وفوزٍ. وقال الأزهري: «إنما قيل في أهل الجنة مفلحون؛ لفوزهم ببقاء الأبد، وفلاحُ الدَّهر بقاؤه».

وقد أورد المفسرون تعريفات متقاربة (للفلاح)، عند تناولهم للآيات التي ذكرت فيها مشتقات (الفلاح)، وتدور تلك التعريفات حول معانٍ عديدة تمثل مجتمعة أهداف تطوير الذات وغايته، هي:

١. الفلاح: الظَّفْر بالبُغية، والفوز

ومعنى أفلح: فاز بأقصى ما تتطلع إليه النفس من خير. أكّد هذا المعنى جملة من المفسرين عند تناولهم للآيات التي ورد فيها مشتقات كلمة (الفلاح) كما يلي:

- الفلاح: الفوز والظفر بإدراك البغية (أبو حيان،١٩٩٣).

- الفلاح: إذا وجد الإنسان ما طلب، وإذا بلغ نهاية ما يأمل (السمرقندي،١٩٩٣).

- الفلاح: إدراك المطالب (الماوردي،٢٠٠٧)، ومنه قول الشاعر:

لَوْ كانَ حَيًّا مُدْرِك الفَلاحِ أدْرَكَهُ مُلاعِبُ الرِّمَاحِ

- الفلاح: الظفر بالبغية وبلوغها، وإدراك الأمل (ابن عطية، ١٩٩٣).

- الفلاح: إدراك الطلبة والظفر بالحاجة (الطبري، ٢٠٠٠).

ومنه قول لبيد بن ربيعة:

اعْقِلِي إنْ كُنْتِ لَمَّا تَعْقِلِي وَلَقَدْ أفْلَحَ مَنْ كانَ عَقَلْ

٢. الفلاح: السعادة

أكّد هذا المعنى للفلاح ما ذكره الماوردي (٢٠٠٧) في تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون:١) قال: قد سعد المؤمنون. وقال الأصفهاني (١٩٩٧، ٦٤٤) الفلاح: الظّفر بالسعادة التي تطيب بها الحياة الدنيا.

٣. الفلاح: النجاة

أكّد هذا المعنى جملة من المفسرين عند تناولهم للآيات التي وردت فيها مشتقات كلمة (الفلاح) كما يلي:

- الفلاح: النجاة من شرٍّ ما هُرِبَ منه (السمرقندي، ١٩٩٣).

- الفلاح: هو النجاة؛ ولذلك فُسِّر «المفلحون» بالمنجحين كما في تفسير ابن جرير. ويعني ذلك أنهم بلغوا الهدف المقصود، وأدركوا الضالة المنشودة (الخليلي، ٢٠١٢).

- الفلاح: النجاة من النار والفوز بالجنة (البغوي، ١٩٩٥).

فسَّر ابن عباس رضي الله عنهما المفازة بالأعمال الحسنة، ويجوز بسبب فلاحهم؛ لأنّ العمل الصالح سبب الفلاح، وهو دخول الجنة. ويجوز أن يسمى العمل الصالح مفازة؛ لأنه سببها (الزمخشري، ٢٠٠٩).

وهو كما يقول (الخليلي، ٢٠١٢) بأن الفلاح هو الفوز برضوان الله، الذي تترتب عليه النجاة من عقابه الأليم، والخلد في بحبوحة ثوابه، وذلك معنى ما رواه ابن جرير عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال في تفسير المفلحين أنهم؛ الذين أدركوا ما طلبوا، ونجوا من شر ما منه هربوا.

٤. الفلاح: صلاح الحال

أكّد هذا المعنى للفلاح ما ذكره ابن الجوزي (٢٠٠٢) أن الزجاج قال: المفلح: الفائز بما فيه غاية صلاح حاله. وقال ابن الأنباري: ومنه «حيَّ على الفلاح»، معناه: هلمّوا إلى سبيل الفوز والصلاح ودخول الجنة.

٥. الفلاح: البقاء

أكّد هذا المعنى جملة من المفسرين عند تناولهم للآيات التي ورد فيها مشتقات كلمة «الفلاح» كما يلي:

- الفلاح: البقاء في النعمة (السمرقندي، ١٩٩٣).

- الفلاح: البقاء؛ ويقول الماوردي (٢٠٠٧) معناه: قد بقيت لهم أعمالهم، وقيل: إنه بقاؤهم في الجنة. قولهم في الأذان: «حي على الفلاح» أي: حي على بقاء الخير، قال طرفة بن العبد:

أَفَبَعْدَنَا أو بَعْدَهُمْ   يُرْجَى لِغَابِرِنَا الْفَلَاحُ

- المفلحون: باقون في النعيم المقيم (البغوي، ١٩٩٥).

- الفلاح: البقاء؛ وقد وردت للعرب أشعار فيها الفلاح بمعنى البقاء (ابن عطية، ١٩٩٣)، كمثل:

لِكُلِّ هَمٍّ مِنَ الهُمومِ سَعَه   وَالمسيُ وَالصُبحُ لا فَلاحَ مَعَه

- الفلاح: البقاء؛ ويقول الطبري (٢٠٠٠) منه قول لبيد:

نحُلُّ بلادًا كُلُّها حُلَّ قَبْلَنَا   وَنَرْجُو الفَلاَحَ بَعْدَ عادٍ وحِمْيَرِ

وخلاصة القول، أن كلمة «الفلاح» كلمة شاملة لمعاني الخير، والنعيم، والبقاء، وهي الفوزُ، والظفر بالبُغية، وإدراك الأمل، وصلاح الحال، والنجاح، والسعادة، والحياة الطيِّبة. فلا كلمة أجمع لأبواب الخير مثل كلمة- «الفلاح»، وهي كما قال الزبيدي (١٩٩٤،١٩٩): «فليس في كلام العرب كلمة أجمع من لفظة «الفلاح» تستوعب الخير في الدنيا والآخرة، كما قاله أئمة اللسان».

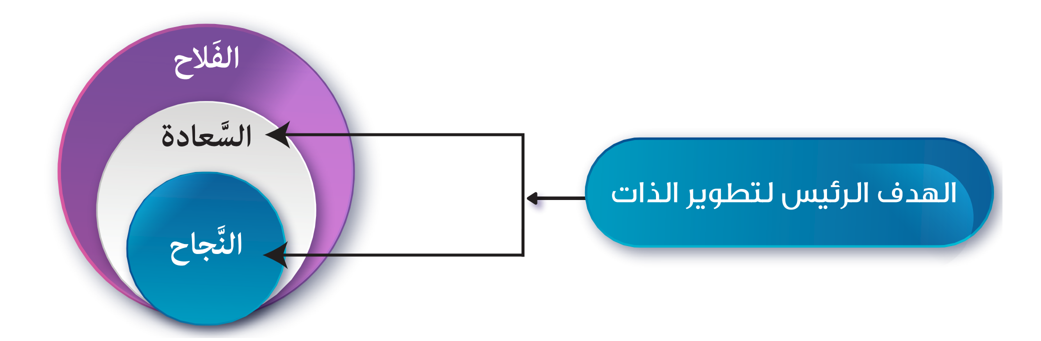
ويؤكِّد شمولية معنى الفلاح لمعاني الخير كُلِّه ما قاله الأصفهاني (١٩٩٧، ٦٤٤) في كتاب مفردات ألفاظ القرآن: «والفلاح: الظفر وإدراك البُغية، وذلك ضربان: دنيوي وأخروي؛ فالدنيوي: الظفر بالسعادات التي تطيب بها حياة الدنيا، وهو البقاء والغنى والعزّ. وفلاح أخروي؛ وذلك أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعزّ بلا ذل، وعلم بلا جهل». وبهذا يعطي الأصفهاني كلمة الفلاح معنى دنيويًا «وهو ما يطابق النجاح»، و معنى آخر أخرويًا.

ولتوضيح الفرق الجوهري بين النجاح، والفلاح يقول النابلسي (٢٠١٤): إن النجاح جزئي ومُحدَّد، والفلاح شمولي؛ لأنه نجاح في سرِّ وجود الإنسان وغايته؛ فالله جل جلاله خلق الإنسان للجنة، وخلقه للعبادة، فحينما يحقق العبادة التي تؤدي به إلى الجنة، فهذا هو الفلاح، لأنه بذلك حقق الهدف من وجوده. فقد ينجح الإنسان في جمع المال، ولا يكون ناجحًا في بيته وعلاقته مع زوجه، وقد ينجح في ارتقاء منصب رفيع، ولا ينجح في العناية بصحته، إذًا، فالنجاح جزئي، وفي موضوع معين. أما الفلاح فهو في عِلَّة الوجود وسرّه. والفلاح كل الفلاح للمؤمن؛ لأنه عرف سرّ وجوده وغايته. فالنجاح يمكن أن يكون في كل مكان في حدود الدنيا، ولكن الفلاح يكون في الدنيا والآخرة.

و«النجاح» من منظور غربي – والذي يعد الهدف الرئيس لتطوير الذَّات كما سبق بيانه- لا يتعدَّى تحقيق الأهداف الدنيويَّة؛ فقد جاء في موسوعة علم النفس أن النجاح يشير إلى «تحقيق الفرد لهدف كان قد حدده من قبل، أو إلى تحقيق مهمة لمؤسسة ما» (Sillamy,1980,1032). وتجد الباحثة أن ما قدَّمه الغربيون قد جاء في علومنا النقليَّة، وآراء المفسرين للقرآن الكريم قبل أكثر من ألف عام؛ فما تحقيق الأهداف إلا هو الفوز والظفر بالبغية وإدراك الأمل، لكن كلمة (الفلاح) لم تشمل ذلك فحسب؛ بل تضمَّنت كل معاني الخير، والسعادة، والنجاة، والأهم من ذلك البقاء في النعيم؛ فالفلاح لا ينحصر على الحياة الدنيا، وإنما يستمر ويمتدّ إلى الآخرة.

ولمقاربة كلمة (الفلاح) بموضوع تطوير الذَّات؛ فإنه - وكما سبقت الإشارة- أن كلمة (الفلاح) أعمّ وأوسع وأشمل وأدقّ من كلمتي «النجاح والسعادة» التي يعتبرها العديد من الباحثين، والمهتمين بتطوير الذَّات بأنها الغاية منه بصفة خاصة، ومن مختلف العلوم الإنسانية المعاصرة وبرامج التنمية البشرية، ووسائلها بصفة عامة (الشمراني، ٢٠١٦). ويوضح الشكل التالي علاقة النجاح، والسعادة بالفلاح من جهة وبتطوير الذات من جهة أخرى.

الشكل (٤،٣) علاقة النجاح والسعادة بالفلاح من جهة وبتطوير الذات من جهة أخرى



تستنتج الباحثة، أن كلمة (الفلاح)؛ كلمة إعجازية، ودقيقة لموضوع تطوير الذات؛ حيث إنها تعد نتيجة لتطوير الذات، لما تحمله من معاني الخير والفوز والسعادة، وفي الوقت نفسه تعد منهجية شاملة ومتكاملة لتطوير الذات، من أجل النجاح في الدين والحياة معًا. من خلال ما تبيَّن من معنى الفلاح المأخوذ من فلاحة الأرض، والشق والفلق؛ فقُرنت مشتقات كلمة (الفلاح) في القرآن الكريم بصفات الفلاح وأعمال المفلحين، وفي هذا تنبيه إلى أن الفَلاح لا يُنال إلّا بأعمال بيَّنها جل جلاله في كتابه، وما ذاك إلا سرٌّ من أسرار كتاب الله العظيم.

ج. لطائف بلاغيَّة في جملة «حيَّ على الفلاح» وعلاقتها بتطوير الذات

١. استخدام الفعل (حيَّ)

شُرع في نداء الصلاة (الأذان) النداء بـــ (حيَّ على الفلاح)، ولم يُستخدم مع كلمة (الفلاح) الفعل (هَلُمَّ) أو (أقْبِل) بدلًا من كلمة (حيَّ). فلكلمة (حيَّ) معانٍ عديدة لا غنى عنها لتطوير الذات، وبلوغ الفلاح، منها كما جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة أن الحيّ: اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الدّائم الوجود، وحي: مفرد

أحياء؛ صفة مشبَّهة تدلّ على الثبوت من حيِيَ، وأَرْض حيَّة: خصبة، وحَيّ الضَّمير: صادق أمين، وصاحب ضمير يقظ، وفلانٌ حَيُّ القلْب، وحي: نشيط، ذو حيويّة، وفاعليّة ملحوظة، وحيَّ بمعنى عجِّل، وحي على الفلاح فيه إشعار بطلب الإعجال فالمعنى أقْبِل مسرعًا (عمر، ٢٠٠٨). فمن الملاحظ أن جميع إسقاطات الفعل (حيّ) هي إسقاطات إيجابية، ذات أغراض سامية، تتناسب ورفعة الإنسان، وسموه، والمكانة السامقة التي وضعه الله فيها: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠).

٢. قول (حيَّ على الفلاح) وليس (حيَّ إلى الفلاح)

يقول عبد الكافي (٢٠١٧): أن (حيَّ) اسم فعل أمر بمعنى هَلُمَّ أو أقبل أو عجّل، ولا يسوغ في اللغة العربية أن يقال حيَّ على، وإنما يقال حيَّ إلى، بمعنى تعالَ إلى أو أقبل إلى؛ فمثلًا عندما يدعو شخص أحدًا لزيارته يقول: تعالَ إلى البيت أو إلى المؤسسة أو إلى المدرسة... وغير ذلك، ولا يقول له تعالَ على البيت أو غيره. لكن في النداء العجيب (أذان الصلاة) ينادي المؤذن (حيَّ على الصلاة)، و(حيَّ على الفلاح) وهو أمرٌ توقيفي من الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ليصدح الأذان بكلماته البليغة إلى يوم القيامة؛ فلا يقول المؤذن حيَّ إلى الصلاة، وحيَّ إلى الفلاح، وإنما يقول حيَّ على الصلاة، وحيَّ على الفلاح، وفي ذلك إشارة إلى علوّ الصلاة، وعلو قدرها، ودعوة للنفوس المؤمنة لعلوّ الهمم وتطوير الذات والسعي نحو الفلاح.

٣. قول (لا حول ولا قوة إلا بالله) بعد (حيَّ على الفلاح)

أمَرَ النبيُّ ﷺ السّامِعَ لِلأذانِ أن يُردِّد ما يسمعُه خلفَ المؤذِّن، فقال: إذا سَمِعتُم المؤذِّنَ فقولوا مِثلَ ما يقول، فالسامِعُ يُردِّد ما يقوله المؤذِّنُ إلّا في قولِه: (حَيَّ على الصَّلاة) و(حَيَّ على الفَلاحِ) فإنَّه يقول فيهما: لا حَوْلَ ولا قوَّةَ إلّا بالله. فقد جاء في صحيح مسلم من حديث عمر -رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {إذا قالَ المؤَذِّنُ: اللَّهُ أكْبَرُ اللَّهُ أكْبَرُ، فقالَ أحَدُكُمْ: اللَّهُ أكْبَرُ اللَّهُ أكْبَرُ، ثُمَّ قالَ: أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلّا اللَّهُ، قالَ: أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلّا اللَّهُ، ثُمَّ قالَ: أشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ قالَ: أشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ، ثُمَّ قالَ: حَيَّ على الصَّلاةِ، قالَ: لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلّا باللَّهِ، ثُمَّ قالَ: حَيَّ على الفَلاحِ، قالَ: لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلّا باللَّهِ، ثُمَّ قالَ: اللَّهُ أكْبَرُ اللَّهُ أكْبَرُ، قالَ: اللَّهُ أكْبَرُ اللَّهُ أكْبَرُ، ثُمَّ قالَ: لا إلَهَ إلّا اللَّهُ، قالَ: لا إلَهَ إلّا اللَّهُ مِن قَلْبِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ} (مسلم، ح:٣٨٥).

وفي هـذا الحديـثِ يُخـبِر ﷺ أنَّ مَـن ردَّد الأذانَ بلِسـانِه، وقلبِـه خلـفَ المـؤذِّنِ فإنَّـه يَدخُـل الجنَّـةَ بهـذا الفِعـل. ومـن الحِكَـم التـي يمكـن أن تسـتنبط في ذلـك أن الإنسـان لا حـول ولا قـوة لـه عـلى الفـلاح؛ إلا بإعانـة اللـه سـبحانه وتعـالى لـه (السـلمي، ٢٠١٦).

فمعنـى قـول المـؤذن (حـي عـلى الصـلاة، حـي عـلى الفـلاح) أي: هلمُّـوا إلى الصـلاة، هلمـوا إلى الفـلاح، فالإقبـال إلى الفـوز والنجـاة، لا يكـون إلا بحركـة، والعبـد لا قـدرة لـه عـلى شيء؛ ولـذا ناسـب أن يقـول لا (حـول ولا قـوة إلا باللـه) أي: لا حركـة، ولا اسـتطاعة لي عـلى شيء مـما طُلـب منـي إلا بقـوة اللـه تعـالى، وإرادتـه، (الطحطـاوي، ٢٠١٤: ٢٠٣).

كـما أن في إجابـة المـؤذن بــ (لا حـول ولا قـوة إلا باللـه) كنـزٌ عظيـم، كـما قـال رسـول -اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم- لعبداللـه بـن قيـس: {ألا أدُلُّكَ على كَلِمَةٍ هي كَنْزٌ مِـن كُنُـوزِ الجَنَّـةِ؟ لا حَـوْلَ ولا قُوَّةَ إلّا باللَّـهِ} (البخـاري، ح: ٧٣٨٤). وفيهـا الالتجـاء إلى اللـه، واعتـماد القلـب عليـه، فـلا حـول ولا قـوة للعبـد إلّا بـه سـبحانه. قـال الإمـام النـووي رحمـه اللـه: (الحـول) (الحركـة)، أي لا حركـة، ولا اسـتطاعة إلّا بمشـيئة اللـه، وقيـل: لا حـول في دفـع شر، ولا قـوة في تحصيـل خـير، إلا باللـه، وقيـل لا حـول عـن معصيـة اللـه إلّا بعصمتـه، ولا قـوة عـلى طاعتـه إلا بمعونتـه وتوفيقـه وتيسـيره (القحطـاني، ٢٠١٠ب).

كـما يستشـعر العبـد مـع حاجتـه للتغيـير، والانطـلاق نحـو الفـلاح؛ أنـه لا حـول لـه ولا قـوة إلّا باللـه، وأنـه مفتقـر إليـه، راجيًـا مـا عنـده مـن التوفيـق، والعـون والسَّـداد. والاسـتعانة باللـه مـن أهـم مبـادئ تطويـر الـذات.

د. لطائف عدديَّة في آيات الفلاح وعلاقتها بتطوير الذات

وجَّهـت الباحثـة جهدهـا -مسـتعينة باللـه- لحـصر الآيـات القرآنيـة التـي ورد فيهـا مشـتقات كلمـة (الفـلاح)، بقصـد دراسـتها، وتحليلهـا، واسـتنباط المنهجيـة العمليـة لتطويـر الـذات نحـو النجـاح في الحيـاة، وتصميـم مسـارات النجـاح وخطواتـه، وبنـاء مقيـاسٍ واضـح محكـم للفـلاح. ومـن خـلال تحليـل الباحثـة لآيـات (الفـلاح)؛ توصلـت إلى بعـض اللطائـف العدديـة التـي تربـط آيـات الفـلاح في القـرآن الكريـم، بتطويـر الـذات نحـو النجـاح في الحيـاة:

العدد (٤٠): عدد الآيات التي وردت بها مشتقات كلمة الفلاح

تكـررت مشـتقات كلمـة (الفـلاح) في القـرآن الكريـم في أربعـين (٤٠) موضعًـا، توزعـت في أربـعٍ وعشريـن (٢٤) سـورة، وذلـك في سـور: البقـرة (مرتـان)، آل عمـران (ثـلاث مـرات)، المائـدة (ثـلاث مـرات)، الأنعـام (مرتـان)، الأعـراف (ثـلاث مـرات)، الأنفـال (مـرة واحـدة)،

التوبة (مرة واحدة)، يونس (ثلاث مرات)، يوسف (مرة واحدة)، النحل (مرة واحدة)، الكهف (مرة واحدة)، طه (مرتان)، الحج (مرة واحدة)، المؤمنون (ثلاث مرات)، النور (مرتان)، القصص (ثلاث مرات)، الروم (مرة واحدة)، لقمان (مرة واحدة)، المجادلة (مرة واحدة)، الحشر (مرة واحدة)، الجمعة (مرة واحدة)، التغابن (مرة واحدة)، الأعلى (مرة واحدة)، الشمس (مرة واحدة).

العدد أربعون (٤٠) تكرَّر في مناسبات عديدة من آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، وبعض حكم، وأمثال العرب؛ ويظهر أنّ فيه سرًّا من أسرار الله الكامنة التي لا نحيط بها علمًا. لكن بعض أهل العلم أشاروا إلى أنه رقمٌ مبارك، ومؤشرٌ لمرحلة انتقالية جديدة، وهذا ما يتوافق مع مفاهيم تطوير الذات والنجاح التي عرضتها الباحثة في أكثر من موضع من هذه الدراسة.

فمن الآيات التي ورد فيها العدد أربعين قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (البقرة: ٥١)، وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة: ٢٦)، وقوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٢)، وقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ (الأحقاف: ٥١).

كما ورد العدد (٤٠) في كثير من الأحاديث النبوية الشريفة، التي لا مصادفة فيها إطلاقًا، منها قوله صلى الله عليه وسلم: {إنَّ أحَدَكُمْ يُجْمَعُ في بَطْنِ أُمِّهِ أرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذلكَ، ثُمَّ يَكونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إلَيْهِ مَلَكًا بأَرْبَعِ كَلِماتٍ، فيُكْتَبُ عَمَلُهُ، وأَجَلُهُ، ورِزْقُهُ، وشَقِيٌّ أوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فيه الرُّوحُ} (البخاري، ح:٣٣٣٢)، (مسلم، ح:٢٦٤٣). ويتضح من الحديث المراحل الانتقالية والتطور في الخلق كل أربعين يومًا.

ومن الأمثال العربية (مَنْ عاشر القوم أربعين يومًا صار منهم). وعاشر بمعنى خالط؛ فكأنهم أرادوا أن يقولوا أن البيئة لها تأثيرها بشكل أو بآخر على الشخص، إذ لابد أن تؤثر في طبيعته، فتكسبه سلوكًا جديدًا يجعله إلى حد ما كأنه شخص جديد له طبائع، وصفات جديدة، اكتسبها من البيئة الجديدة. ففترة الأربعين يومًا كافية للمشاهدة، والاطلاع، وبالتالي للتأمل والاكتساب (الفتال،١٩٨٤: ١٣٤).

العدد (٧): عدد أشكال مشتقات كلمة الفلاح

وردت مشتقات كلمة (الفلاح) في القرآن الكريم في سبعة نماذج، وهي: (تُفْلِحُوا - يُفْلِحُ - يُفْلِحُونَ- الْمُفْلِحِينَ- تُفْلِحُونَ- الْمُفْلِحُونَ- أَفْلَحَ).

وحول أسرار العدد سبعة يقول الكحيل (٢٠١١): أن الرقم سبعة (٧) يملك دلالات كثيرة في الكون والقرآن، وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم وتكرار هذا الرقم في كتاب الله جاء بنظام مُحكم؛ ومن تلك الدلالات؛ عندما بدأ الله خلق هذا الكون، اختار الرقم سبعة ليجعل عدد السماوات سبعة، وعدد الأراضين سبعة. يقول عزَّ وجلَّ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (الطلاق: ١٢)، حتى الذرَّة التي تُعدُّ الوحدة الأساسية للبناء الكوني؛ تتألف من سبع طبقات إلكترونية ولا يمكن أن تكون أكثر من ذلك. كما أن عدد أيام الأسبوع سبعة، وعدد ألوان الطيف الضوئي المرئي هو سبعة. ويجب ألا يغيب عنا أن علماء الأرض اكتشفوا حديثًا أن الكرة الأرضية تتكون من سبع طبقات. وكما هو ملاحظ أن مما يشير إليه الرقم سبعة التدرج والطبقات، والمستويات الدنيا والعليا؛ كما هو الحال بين الناس في سعيهم لتطوير الذات وتحقيقهم للنجاح.

العدد (٦): عدد أنواع ما يسبق مشتقات كلمة الفلاح

تباينت الأسماء والأدوات والحروف التي تسبق مشتقات «الفلاح»؛ لكنها تنحصر في ستة (٦) أنواع هي: (لن، لا، فعسى، لعلكم، هم، قد)، جاءت على نحو: (**لَن** تُفْلِحُوا، **لا** يُفْلِحُ ، **فَعَسَىٰ** أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ، **لَعَلَّكُمْ** تُفْلِحُونَ ، **هُمُ** الْمُفْلِحُونَ، **قَدْ** أَفْلَحَ) الأمر الذي يفتح آفاقًا رحبة للتدبر، والاستنباط، وابتكار تصنيف جديد لمسارات النجاح، وخطواته.

وحول العدد ستة (٦) وعلاقته بتطوير الذات يقول الشعراوي (١٩٩١) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (الأعراف: ٥٤) أنَّ الحق جعل لكل مسألة كتابًا، فهو قد خلق السماء والأرض في ستة أيام. ويُقال لمن تعجَّل أمرًا: «إن ربنا خلق السماء والأرض في ستة أيام؛ فلا تتعجل الأمور». فالله جل جلاله قادر على أن ينجز خلق السماء، والأرض كونًا؛ بكن، فيكون، لكنه تعالى خلقها في ستة أيام؛ وفي هذا تعليم للناس أن يتمهلوا، ولا يتعجلوا. وهو مبدأ من المبادئ الأساسية في رحلة تطوير الذات نحو النجاح؛ إذ يتطلب الصبر، والتأني، مع الاجتهاد والعمل.

المطلب الثاني

مسارات النجاح وخطواته في ضوء آيات الفلاح

كما أشرنا سابقًا، أن بناء منهجية عملية لتطوير الذات سينطلق من بناء مسارات للنجاح في ضوء آيات الفلاح؛ وقد صنفت الباحثة آيات الفلاح إلى ستة مسارات أو مستويات، بناءً على الأسماء، والأدوات، والحروف التي سبقت مشتقات كلمة (الفلاح)، وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب تفسير القرآن الكريم، لأجل استيضاح معاني الآيات، ومعاجم اللغة العربية؛ لبيان خصائص تلك الكلمات، والحروف، التي تسبق مشتقات (الفلاح). وعليه فقد صنّفت الباحثة آيات الفلاح مستخدمة كلمة (النجاح) لتقريب المعنى، لتستخلص مسارات، ومستويات للنجاح كما يوضحها الشكل (٤،٤) الآتي:

الشكل (٤،٤) مسارات النجاح في ضوء آيات الفلاح



يمثل الشكل (٤،٤) مسارات النجاح، حين اعتمدت الباحثة ستة ألوان للتمييز بين المسارات، هي الألوان التي ذُكرت في القرآن الكريم، وقد تم تصنيفها لمسارات النجاح الستة بالاستعانة بما أوضحته المرازقة (٢٠١٠) في دراستها حول اللون، ودلالاته في القرآن الكريم. وهي: (الأسود، الأزرق، الأحمر، الأصفر، الأخضر، الأبيض) وتوضح الباحثة دلالات الألوان، وتناسبها مع كل مستوى على النحو الآتي:

أ. الأبيض والأسود: لونان متضادَّان، ارتبطا معًا، قال الأصفهاني (١٩٩٧) في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٦-١٠٧) أن البياض في الألوان ضدّ السواد؛ فاعتمدت الباحثة اللون الأسود للمسار الأول (الأدنى) الذي تمثله آية الفلاح ﴿وَلَن تُفْلِحُوا﴾،

فيما اعتمدت اللون الأبيض للمسار السادس (الأعلى) الذي تمثله آيات ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾.

ب. اللون الأزرق: من دلالاته أنه لون وجوه الكافرين عند الحشر من شدة أهوال يوم القيامة، والخوف والرهبة، ورد في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ (طه: ١٠٢)؛ فاعتمدت الباحثة اللون الأزرق للمسار الثاني؛ الذي تمثله آيات (لا يفلح) منها قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (يونس:١٧).

ج. اللون الأحمر: من دلالاته أنه علامة تحذير لوجود خطورةٍ ما، يجب التنبّه إليها، أو التوقّف عندها؛ وقد ورد في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (فاطر:٢٧). فاعتمدته الباحثة للمسار الثالث (بداية النجاح)، الذي يمثله قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ (القصص:٦٧) فناسب اللون مع ما تضمنه المسار من معان التوبة كاليقظة والانتباه.

د. اللون الأصفر: لون الذهب، من دلالاته أنه لون التنوير، والتركيز، ويساعد في عمل الذاكرة، ويُشعر الناظرين بالغبطة والسرور، كما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ (البقرة:٦٩). فاعتمدت الباحثة اللون الأصفر للمسار الرابع (بداية النجاح) الذي تمثله آيات ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وهو مسار التعلُّم، والسير في طريق النجاح.

هـ. اللون الأخضر: من دلالاته أنه يشير إلى اخضرار الأرض، بالزرع والنبت، ولون لباس أهل الجنة، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ (الكهف:٣١).

فاعتمدت الباحثة اللون الأخضر للمسار الخامس (تحقيق النجاح) الذي تمثله آيات ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وهو مسار العمل الذي استحقوا به النجاح.

وفيما يلي توضيح للمسارات، والمبررات التي في ضوئها اعتمدت موضع كل مستوى:

أ. المسار الأول (الأدنى): استحالة النجاح

يمثل المسار الأول أدنى المستويات، مسارٌ يستحيل فيه النجاح، وتمثل هذا المسار الآيات التي تسبق مشتقات الفلاح أداة النفي (لن)؛ حيث جاء ذلك في آية واحدة فقط في القرآن الكريم، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ (الكهف: ٢٠)؛ فكما ينتفي الفلاح حاضرًا، ينتفي حتى في المستقبل، وهذا الطريق يسلكه أولئك الذين يعرضون عن النجاح، والفلاح كِبرًا وعنادًا، وإصرارًا على التمسك بعقائدهم الباطلة، وفي الوقت نفسه هم في شقاق وعداء لا ينتهي مع الناجحين، فإما أن ينضمّوا إليهم، أو أن توأد أرواحهم، وطموحاتهم. ويبيِّن جدول (٤،١) المسار الأول وآيات الفلاح التي تمثله.

الجدول (٤،١)

المسار الأول "استحالة النجاح" والآية التي تمثله (لن تفلحوا)

المسار الأول: استحالة النجاح ﴿وَلَن تُفْلِحُوا﴾		
عدد الآيات التي تمثله: (١) / نصّ الآيات	(السورة: الآية)	مكية/مدنية
﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ **وَلَن تُفْلِحُوا** إِذًا أَبَدًا﴾	(الكهف:٢٠)	مكية

ولأن صيغة «وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا» تنفي الفلاح في المستقبل، فلا أمل أصلًا في فلاحهم؛ كما يقول ابن عاشور (١٩٨٤، ١٥/ ٢٨٧) أنه أكّد التحذير من الإرجاع إلى ملتهم -والملة الدين- بأنه يترتب عليه انتفاء فلاحهم في المستقبل، لما دل عليه حرف (إذا) من الجزائية. و«أَبَدًا» ظرف للمستقبل كله وتدل على استمرار الانتفاء في المستقبل، وهو تأكيد لما دلَّ عليه النفي بـ (لن) من التأييد أو ما يقاربه.

وترى الباحثة أنه ورغم أن فتية الكهف كانوا من المفلحين ولا ريب؛ إلّا أن هذه الصيغة على لسان فتية الكهف تشير إلى أُناس وأقوام «لن يفلحوا أبدًا» هم القوم الذين فرَّ منهم فتية الكهف إلى كهفهم. كما لاحظت الباحثة -أيضًا- في السورة نفسها

-الكهف- التي ورد فيها قوله تعالى: ﴿وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ (الكهف: ٢٠) مظهرًا آخر من مظاهر هذا المستوى، ولكن بتأبيد عدم الهداية: «فلن يهتدوا إذًا أبدًا» في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ (الكهف: ٥٧). يقول الشعراوي (١٩٩١، ٨٩٤٤) في تفسير الآية ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أكنة: أغطية جمع كِنّ، فجعل الله على قلوبهم أغطية، فلا يدخلها الإيمان، ولا يخرج منها الكفر، وذلك استجابة لما طلبوا، وتلبية لما أحبُّوا، فلما أحبُّوا الكفر، وانشرحتْ به صدورهم زادهم منه. ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ أي: صمم فلا يسمعون، ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إلى الهدى فَلَنْ يهتدوا إِذًا أَبَدًا﴾ وهذا أمر طبيعي، بعد أن ختم الله على قلوبهم وعلى أسماعهم، وسدّ عليهم منافذ العلم والهداية. وإذا كانوا بهذه الحالة؛ فليس لهدايتهم من سبيل.

أي أن هناك فئة من الناس -يعلمهم الله وحده جلّ جلاله- ممن قال فيهم: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة: ٧). وكثيرة هي الآيات في كتاب الله الحكيم، التي تبين خصائص، وصفات هؤلاء القوم الذين لا فلاح لهم أبدًا ولا هدى. فالنجاح مستحيل لهؤلاء الذين حادوا عن طريق الفلاح، وانتهى بهم السير إلى مهاوي الخسران والعياذ بالله. وبالتالي فإن الطريق مسدود أمام هذه الفئة للانتقال إلى المسار الثاني.

ب. المسار الثاني: فقدان النجاح

يأتي المسار الثاني (فقدان النجاح) بعد مسار (استحالة النجاح)، وتمثل هذا المسار الآيات التي تسبق مشتقات الفلاح كلمة لا (النافية)، (لا يفلح)؛ حيث جاء ذلك في إحدى عشرة (١١) آية، وتبيِّن فقدان النجاح الحقيقي، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (يونس: ٦٩)، و﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (الأنعام: ٢١). فالطريق مظلمٌ، والنجاح مفقود، فـــ (لا نجاح) حقيقي في الواقع، لكنه قد يُبصر النور مستقبلًا حال التخلُّص حقًا من موانع النجاح ومعوقاته؛ حيث يتمثل هذا المسار بوجود سدٍّ منيع يحُول دون نجاح حقيقي.

وكما سبقت الإشارة؛ تمثل هذا المسار الآيات التي تسبق مشتقات الفلاح (لا) النافية؛ وعددها (١١) إحدى عشرة آية، موضحة في جدول (٢،٤).

الجدول (٢،٤)

المسار الثاني (فقدان النجاح) والآيات التي تمثله (لا يفلح)

المسار الثاني: فقدان النجاح ﴿لَا يُفْلِحُ﴾		
عدد الآيات التي تمثله: (١١) / نصّ الآيات	(السورة: الآية)	مكية/مدنية
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ **لَا يُفْلِحُ** الظَّالِمُونَ﴾	(الأنعام:٢١)	مكية
﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ **لَا يُفْلِحُ** الظَّالِمُونَ﴾	(الأنعام:١٣٥)	مكية
﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ **لَا يُفْلِحُ** الْمُجْرِمُونَ﴾	(يونس:١٧)	مكية
﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ **لَا يُفْلِحُونَ**﴾	(يونس:٦٩)	مكية
﴿قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَ**لَا يُفْلِحُ** السَّاحِرُونَ﴾	(يونس:٧٧)	مكية
﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ **لَا يُفْلِحُ** الظَّالِمُونَ﴾	(يوسف:٢٣)	مكية
﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ **لَا يُفْلِحُونَ**﴾	(النحل:١١٦)	مكية
﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَ**لَا يُفْلِحُ** السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾	(طه:٦٩)	مكية
﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ **لَا يُفْلِحُ** الْكَافِرُونَ﴾	(المؤمنون:١١٧)	مكية
﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ **لَا يُفْلِحُ** الظَّالِمُونَ﴾	(القصص:٣٧)	مكية
﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ **لَا يُفْلِحُ** الْكَافِرُونَ﴾	(القصص:٨٢)	مكية

ومن الملاحظ أن جميع الآيات في هذه المجموعة التي تمثل (معوقات أو موانع الفلاح)، وردت في (٧) سبع سُوَر جميعها مكيَّة، هي: (الأنعام، يونس، يوسف، النحل، طه، المؤمنون، القصص) كما هو الحال في الآية التي تمثل المسار السابق؛ وقد يُعزى ذلك إلى أهمية التحذير من الآفات العظيمة التي كانت منتشرة آنذاك كالكفر والظلم والسحر والافتراء على الله وتكذيب آياته.

إن ثمة أعمالًا وصفات تمنع أصحابها من الفلاح، ورأس ذلك الظلم، وأعظم الظلم الشرك ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (الأنعام: ٢١) فالكذب على الله تعالى بتحليل المحرمات، أو تحريم المباحات، أو إسقاط الواجبات، أو تبديل الشريعة لهوى النفس أو لإرضاء الغير سبب كبير لنفي الفلاح ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (النحل: ١١٦).

إذًا هذا المسار كسابقه من حيث الغفلة المسيطرة على أصحابه، وارتكاب أسوأ المخالفات من ظلم وكذب وسحر، وإن ظهر في أعين الناس نجاحهم الدنيوي؛ فهو صعود على أنقاض الآخرين؛ ظلمًا وزورًا، ولن يجد أصحابه حلاوة أبدًا ما داموا واقعين في شراك الغفلة، ولم ينهضوا لنجاتهم وسعادتهم، ولم يتخلَّصوا من معوقات النجاح الحقيقي كالكِبر والظلم والحقد وغيرها.

ج. المسار الثالث: بداية النجاح

يأتي مسار (بداية النجاح) بعد مسار (فقدان النجاح)، وهو المسار الذي يمثل الخطوة الأولى على طريق النجاح، وتمثل هذا المسار الآيات التي تسبق مشتقات الفلاح كلمة (فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ)؛ حيث جاء ذلك في آية واحدة من آيات الفلاح وهي قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ (القصص: ٦٧) معلنةً أن أبواب النجاح والفلاح مفتوحة بوجه من أراد، وبأي مرحلة كانت من الذنب والإثم؛ ويتلخص الطريق في ثلاث جُمَل هي التوبة إلى الله، والإيمان، والعمل الصالح؛ لتكون العاقبة النجاة والفلاح بإذن الله.

واختارت الباحثة هذه الصيغة من الصيغ التي وردت بها مشتقات (الفلاح) لتكون في هذا الموضع تحديدًا، لأن الدخول إلى هذا المسار كأولى الخطوات على طريق النجاح يتطلب توبة، وإيمانًا، وعملًا صالحًا ويضيف عليها النابلسي (٢٠١٦) شرط (الإخلاص) معلِّلًا أن كلمة (عسى) جاءت تحفُّظًا من أجل الإخلاص أي (إن كان مخلصًا). وقوله تعالى في سورة الحجرات يعزز رؤية الباحثة في كون هذا المسار يمثل الخطوة الأولى على طريق النجاح؛ حيث قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات: ١١)؛ وفئة الظالمون؛ جاءت في المسار السابق (الثاني) كما

تمّ بيانه. كما أن السحرة والمجرمين أمامهم طريقان: إما أن يبقوا في المسار الثاني بسبب كِبرهم وعنادهم، ولا فلاح لهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ (يونس: ٧٧)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (يونس:١٧) وإما أن يتوبوا ويؤمنوا ويعملوا صالحًا، لينتقلوا من المسار الثاني الذي تمثله الآيات، إلى المسار الثالث، وهو الخطوة الأولى للنجاح مثلما فعل سحرة فرعون ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ❁ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ٤٦-٤٧). وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا ❁ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا﴾ (طه: ٧٤-٧٥).

وكما سبقت الإشارة؛ تمثل هذا المسار الآيات التي تسبق مشتقات الفلاح كلمة (فعسى أن يكون من) كما هو موضح في جدول (٣،٤).

الجدول (٣،٤)

المسار الثالث (بداية النجاح) والآية التي تمثله (فعسى أن يكون من المفلحين)

المسار الثالث: بداية النجاح ﴿ فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾		
عدد الآيات التي تمثله: (١) / نصّ الآيات	(السورة: الآية)	مكية/مدنية
﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا **فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ**﴾	(القصص:٦٧)	مكية

ومعنى التوبة في الآية السابقة: الإقلاع عن الشرك، والندم على تقلُّده، وعطف الإيمان عليها، لأن المقصود حصول الإقلاع عن عقائد الشرك، وإحلال عقائد الإسلام محلها؛ ولذلك عطف عليه ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾؛ لأن بعض أهل الشرك كانوا شاعرين بفساد دينهم، وكان يصدهم عن تقلُّد شعائر الإسلام أسباب مغرية، من الأعراض الزائلة التي فُتِنوا بها (ابن عاشور: ١٩٩٤).

ويبين الشعراوي (١٩٩١) أن الله تعالى فتح باب التوبة ليس رحمة من الله للتائب فقط، ولكن رحمة لكل مَنْ يشقى بعصيان غير التائب، ولو أغلق باب التوبة في وجه العاصي، ليئس وتحول إلى (فاقد) يشقى به المجتمع طوال حياته، إذًا: ففتْح باب التوبة رحمة بالتائب، ورحمة بمجتمعه، بل وبالإنسانية كلها، رحمة بالعاصي وبِمَنِ اكتوى بنار المعصية.

فهذا المسار يقظة، ومراجعة، وعزمٌ، وعمل على تصويب المسار نحو طريق النجاح، ويُظهر أصحابه تواضعًا، ووقوفًا عند حدود الله، ولسان حالهم يقول: الحق أحق أن يُتّبع، وإن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل. فاستيقظت أرواحهم، وأشرقت قلوبهم بالإرادة، والعزيمة، والمبادرة، والتحدي. فكان هذا المسار أولى خطوات النجاح، بعد تخليص النفس من المفاسد، وغرس بذُور حُبَّ الخير للآخرين، وتجنب الإضرار بهم، والصعود على أنقاضهم.

د. المسار الرابع: على طريق النجاح

يأتي مسار (على طريق النجاح) بعد مسار (بداية النجاح)، وتمثل هذا المسار (١١) إحدى عشرة آيةً تسبق مشتقات الفلاح فيها كلمة (لعلَّكم)؛ ويتمثل هذا المسار في إحدى عشرة آية خُتمت بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وهو مسار يتضمن ثوابت قوية يجب تعلُّمها للوصول إلى النجاح، ولا ريب أن معرفة طريق الحق تسهّل سلوكه؛ و تفصيل الكلام في (لعلّ) في القرآن الكريم، ومعانيها يطول؛ وترى الباحثة أن خلاصة القول فيها ما قاله مصطفى (١٩٨٨: ٥١) أنها: «ترجية من الله واقعة لكماله، والترجية من غيره متوقعة لعجزه».

الجدول (٤،٤)

المسار الرابع (على طريق النجاح) والآيات التي تمثله (لعلكم تفلحون)

المسار الرابع: على طريق النجاح ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾		
عدد الآيات التي تمثله: (١١) / نصّ الآيات	(السورة: الآية)	مكية/مدنية
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ **لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾	(البقرة:١٨٩)	مدنية
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ **لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾	(آل عمران:١٣٠)	مدنية
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ **لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾	(آل عمران:٢٠٠)	مدنية
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ **لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾	(المائدة:٣٥)	مدنية
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ **لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾	(المائدة:٩٠)	مدنية
﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ **لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾	(المائدة:١٠٠)	مدنية
﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ **لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾	(الأعراف:٦٩)	مدنية
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا **لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾	(الأنفال:٤٥)	مدنية

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ **لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾	(الحج:٧٧)	مدنية
﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ* وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ **لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾	(النور:٣٠-٣١)	مدنية
﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا **لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾	(الجمعة:١٠)	مدنية

ويوضح جدول (٤،٤) الآيات التي تمثل المسار الرابع. وأمّا سرّ تصنيف الباحثة لآيات (الفلاح) ولتكون الآيات التي خُتمت بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ في هذا المسار أي بعد المسار الذي تضمن الآية: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ (القصص:٦٧)، فقد تلاحظ لدى الباحثة أنه في المسار السابق (الثالث) انتقال من الكفر، والظلم، إلى بداية طريق الهداية والنور: (تَابَ وَآمَنَ)، أما في هذا المسار (الرابع) فإن غالبية الآيات المختومة بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ جاءت نداءات من الرحمن لأهل الإيمان؛ حيث جاءت عشرُ آيات منها مخاطبة للمؤمنين، وموجهة لهم، منها ست (٦) آيات افتتحت بنداء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ٢٠٠)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٣٥) مما يدل على أنها آيات تعليمية واستكمالًا للمسار السابق؛ أي للذين داوموا على التوبة والإيمان والعمل الصالح.

وكما يقول الجزائري (٢٠٠٢، ٩) أن الله تعالى إذا نادى عباده المؤمنين، إنما يناديهم ليأمرهم بما فيه سعادتهم، وكمالهم، أو لينهاهم عما فيه شقاؤهم، ونقصانهم، أو يبشرهم، أو ينذرهم، أو ليعلمهم ما ينفعهم. ولنستمع إلى عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- وقد قال له رجل: اعهد إليّ يا عبدالله، فقال له: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فأعِرْها سمعك، فإنه خيرٌ يُؤمر به، أو شرٌ يُنهى عنه.

يقول الشعراوي (١٩٩١) أن هذه الأوامر هي ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ومن عَشِقَ الفلاحَ، فعليه أن ينفذها. ولذلك استخلصت الباحثة أهم الصفات التي تميز أصحاب هذا المسار، والتي تتمثل في (التعلُّم، والتخطيط، والصبر، ومجاهدة النفس).

هـ. المسار الخامس: تحقيق النجاح

يأتي مسار (تحقيق النجاح) بعد مسار (على طريق النجاح)، وتمثل هذا المسار الآيات التي تسبق مشتقات الفلاح الضمير (هم)؛ حيث جاء ذلك في (١٢) إثنتي عشرة آية، منها قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: ٥)؛ و(هُم) ضمير للفصل، والمقصود أن هؤلاء مفلحون (ابن عاشور، ١٩٨٤). وعلى أنهم الذين حصلت لهم صفة المفلحين، وتحققوا ما هم، وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هُمْ (الزمخشري، ٢٠٠٩).

وأمّا سرّ تصنيف الباحثة لآيات (الفلاح) ولتكون الآيات التي خُتمت بقوله تعالى: ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ في هذا المسار أي بعد المسار السابق الذي ختمت فيه آيات الفلاح بـ ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لأن المسار السابق (لعلكم تفلحون) مسار للتعلم، والعزم على المضي في طريق النجاح،كما سبقت الإشارة، أما هذا المسار فهو مسار تحقَّقَ فيه النجاح، ويستمر الجهاد للوصول إلى القمة، مثلما يشير الضمير (هم) إلى ذلك. كما أن اسم الإشارة (أولئك) في قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: ٥) يثبت فلاح مَنْ تحلى بتلك الصفات؛ فالآيات التي ختمت بـ ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ تبين صفات المفلحين الذين استجابوا لأوامر الله، وانتهوا عن نواهيه، وتعتقد الباحثة أن هذا المسار هو تطبيق لما جاء من أوامر في المسار الرابع.

يبيِّن جدول (٤،٥) المسار الخامس وآيات الفلاح التي تمثله.

الجدول (٤،٥)

المسار الخامس (تحقيق النجاح) والآيات التي تمثله (هم المفلحون)

المسار الخامس: تحقيق النجاح ﴿ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾		
عدد الآيات التي تمثله: (١٢) / نصّ الآيات	(السورة: الآية)	مكية/مدنية
﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ **هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾	(البقرة: ١-٥)	مدنية
﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ **هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾	(آل عمران:١٠٤)	مدنية
﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ **هُمُ الْمُفْلِحُونَ** * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾	(الأعراف:٨-٩)	مدنية
﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ **هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾	(الأعراف:١٥٧)	مدنية
﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ **هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾	(التوبة:٨٨)	مدنية
﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ **هُمُ الْمُفْلِحُونَ** * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾	(المؤمنون: ١٠٢-١٠٣)	مكية
﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ **هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾	(النور:٥١)	مدنية
﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ **هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾	(الروم:٣٨)	مكية
﴿الم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ **هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾	(لقمان:١-٥)	مكية

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ إلا إن حِزْبَ اللَّهِ **هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾	(المجادلة:٢٢)	مدنية
﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ **هُمُ الْمُفْلِحُونَ** * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾	(الحشر:٨-١٠)	مدنية
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ ۗ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ **هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾	(التغابن:١٦)	مدنية

يمثل المسار الخامس الآيات التي تسبق مشتقات الفلاح كلمة (هُم)؛ حيث خُتمت إثنتا عشرة آية بقوله تعالى: **﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾؛** وهذه الآيات تمثل صفات، وخصالًا تميّز بها فئة من المؤمنين، فكانوا من المفلحين. ويوضح الجدول (٤،٦) مزيدًا من المبررات التي اعتمدتها الباحثة لتصنيف المسارين الرابع والخامس.

الجدول (٦،٤)

مقارنة بين آيات (لعلكم تفلحون) وآيات (هم المفلحون)

الموضوع	المسار الرابع آيات ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	المسار الخامس آيات ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
التقوى	**- أمر بالتقوى:** تضمنت خمس (٥) آيات تأمرُ بالتقوى، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾_(البقرة: ١٨٩) ، وآيتان في سورة آل عمران: ١٣٠و ٢٠٠_وآيتان في سورة المائدة: ٣٥ و١٠٠	**- هم المتقون:** أول وصف للمفلحين في كتاب الله هو «التقوى» قال تعالى: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ *....* أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ومن التقوى طاعتهم لله ورسوله ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (النور: ٥١)
الصلاة والعبادة	**- أمرٌ بالصلاة والعبادة:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الحج: ٧٧)	**- يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة:** ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (لقمان: ٤-٥)
فعل الخير	**- أمر لفعل الخير:** ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الحج: ٧٧)	**- يدعون الغير للخير:** ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤)
الجهاد	**- أمر بالجهاد:** ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٣٥)	**- جاهدوا:** ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (التوبة: ٨٨)
الرِّبا	**- أمر بترك الربا:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:١٣٠)	**- لم يتركوا الربا فحسب بل يؤثرون على أنفسهم:** ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩)

و. المسار السادس: الارتقاء بالنجاح واستدامته

يمثل هـذا المسـار أعـلى مسـتويات النجـاح المتمثـل بــ (الارتقـاء بالنجـاح واسـتدامته)؛ ويتضمَّـن الآيـات التـي تسـبق مشـتقات الفـلاح حـرف التحقيـق (قـد)؛ التـي تثبـت المتوقـع؛ ولا شـك أن المؤمنـين متوقعـين هـذه البشـارة؛ وهـي الإخبـار بثبـات الفـلاح لهـم (الزمخشري، ٢٠٠٩). قـال البغـوي (١٩٩٥): (قـد) حـرف تأكيـد، يـدل عـلى أن الفـلاح قـد حصـل لهـم، وأنهـم عليـه في الحـال. جـاءت (قـد) في مطلـع سـورة المؤمنـون لتحقيـق الفـلاح الـذي يتوقعـه المؤمنـون، و(أَفْلَحَ) أي: دخـل في الفـلاح، كــ «أَصْبَحَ» دخـل في الصبـاح، و(أَبْشَرَ) دخـل في البشـارة، والفـلاح الظفـر بالمـراد، وقيـل البقـاء في الخـير (عامـر، ١٩٧٧). ويذكـر أنّ آيـات سـورة المؤمنـون (١-١١) تتضمـن جميـع حـالات قـد أفلـح.

وجــاءت صيغــة (قــد أفلــح) في أربــع آيــات مــن القــرآن الكريــم، وهــي في قولــه تعـالى: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ﴾ (طـه: ٦٤)، و ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون:١)، و ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ﴾ (الأعلى: ١٤)، و﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (الشمس: ٩).

أمـا في قولـه تعـالى: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ﴾ (طـه: ٦٤) هـذه الآيـة وردت عـلى لسـان السـحرة؛ أي ظفـر، وفـاز ببغيتـه مـن طلـب العلـوّ في أمـره، وسـعى سـعيه. وهـذا الفـلاح ليـس هـو الفـلاح المنجـي في الآخـرة، وإنمـا مـا يظنونـه فلاحًـا، هـو هنـا بمعنـى نجـاح دنيـوي فقـط وليـس فلاحًـا (النابلـسي، ٢٠١٦).

ويوضح الجدول (٤،٧) آيات الفلاح التي تمثل المسار السادس.

الجدول (٤،٧)

المسار السادس (الارتقاء بالنجاح واستدامته) وآيات الفلاح التي تمثله (قد أفلح)

المسار السادس: قمة الفلاح ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾		
عدد الآيات التي تمثله: (٤) / نصّ الآيات	(السورة: الآية)	مكية/مدنية
﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَ**قَدْ أَفْلَحَ** الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ﴾	(طه:٦٤)	مكية
﴿**قَدْ أَفْلَحَ** الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)﴾	(المؤمنون:١-١١)	مكية
﴿**قَدْ أَفْلَحَ** مَنْ تَزَكَّىٰ﴾	(الأعلى:١٤)	مكية
﴿**قَدْ أَفْلَحَ** مَنْ زَكَّاهَا﴾	(الشمس:٩)	مكية

وترى الباحثة أن آيات (قد أفلح) ترتبط ارتباطًا وثيقًا بتطوير الذات، وتزكية النفس؛ لكن جميعها يمكن تضمين أهدافها في الآيات التي تتضمن قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون:١-١١)، التي عدَّتها الباحثة؛ أنها التي تمثل أعلى مستويات النجاح، وذلك للمبررات التالية:

أ. **سُمِّيت سورة (المؤمنون)** بهذا الاسم لافتتاحها بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾، وهي السورة الوحيدة التي افتُتحت بـالفلاح؛ فقد افتتح الله بها السورة لتكون هي المركزية، والمحورية لسعي المؤمن، و (قد أفلح المؤمنون) هي قضية سورة (المؤمنون) الرئيسة بأوجز العبارات (الزمخشري، ١٩٩٥).

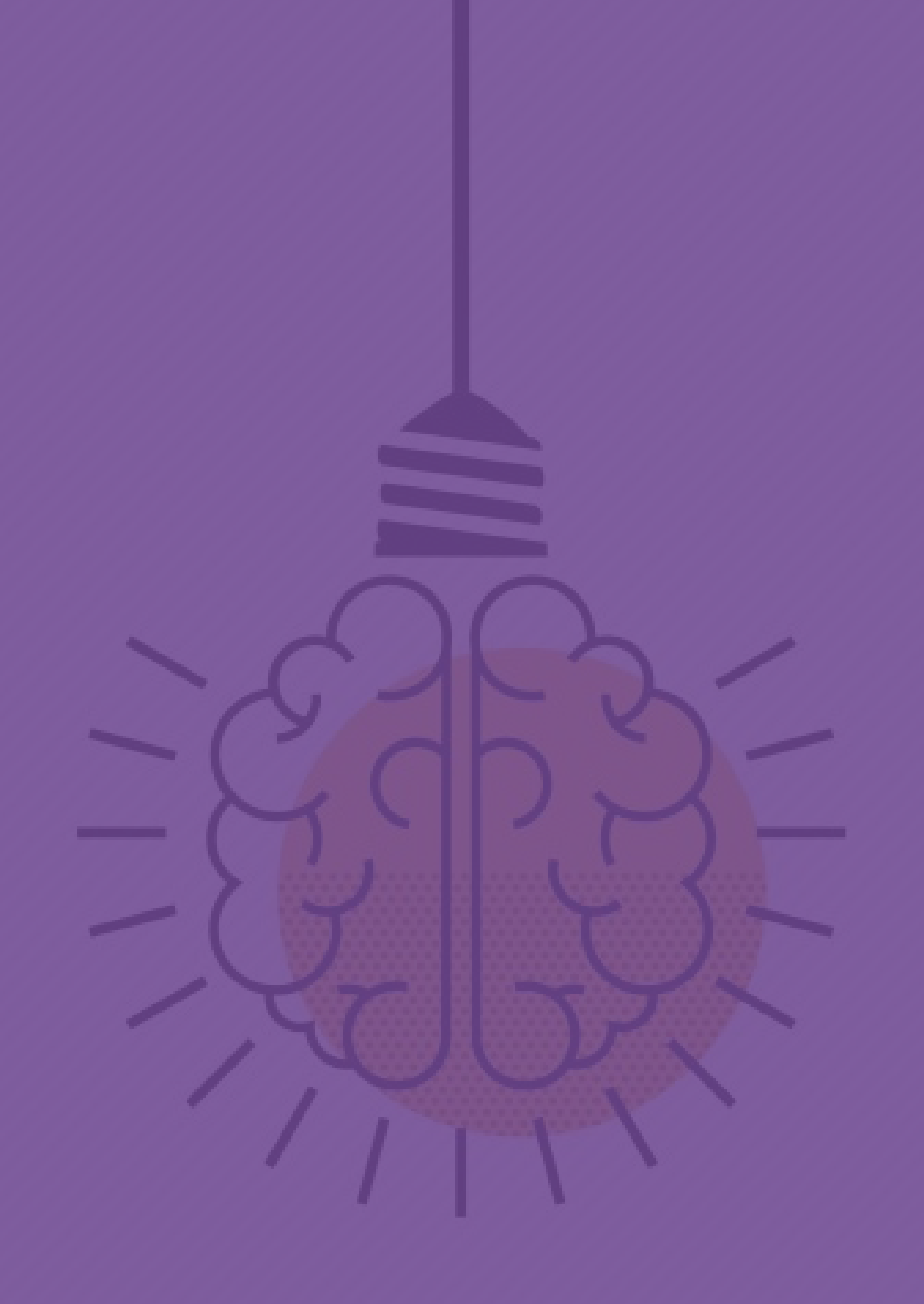
وسميت سورة (المؤمنون) -أيضًا- بسورة (قد أفلح) أو (الفلاح)، وهي سورة (الإيمان) بكلّ قضاياه، ودلائله، وصفاته. وهو موضوع السورة، ومحورها الأصيل (قطب، ٢٠٠٣، ١٨/ ٢٤٥٢).

ب. **افتُتِحَتْ السورة بالآية** ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون: ١)؛ وهو افتتاح بديع، لأنه من جوامع الكلم، فالفلاح غاية كل ساع إلى عمله، والإخبار بفلاح المؤمنين دون ذكر متعلِّق بفعل الفلاح يقتضي في المقام الخطابي تعميم ما به الفلاح المطلوب، فكأنه قيل: قد أفلح المؤمنون في كل ما رغبوا فيه .فإن فلاح المؤمن في الآخرة أمرٌ معروف جليٌّ، لأن المؤمن يعمل بإيمانه لتثقل موازينه، فهو في عيشة راضية، فيفلح عطاء من

ربه في جنة عرضها السماوات والأرض؛ لكن الإشارة هنا ليست للفلاح الأخروي للعلم به، إنما المقصود به الفلاح الدنيوي، الذي هو محور حركة الناس في الدنيا، وقطب حياتهم، وفيه يتصارعون، إلا من رحم ربي، وفي الدنيا -أيضًا- ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون:١). وخُتمت السورة بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (المؤمنون:١١٧) فثمة تَنَاسُبٌ بديع بين مفتتح السورة، وخاتمتها (نور الدين، ١٩٩٦).

ج. **بيّنت الآيات العشر الأولى من سورة المؤمنون**، صفات المؤمنين التي ترسم شخصية المسلم في أفقها الأعلى، أفق محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله، وخير خلق الله، الذي أدّبه ربّه فأحسن تأديبه (عركز، ٢٠١٣).

د. **اختُتمت الآيات العشر الأولى من سورة المؤمنون** بأسمى منزلة في الجنة (الفردوس) وهي غاية الغايات، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ* الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠-١١) أي أولئك المتربّعون على درجات الكمال؛ هم المتصفون بهذه الصفات الحميدة، وهم المستحقون لجنات الفردوس، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ذَرِ النَاسَ يَعملُونَ، فإنَّ الجنةَ مِائةُ درَجةٍ، ما بيْنَ كلِّ درَجتيْنِ كما بين السماءِ والأرضِ، والفِردوسُ أعْلاها درجةً، وأوْسَطُها، وفوقَها عرْشُ الرحمنِ، ومِنها تَفَجَّرُ أنْهارُ الجنةِ، فإذا سألْتُمُ اللهَ فاسْألُوهُ الفِردوسَ).
(الترمذي، ح:٢٥٣٠)، (الزحيلي،٢٠٠٣: ٣٣٣).





المبحث الثالث:

بناء منهج عملي لتطوير الذّات نحو النجاح في الحياة مُستمدّ من القرآن الكريم

المبحث الثالث

بناء منهج عملي لتطوير الذَّات نحو النجاح في الحياة مُستمدّ من القرآن الكريم

بداية، فإن المقصود بالمنهج، هو الطريقة، أو الأسلوب. أما العملي؛ فالمقصود به أنه منطقي، وقابل للتحقق، والتكرار، وفي الوقت نفسه، غير عشوائي، وغير قابل للصدفة. وبناء على ذلك، فالمنهج العملي لتطوير الذات نحو النجاح في الحياة، يتم عبر رحلة التغيير الإيجابي في حياة الإنسان، رحلة عميقة الآثار على حياته؛ تفتح له آفاق النجاح والسعادة، وتجعله مختلفًا في طريقة تفكيره وسلوكه، ولتطوير الذات، وتحقيق النجاح قواعد يتأسس عليها بناؤه، وينمو بها عطاؤه. ومهما اختلفت نظرة الناس إلى النجاح وأسبابه؛ إلّا أنّ النجاح لا يتجلى ظهوره، وتبارك ثماره، إذا لم يكن منبثقًا من طاعة الله جل جلاله ووفق منهج عملي واضح المعالم، والخطوات (الفقيه،٢٠١٤).

وتستنتج الباحثة من مسارات النجاح؛ ثلاث خطوات عملية لتطوير الذات نحو النجاح في الحياة، هي:

الخطوة الأولى: تزكية الذات؛ لتفادي الفشل.

الخطوة الثانية: الاستعداد والتعلم؛ للبدء بالنجاح.

الخطوة الثالثة: العمل والثبات؛ لتعزيز ومواصلة النجاح.

وتندرج تحت كل خطوة من الخطوات السابقة جملة من القواعد العملية للتطوير، ويوضح الشكل (٤،٥) مسارات النجاح والخطوات والقواعد التي تنطلق منها.

الشكل (٤،٥) مسارات النجاح والخطوات والقواعد التي تنطلق منها



المطلب الأول

تزكية الذَّات لتفادي الفشل

تتمثل الخطوة الأولى في رحلة تطوير الذات، في أن يُبحر الإنسان في أعماق ذاته، ويحلل عاداته النفسية والاجتماعية، وعند اكتشاف الانحراف في سلوكه؛ يعمل جاهدًا على إحداث التغيير المطلوب، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١) وهذا دليل على أن التغيير الحقيقي في الواقع عملية داخلية، يأتي من داخل الإنسان نفسه. لكن هناك ثمة تحدٍ كبيرٌ يقف في طريق النمو الشخصي، وتطوير الذات هو القدرة على التخلّص من العادات الضارة، وإحلال عادات نافعة مكانها. إنَّ هذا يعني وجود المعرفة الصحيحة، والاتجاهات العقلية، والنفسية السليمة، ووجود المهارة في كيفية تطبيق المعرفة، وممارسة هذه الاتجاهات العقلية، والنفسية، كذلك وجود الرغبة والميل والحماس، والدافع للممارسة والتطبيق (محمد، ٢٠١٧).

ويشير (الخليلي، ٢٠١٢) إلى العوامل التي تدخل في نيل الفلاح؛ ترك الكذب والزور، وتزكية النفس من سائر الرذائل، كالشَّرَه والطمع، والجبن والهلع، والبخل والجور والقسوة، وما نشأ عن هذه الصفات من الأفعال الذميمة، وارتكاب الفواحش والمنكرات، والانغماس في ضروب اللذات. كما تدخل فيه الفضائل التي هي أضداد هذه الرذائل المتروكة. وجميع ما سماه القرآن عملًا صالحًا من العبادات، وحسن المعاملة مع الناس، والسعي في توفير منافعهم الخاصة والعامة، مع التزام العمل، والوقوف عند ما حده الشرع القويم والاستقامة على صراطه المستقيم.

ولكن ما أهم الصفات التي يجب أن يتخلّص منها الإنسان، وينقي نفسه منها ليبدأ رحلة تطوير الذات وتحقيق النجاح؟ فمن المسار الأول: نجد استحالة النجاح المتمثل في آيات الفلاح بصيغة «ولن تفلحوا إذًا أبدًا»، وفي المسار الثاني: آيات الفلاح بصيغة (لا يفلح)؛ تستخلص الباحثة تلك الصفات التي يجب التخلُّص منها أولًا، والتي تمثل معوقات وتحديات في رحلة تطوير الذات، وتحقيق النجاح. وأهم تلك الصفات: الغفلة، والكِبْر، والتعصُّب، والإعراض عن الحقّ، والظلم والعدوان، والإسقاط ولوم الآخرين، واليأس والقنوط، والكذب، والحسد، والسحر، والتحايل بالباطل، وخدع الآخرين والصعود على أنقاضهم، والسعي خلف المكاسب الشخصية التي تلحق ضررًا بالآخرين.

لأنّ تلك المعوقات تمثل سدودًا منيعة في طريق النجاح والسعادة، فلا بُد للإنسان أن يحاسب نفسه ويتخلص من أي شيء منها، وأن يغرس بذور الحب للآخرين، وأن يحب لهم الخير كما يحبه لنفسه. وليعلم أن خطر تلك الصفات يضرُّ الفرد نفسه أولًا قبل أن يضرَّ بها الآخرين. وبناءً على الخطوة الأولى (تزكية الذات)؛ أمكن للباحثة أنْ تستخلص قواعد النجاح الآتية:

أ. لا نجاح مع الغَفْلَة

الغفلة مرض ناشئ عن طول الأمل، وسهوٌ يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ؛ وهي أشدُّ ما يُفسِد القلوب. فالقلْب الغافل قلْب مُعطَّل عن وظيفته، معطَّل عن الالْتقاط والتأثُّر والاستجابة، تمرُّ به دلائلُ الهدى، أو يمرُّ بها دون أن يحسَّها أو يدركها، ودون أن ينبض لها قلبه (قطب، ٢٠٠٣).

ومن الغفلة أن يعلم المرء طريق الفلاح؛ لكن يرده عنه شهوات حاضرة، فيترك فلاحَهُ الأبدي، لأجل شهوات فانية. ومن جملة ما قاله صاحب المنار (ابن عاشور،١٩٨٤) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (ص: ٢٦) أن من يتَّبع هواه في أعماله، ويستمر على ذلك ويُدمِنه الزمن الطويل، تضعف إرادته في هواه، حتى تذوب وتفنى فيه، فلا تعود تؤثر فيه المواعظ القولية، ولا العِبَرُ المبصرة، ولا المعقولة. وهذه الحالة يُعبَّر عنها بالختم، والران، والطَّبع على القلب، قال تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة: ٧)، وقال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين: ١٤)، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (النحل: ١٠٨). ومع الغفلة واتباع الهوى تغيب التجربة والمبادرة بالفعل؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ (النساء: ٦٦) وقال تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ (النساء: ٣٩). يقول الشعراوي (١٩٩١): أنه تعالى لم يستفهم منهم عما يصيبهم من ذلك، لكنه جل جلاله يَذُمُّهُمْ ويوبخهم ويَصِمُهُمْ بالجهل والغفلة عما ينفعهم.

فمن أراد النجاح عليه أولًا التيقّظ من الغفلة، وعليه الحركة والمبادرة؛ فاليقظة حالة من العودة إلى الذات، حيث تنهار بواسطتها الحُجُب الكبيرة التي منعت الإنسان من التوجُّه نحو الله تعالى وباليقظة يصحو القلب من رقدة الغافلين، ونور يلقيه الله تعالى على قلب السالك فتضيء حياته، وبناءً عليه يتنبّه العبد إلى ما هو فيه من غفلة، ويدرك أنّ طريق النجاح ليس فيما يعمل، ويقرّر الانتقال إلى مسار آخر. قال

تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ (الأنعام: ١٢٢). فكل منازل، ومسارات النجاح القادمة مبنيَّة على «اليقظة» (المعارف الإسلامية، ٢٠١٥).

ب. لا نجاح مع الكِبْر

(الكِبْر)؛ من أهمّ ما حذَّر القرآن الكريم منه، ودعا الناس إلى اجتنابه؛ وهو رؤية النفس فوق الغَيْر في صفات الكمال، وهو شُعُور داخلي مخادع لصاحبه، يملؤه بالاسْتعلاء على الناس، وبذرته في القلب؛ كما قال تعالى: ﴿ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ ﴾ (غافر: ٥٦). وأشمل ما عُرف به هو قوله صلى الله عليه وسلم: (الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وغَمْطُ النّاسِ) (مسلم: ح:٩١)، أي: رفض الحق، واحتقار الخلق (وهدان، ٢٠٠٩).

ويترتب على الكِبْر العديد من الآثار السلبية تجاه الفرد والجماعة؛ فهو للفرد هلاك في الدنيا، والآخرة، نظرًا لما يحدثه في نفسه من التعالي على الحق، وعدم القبول به، ومن ازدراء الناس واحتقارهم. وهو للجماعة فساد لما يجب أنْ يسود بينهم من روابط، وصلات، إذ يولِّد الشعور بالكراهية، والنفور بين الناس، وهي أمور تنغص الحياة، وتذهب ما ينبغي أن يسودها من روح التعاون، والمحبة والألفة. (الخضيري،٢٠٠٨: ١٧٢)، وفي الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن كانَ في قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِن كِبْرٍ) (مسلم: ح:٩١) فالحديث يوضح سوء عاقبة الكبر؛ فعلى العبدِ أن يتفقَّد نفسه بين الحين والآخر؛ حتى لا يقع في براثن الكبر، فيضيع عليه إيمانه. وعلى مَن ألْفى نزوعًا إلى التكبُّر والتعالي؛ أن يعيدَ التوازُن الطبيعي إلى ذاته المريضة قبل أن ينفرطَ عقدها، وذلك بأن يؤوب إلى رشده، ويعرف قدره كعبدٍ فقيرٍ إلى الكبير المتعال، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (فاطر: ١٥)، وعليه -أيضًا- أن يزنَ الناس بميزان الإسلام، الذي لا يُعْلي الأقدارَ إلّا من أجل التقوى. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣)، وعلى كل مسلمٍ أن يحاولَ معرفة شيء عن هذا المرَض الخطير؛ حتى يتجنَّبه بالوقاية، وهي خير من العلاج (وهدان، ٢٠٠٩).

ج. لا نجاح مع التعصُّب

جاء في مجمع اللغة العربية (١٩٨٣، ٤٩) (المعجم الفلسفي)، أن التعصب «غلوّ في التعلّق بشخص أو فكرة أو مبدأ أو عقيدة؛ بحيث لا يدَع مكانًا للتسامح، وهو ضَرب من الحماسة الشديدة التي تؤدي إلى العنف والاستماتة». وتعصُّب الفرد -أيضًا- كما يقول المشوخي (٢٠٠٩، ٩٩): «ردّ الحق مع ظهور الدليل».

وقد تحدَّثت آيات كثيرة في كتاب الله عن تعصُّب فئة لأقوامهم وتقليدهم الأعمى لآبائهم كِبْرًا وعنادًا. قال تعالى: ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (المائدة: ١٠٤)، وقال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٨٧).

فكم في واقعنا من المنغلقين على ذواتهم، ولا يرون إلا أنفسهم، ولا يسمعون إلا أصواتهم، فهم لا يعترفون بحق الآخرين في الاختلاف والاجتهاد؛ وهذه الرؤية الأحادية مخالفة لسنة الله في الكون، من شأنها أن تجعل صاحبها يستهين بحقوق الآخرين، ويستخف بحرماتهم. ومن هنا تظهر أهمية قيمة التسامح كإحدى القيم الضرورية التي لا غنى عنها لمن ينشد مجتمعًا متماسكًا، ويبتغي تدينًا صحيحًا يتساوق مع الفطرة السليمة والعقول المستقيمة (السنوسي، ٢٠١٤).

ومن بين أسباب التعصب؛ إتباع الهوى والإعجاب بالرأي، أو أنْ يُسخِّرَ الإنسانُ جهده وطاقته من أجل تحقيق مآرب وأهداف شخصيّة، فلا يهمه الحق والباطل، ولا الخطأ والصواب. إنما هو ينصر الاتجاه الذي انتمى إليه من أجل تحقيق مصالحه، بصرف النظر عن قضية الحق، والباطل، وبعيدًا عن تصحيح المسار والنقد الذاتي، والتقويم النفسي (أبو زيد، ٢٠٠٦). في حين أنَّ رحلة تطوير الذات وتحقيق النجاح تقتضي أن ندور مع الدليل أينما دار، ونبحث عن الحق، ولو لم يوافق هوانا؛ فالحقُّ أحق أن يُتَّبع.

د. لا نجاح مع الظُّلم

إذا كان العدل هو الإنصاف، والمساواة وعدم الجَوْر؛ فإن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، وأصله الجور وتجاوز الحدّ. وقد نهى الله عباده عن الظلم وحرّمهُ فيما بينهم، فعن النبي ﷺ، فيما روى عن الله -تبارك وتعالى- أنه قال: {يا عِبادِي إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فلا تَظالَمُوا} (مسلم، ح:٢٥٧٧) أي فلا يظلم بعضكم بعضًا، وقد نزّه الله نفسهُ عن الظلم في

آيات عديدة؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ (يونس: ٤٤) وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ (النساء: ٤٠).

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الظلم، وبيَّن مساوءه، وعاقبة الظالمين، قال صلى الله عليه وسلم: {اتَّقوا الظُّلمَ، فإنَّ الظُّلمَ ظُلُماتٌ يومَ القيامةِ} (مسلم، ح:٢٥٧٨). وعلى الإنسان أن يحذَر الظلم؛ فإن عواقبه وخيمة، وعقابه نازلٌ لا محالة، وعليه أن يدرك عظمة دعوة المظلوم؛ تلك الدعوة التي تُفتح لها أبواب السماء (رزق: ١٩٩٣). قال ﷺ: {واتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فإنَّه ليسَ بيْنَها وبيْنَ اللهِ حِجابٌ} (البخاري، ح:٢٤٤٨، مسلم، ح:١٩).

وفي واقعنا المعاصر هناك كثير من صور الظلم التي يقع فيها كثيرون، ممن أعمى الله بصائرهم، منها: السحر والحسد؛ فكم من أُناس ملأ قلوبهم الغِلّ والحقد وفاض من أعينهم، فهم يحسدون الآخرين على ما هم فيه من النِّعم، ويتمنون زوالها، وقد يدفعهم الحسد إلى التعامل مع السحرة، والمشعوذين من أجل إيقاع الضرر بالآخرين. وقد نهى الله تعالى عن ذلك. قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (النساء: ٣٢). وجاء في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {لا تَباغضوا، ولا تَقاطعوا، ولا تَدابَروا، ولا تَحاسَدُوا، وكونوا عبادَ اللهِ إخوانًا كما أمرَكمُ اللهُ، ولا يَحلُّ لمسلِمٍ أن يهجُرَ أخاه فوقَ ثلاثةِ أيّامٍ} (البخاري،ح:٦٠٧٦). ومن صور الظلم والعدوان؛ التظاهر بالأمانة وجميل الأخلاق وحسن الطباع، والحقيقة هي خلاف ذلك فهم يلهثون خلف منافعهم (أحمد، ٢٠١٤). فليراجع الظالم نفسه ويتوب إلى الله، وعليه أن يعطي المظلوم حقّه؛ حتى لا يؤثر أنين قلب جريح، أو دعاء مظلوم على مستقبله.

هـ. لا نجاح مع الكَذِب

الكذب أصل كل فساد وإجرام؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم محذِّرًا من الكذب: {وإيّاكُم والكَذِبَ؛ فإنَّ الكَذِبَ يهدي إلى الفُجورِ، و الفُجورُ يَهدي إلى النّارِ، و إنَّ الرَّجلَ ليَكذِبُ حتّى يُكْتَبَ عِند اللهِ كذّابًا} (البخاري، ح:٦٠٩٤، مسلم، ح: ٢٦٠٧).

ومن مظاهر الكذب المنتشرة بين الناس كما يبيِّنها الحمد (١٩٩٨)؛ الكذب على الله ورسوله؛ كحال من يُفتي بغير علم، أو يكذب للترغيب أو للترهيب، أو ليروج لبدعة أو ضلالة. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (النحل: ١١٦)، وهو أشدّ الظلم قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا

﴿يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (الأنعام: ٢١). كذلك الكذب في البيع والشراء؛ كحال من ينفق سلعته بالأيمان الكاذبة، ومن يغش المشتري بجودة بضاعته، قال صلى الله عليه وسلم: {اليمينُ الكاذبةُ مُنفِّقةٌ للسلعةِ مُمحِقةٌ للكسبِ} (البخاري، ح:٢٠٨٧). وهناك الكذب لإفساد ذات البين؛ فبعض الناس لا يهدأ له بال، ولا يقرُّ له قرار حتى يفسد ذات البين، ويفرق شمل المتحابين، فتراهُ يختلق الأقاويل ليُفسد بذلك ذات البين. والكذب المقرون بالحسد حين يكذب الشخص ليرمي بالنقائص على أهل الفضائل، وهناك -أيضًا- الكذب في المطالبات والخصومات في المحاكم وغيرها.

فعلى المؤمن أن يوطِّن نفسه على الصدق، وأن يتذكر ثناء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على الصادقين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (محمد: ٢١) وقال صلى الله عليه وسلم: {عليكُم بالصِّدقِ؛ فإنَّ الصِّدقَ يَهدي إلى البِرِّ، و إنَّ البِرَّ يَهدي إلى الجنَّةِ، و إنَّ الرَّجلَ يَصدُقُ حتّى يُكْتَبَ عند اللهِ صِدِّيقًا} (البخاري، ح:٦٠٩٤، مسلم، ح: ٢٦٠٧).

و. لا نجاح مع الخداع

الخداع هو الغشّ، والتدليس، والاحتيال ، ويقال رَجُلٌ خَدَّاعٌ أي كثير الخداع، مضلِّل، يكون ظاهره على غير باطنه، متملِّق غشَّاش. والخداع هو تَدْبِيرُ فِعْلٍ خَفِيّ يقومُ بِهِ الخادعُ؛ لإيقاعِ الضررِ، والشرّ بالمخدوعِ من حيثُ لم يحذر ويتنبه، كأن يرقب المخدوع قدوم السوء من باب، فيفجأه من باب آخر، وعداوة الخادع والمخدوع ظاهرة وكلاهما يتربص بالآخر. وكلها صفات تأباها الفطرة السليمة، والأخلاق الحميدة، ولا يمكن لمن كانت هذه صفاته أن يكون إمامًا، وقدوة للآخرين، لمخالفة تلك الصفات لكل الشرائع السماوية، والقيم، والأخلاق الاجتماعية المتعارف عليها بين البشر، ولما تنطوي عليه من غدر، ومراوغة، وغموض، ذلك أن الدين الإسلامي يقوم على الوضوح والاستقامة، ويرفض كل سلوك فيه التواء ومخادعة للناس، والخداع؛ هو فعل أو قول معه ما يُوهم أن فاعله يريد بمدلوله نفع غيره، ليغير عن حالة هو فيها، أو يصرفه عن أمر يوشك أن يفعله (ابن عاشور، ١٩٨٤).

والخدعة صفة للتَّمويه والتغرير بالآخرين، من خلال التودُّد بلِيْن الكلام، وسحرهم بالبلاغة، وانطلاق اللسان، فيظنون بهم خيرًا، وهم في حقيقة أمرهم يبطنون الخدعة، والغدر (الأصفهاني،١٩٩٧). وأمثال هؤلاء موجودون في كل زمان ومكان، يلبس أهله ألوانًا من الإيهام، والتضليل، ويظهرون أنهم أصحاب خير كثير.

إنّ خداع الآخرين، والغدر بهم من الآثام الخطيرة، والسحر أشد أنواع الخداع والضرر، فمنه ما يقتل، ومنه ما يُمْرِض، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه، إلى غير ذلك من الأخطار، والأضرار التي لا تقع إلا بإذن الله، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١٠٢). وقد جاء في التهديد على فعله، والوعيد على التعامل به نصوص كثيرة في كتاب الله -عزَّ وجلّ- وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم (البدر، ٢٠١٠ب).

إنَّ السحر والتحايل وخداع الآخرين، قد انتشر وشاع في مجتمعاتنا عندما طغت الحياة المادية على النفوس، فقست القلوب، وجفت منابع الخير. فعلى الإنسان أن يبتعد كل البعد عن طريق الخدع والحِيل في إلحاق الضرر بالآخرين، أو الصعود على أنقاضهم، وفي المقابل، عليه -أيضًا- أن يتعلم الحذر؛ فهناك من يستخدم الدِّين، واسم الله جل جلاله في الاحتيال على الناس؛ فقد أقسم إبليس بالله -كذبًا- ليغوينَّ آدم وحواء ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (الأعراف: ٢١). فليس كل من يُقسم صادقًا، وليس كل من ينصح أمينًا (الشقيري، ٢٠١٤).

ز. لا نجاح مع إسقاط الفشل

إسقاط الفشل أو ما يعرف بـ «الاسقاط النفسي»: هو محاولة الإنسان الهروب من أخطاءه السلوكية، وحالات إخفاقه، برميها على الآخرين ولومهم، وعدم الاعتراف بالخطأ، وتبرير الفشل بمئات الأعذار الواهية (عبدالحميد، ٢٠٠٨). فالإسقاط حيلة من الحيل الدفاعية، يلجأ إليها الفرد للتخلُّص من تأثير التوتر الناشئ في داخله. فينقل عيوبه وأخطائه إلى غيره، بقصد وقاية نفسه من القلق الذي ينشأ من إدراكها ومعايشتها في نفسه، مثال ذلك قوله سبحانه وتعالى على لسان فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (غافر: ٢٦). فمن غرائب الأمور أن يُظهر رأس الفساد، والضلال (فرعون) حرصه على أهل مصر، من فساد موسى، وضلاله!! في محاولة بائسة، يائسة منه لإسقاط ما يسكنه من فساد، وإفساد...على موسى عليه السلام. إن أجواء مسمومة كهذه الأجواء...لا يمكنها أن تنتج أفرادًا أسوياء، منتجين، وفاعلين؛ عدا أن تقيم مجتمعات تتسم بالفضيلة، والاستقرار النفسي، والأمن الاجتماعي.

وقد أصيب الناس منذ القدم بهذه الحالة «النفسية»، فقد جاء القرآن الكريم بأمثله عديدة لحالات الاسقاط النفسي؛ فقد جاء على لسان فرعون قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (الشعراء: ١٨-١٩)؛ فرعون أراد أن يطعن في سيدنا موسى -عليه السلام-

ويقلل من شأنه، لذلك أسقط عيوبه عليه. وما فعلته امرأة عزيز مصر مع يوسف -عليه السلام- حين راودته عن نفسه، لما رأت زوجها عند الباب قذفت يوسف -عليه السلام- بدائها وانسلَّت من قبيح صنيعها، مع استنكار، وتحريضٍ على معاقبة يوسف عليه السلام (شاكر، ٢٠١٦).

وتستمر حالة الاسقاط النفسي للظالمين حتى يوم القيامة، وهم موقوفون عند ربهم؛ يُسقط كلٌّ منهم ذنبه على الآخر، ويلوم كلٌّ منهم الآخر؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ (سبأ: ٣١)، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ (غافر: ٤٧).

فلأجل بلوغ النجاح والسعادة؛ لابد من الاعتقاد بضرورة تقلُّد المسؤولية بإرادة، وعزيمة، وتحملها مهما كانت الأسباب والنتائج. فمن غير المقبول الاعتماد على الغير، أو تبرير العجز، والقصور في أداء مهمة أو عمل معين، بظروف أو ذرائع لا أساس لها في الواقع.

ح. لا نجاح مع اليأس

لا سبيل إلى احتمال البلاء إلاّ بالرجاء في نصر الله، ولا سبيل إلى الفرج إلاّ بالتوجُّه إلى الله، ولا سبيل إلى الاستعلاء على الضرر والسعي للخَلاص منه إلّا بالاستعانة بالله. فالقلب النديّ بالإيمان، المتصل بالرحمن لا ييأس ولا يقنط، مهما أحاطت به الشدائد، ومهما غام الجو وتلبَّدت السماء، وغاب وجه الأمل في ظلام الحاضر؛ فإن رحمة الله بالمؤمنين وقدرته، تُنشئ الأسباب كما تنشئ النتائج، وتُغير الواقع كما تُغير الموعود.

ومن خطورة اليأس والقنوط، أن الله تعالى وصف بهما الكافرين، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (العنكبوت: ٢٣)، ونهى عن اليأس فقال تعالى: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف:٨٧). يقول قطب (رحمه الله) (٢٠٠٣): الذي ييأس في الضرّ من عون الله، يفقد كل نافذة مضيئة، وكل نسمة رخيّة، وكل رجاء في الفرج، ويستبدّ به الضيق، ويثقل على صدره الكرب، فيزيد هذا كله من وقع الكرب، والبلاء، ولا يقنط من رحمة ربّه إلا الضَّالون عن طريق الله، الذين لا يستَرْوِحُونَ رَوْحَهُ، ولا يحسُّونَ رحمته، ولا يستشعرون رأفته وبِرَّهُ ورعايته. قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (الحجر: ٥٦).

فالمؤمن لا يعرف اليأس والقنوط، وعليه أنْ يجعلَ محاولاته مثل النَّملة التي تصعد الجدارَ ومعها حِملٌ أكبرُ من حجمِها، فتراها تسقطُ فترجعُ، ثم تسقطُ فترجع؛ حتى تتغلَّبَ على تلك الصعوبةِ دون يأس. وهكذا هو طريق النجاح؛ لابد من التفاؤل والصبر والمثابرة، حتى بلوغ المنى، وتحقيق الأمل (الفصام، ٢٠١٢). فالله تعالى يدعو إلى عدم اليأس، بل إلى مواصلة العمل. والنجاح موكول إلى -رحمة الله- ولن يُعدم العبد التوفيق من ربٍّ رحيم طالما أخلص النيَّة، وجدَّد العزم.

المطلب الثاني

الاستعداد والتعلُّم للبدء بالنجاح

تستخلص الباحثة من المسار الثالث، والآية التي تمثله وهي قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ (القصص: ٦٧). ومن المسار الرابع؛ والآيات التي تمثله، المختومة بـ ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، تجد فيها وقفات وقواعد مهمة في رحلة تطوير الذات، وتحقيق النجاح، لعل من أهمها:

أ. الصلاة أولًا

الصلاة من أكبر وسائل العون على تحصيل مصالح الدنيا والآخرة، ودفع مفاسدهما؛ فالصلاة «أولًا» لأنها إنْ صلحت صلح سائر العمل، وإن فسدت فسد سائر العمل، وكما يقول قطب (٢٠٠٣: ٦٩/١): «إن الصلاة صلة ولقاء بين العبد والرب، صلة يستمد منها القلب قوة، وتحس فيها الروح صلة، وتجد فيها النفس زادًا أنفس من أعراض الحياة الدنيا. ولقد كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمرٌ فزعَ إلى الصلاة، وهو الوثيق الصلة بربه، الموصول الروح بالوحي، والإلهام. وما يزال هذا الينبوع الدافق في متناول كل مؤمن يريد زادًا للطريق، ومدادًا حين ينقطع المدد، ورصيدًا حين ينفد الرصيد».

وفي قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الحج: ٧٧) ابتدأ الحق تبارك وتعالى نداءه للمؤمنين بالركوع والسجود المتمثل في إقامة الصلاة، ثم يأتي الأمر ببقية العبادات المشمولة لقوله ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾، ثم يأتي الأمر بفعل الخير ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ (ابن عاشور: ١٩٨٤). وهذا يُعلِّم الإنسان أهمية ترتيب الأعمال والمهام؛ فالصلاة أولًا ومن بعدها تأتي باقي العبادات، وفعل الخير وسائر الأعمال. وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة:١٠) تتأكد ضرورة أن تكون الصلاة أولًا ثم تُرتَّب الأعمال والمهام بحسب أولويتها وأهميتها.

فكيف لا تكون الصلاة أولًا لمن أراد النجاح؛ وجميع البحوث العلمية تؤكد أن المحافظة على نظافة الجسد، وطهارته، والالتزام بمواقيت الصلاة؛ يجعل المؤمن أكثر نشاطًا وانضباطاً، وبالتالي يساعده هذا الأمر على النجاح في حياته العملية (الكحيل، ٢٠٠٩).

ويؤكّد أحد علماء النفس أن وقوف الإنسان في الصلاة أمام الله في خشوع وتضرع؛ يمده بطاقة تبعث فيه الشعور بالصفاء الروحي، والاطمئنان القلبي، والأمن النفسي. فالصلاة أهمُّ أداة عُرفتْ حتى الآن لبثِّ الطمأنينة (عبد الحميد،١٩٥٨: ٥٨).

كما أن الصلاة نجاة من الهلع والجزع والبخل، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا المُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ (المعارج: ١٩-٢٣)، والهلع: «شدة الجزع مع شدة الحرص والضجر» (الطبري، ٢٠٠٠: ٢٣/ ٦١٠). فكم هو الإنسانُ بحاجة للصلاة لمواجهة العقبات، والمصاعب، التي لا يخلو منها طريق النجاح.

ب. الإيمان بضرورة التَّغيير

إنّ الإيمان بضرورة التغيير الإيجابي، وتطوير الذات نحو الأفضل؛ مفتاح لتحقيق الأهداف، وحل كثير من مشكلاتنا الحياتية. فالإيمان بضرورة التغيير يأخذ فكرته ومقوماته من الإيمان بالله؛ فالإيمان بالله هو الطريق إلى النصر، والعزة، والرخاء، والنعمة، وهو طريق الفلاح والسعادة (الطنوبي، ٢٠٠٣). يقول الحق: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ (القصص: ٦٧).

فالعقل الذي لا يمتلئ بالرغبة المتوقدة للنجاح؛ ستغزوه حتمًا إرادة الفشل. والنفس إن لم تملأها إرادة النجاح والإيمان بأهمية التغيير الإيجابي؛ ستحلُّ بدلًا عنها إرادة الفشل. فالمشكلة الحقيقية حينما يكون الإنسان في غفلة عن ذلك؛ فتجتاح عقله الباطن كم هائل من المشاعر السلبية، والعكس صحيح؛ فكلما كانت قوة الإيمان بالتغيير كبيرة لدى الإنسان، يستشعر الطرق الموصلة إليه، ويصبح في بحث دائم عن كل ما يثير حماسه للعمل والنجاح (عبدالحميد، ٢٠٠٨). إذْ يُعتبر الإيمان بضرورة التغيير نقطة الانطلاق نحو عالم النجاح؛ فحتى يصل الفرد إلى أهدافه، ويحقق النجاح يجب أن يؤمن بالتغيير، ويشعر بالحاجة إليه، وهذا الأمر بحاجة إلى جهد؛ فكثير من الناس لا يحبِّذون التغيير، ويقنعون بوضعهم الراهن، مما يُفوِّت عليهم فرصة التطوير والنجاح (العبري، ٢٠٠٨).

إذًا، فتطوير الذات يبدأ من العقائد؛ فالناجحون عادةً يعود نجاحهم إلى عقيدة آمنوا بها، ولم يؤمن بها غيرهم، وهي أن النجاح في ذلك الميدان ممكن، فتجدهم يحاولون ويفشلون مرارًا ويكرِّرون التجربة، لكنهم في النهاية يحققون أهدافهم ويصلون إلى مبتغاهم.

ج. الثقة بالنفس

تُعدّ الثقة بالنفس أحدى أهم الشروط الواجب توافرها في الشخص لتحقيق النجاح، ويمكن تعريف الثقة بالنفس بأنها: «الكيفية التي نشعر بها حيال قدراتنا». فحين يؤمن الإنسان بأهدافه وقراراته، وقدراته، وإمكاناته، فإنه يُعتبر واثقًا من نفسه (العبري، ٢٠٠٨).

تكمن أهميّة الثّقة بالنّفس في أن الإنسان الواثق من نفسه ،لديه نوع من التحفيز الذاتي، يدفعه للعمل بقوة للوصول لأهدافه؛ فتجعله ينجز أعماله بحماس، وثقة، مما يؤدي إلى توفير الجهد والوقت (العريمي، ٢٠٠٦). فالثقة بالنفس -بعد التوكل على الله- مطلوبة شرعًا، فالمسلم يتعيَّن عليه أن يحسن الظن بالله تعالى وأن يتفاءل لنفسه بالخير والنجاح دائمًا، ويسعى باستمرار للارتقاء وتحصيل الكمال. ويستخدم لذلك فِكره، وطاقته، ويبذل جهده وما تيسر له من الوسائل في تحقيق طموحاته، والوصول إلى أهدافه، فقد قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

فالإسلام يدعو إلى القوة والإقدام، ولا يرضى بالضعف والإحجام، ولذا يربي المسلم على الشجاعة والثقة بالنفس، ويدعو إلى تحمل المسؤوليات، قال النبي صلى الله عليه وسلم: {الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِنَ المؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وفي كُلٍّ خَيْرٌ. احْرِصْ على ما يَنْفَعُكَ، واسْتَعِنْ باللَّهِ وَلا تَعْجَزْ، وإنْ أَصابَكَ شيءٌ، فلا تَقُلْ لو أَنِّي فَعَلْتُ كانَ كَذا وَكَذا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَما شاءَ فَعَلَ، فإنَّ لو تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطانِ}(مسلم، ح: ٢٦٦٤).

إنّ من أهم عوامل اكتساب الثقة بالنفس؛ تعميق الصلة بالله عزَّ وجلَّ ومواجهة التحدّي والخوف، والإصرار على تحقيق الأهداف المنشودة. فالله تعالى منحَ كل إنسانٍ قدرات هائلة، ومهارات عديدة يستطيع أن يحقق بها كثيرًا من النجاحات، إذا ما أحسن توظيفها واستثمارها.

د. ذكرُ الله وشكره

لا شك أن المداومة على ذكر الله تعالى يرقق القلوب، ويهذب النفوس، ويحيي الضمائر، ويبعث الآمال...إلخ، ولكن، ما هو مفهوم الذكر في الإسلام؟ هل هو مجرد النطق باسم الله ؟ لا شك أن النطق باسم الله تعالى وتكرار ذلك، هو ذكر لله، ولكن الذكر بهذه الصورة ليس هو كل الذكر، ولو كان ذلك كذلك لضيقنا واسعًا!! فما هو مفهوم الذكر إذًا؟ يجب أن نتذكر -دائمًا- أننا نتعامل مع رب كريم، واسع المغفرة،

وبناء على ذلك فإن رحمته سبحانه واسعة وعظيمة، وكذلك مفهوم العبادة، يقول الحق -تبارك وتعالى- ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: ١٩١) فذكر الله ليس مقتصرًا على حالة واحدة، ولا على صورة واحدة، ولا على هيئة واحدة...وإنما يتحقق ذكر الله سبحانه في جميع أحوال المسلم؛ في حالة القعود، والقيام، والاضطجاع...وقد أشار القرآن الكريم في الآية السابقة إلى عبادة من أسمى العبادات، وأجلِّها عند الله، وهي من العبادات المنسية عند كثير من الناس -إلا من رحم ربي- إنها عبادة التفكر؛ التفكر في ملكوت الله ، التفكر في خلقه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {تفكروا في آلآء الله ولاتتفكروا في الله} (الطبراني، ١٤١٥) الكلمة الطيبة عبادة، كف الأذى عن الناس (باللسان، باليد...)؛ عبادة، أن تصلح ذات البين؛ عبادة...كل فعل أردت به وجه الله فهو عبادة، وهو ذكر لله... فكل العادات بالنيات الخالصة لله سبحانه تصبح عبادة... حتى تتحول حياة المسلم كلها ذكر لله، وكلها عبادة على الدوام، وحتى تصير حياته دوحة يرفرف عليها الأمن، والسكينة، والطمأنينة الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨)، وتهدأ الجوارح، وتدوم النعم، وتزداد، وعلى رأسها نعمة الهداية للإسلام.

وبهذا يصير ذِكْرُ الله منهج حياة الناجحين، له أثر عظيم في تربية الذات وتحريك الضمير، لأن دوام ذكره تعالى يربي في النفس مقام مراقبة الله، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الأنفال: ٤٥)، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال: ٢). والذاكرين الله كثيرًا عرفوا الله بأسمائه وصفاته، فتعلّقت قلوبهم به جل جلاله عندئذٍ تشكل حالة التأمل في أسماء الله الحسنى مساحة مهمة في علم تطوير الذات، وحالة خاصة من الوجدانية الإيمانية، فضلًا عن الأجر المترتب على ذلك (سعيد، ٢٠٠٨). يقول ابن القيم (١٩٨٥، ٩٦): إنّ اتخاذ ذكر الله بجميع أنواعه؛ يُعدّ أسلوبًا في حياة الفرد من أنجع الأساليب في التربية الذاتية، وفي ذكر الله؛ تكثيرٌ للحسناتِ، ورفعٌ للدرجات، وهذا ما يسعى إليه العبد من تربية ذاته؛ فذكر الله تعالى من أكبر أسباب انشراح الصدر وطمأنينة القلب، وله تأثير عجيب في زوال الهمِّ والغمِّ، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨).

كما أنّ شكر النِّعم من أسس الفلاح، وقواعده في الدنيا والآخرة، متى قام العبد به ووفَّى أركانه واجتهد فيه. قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ٦٩). فنعم الله تعالى على عباده لا تعدُّ، ولا تحصى، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا

﴿تُحْصُوهَا﴾ (إبراهيم: ٣٤). فالشكر أقلّ عمل يستطيع الإنسان فعله في إزاء الأنعم الإلهية، التي ليست لها نهاية؛ ومع ذلك قلّ من يقوم بها حق القيام، ويؤديها كما أمر الله، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ: ١٣).

وإن من نعم الله جل جلاله على عباده، أن سخّر الكون للناس جميعًا؛ فقد نصَّ كثير من الآيات على ذلك، قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ (الأعراف: ٥٣). فسخَّر السماوات والأرض لخدمة الإنسان، وليتأمل في بديع خلق الله، ويشكره على نعمه، ولينطلق في حياته نحو تحقيق أهدافه مستعينًا بالله ومتأملًا في قدرته، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ (الإسراء: ١٢).

ووعد الله من شكره بزيادة نعمه عليه، قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (الرعد: ٧)؛ فمن سنن الله تعالى التي لا تتخلف، ولا تتبدل، أنه كلما شكره عبده زاده، وكلما استغفره رزقه، وكلما دعاه أجابه، وكلما زاد رجاؤه فيه أعطاه، وليس عطاؤه وزيادة الرزق دنيويًا فحسب وإنما كل أنواع الرزق، ماديًا وروحيًا، دنيويًا وأخرويًا. والقضية في النهاية قضية توكُّل ودعاء وإنابة وعودة إليه سبحانه وتعالى (السعدي، ١٩٩٩).

هـ. سرعة المبادرة

ذكر الله تعالى من صفات المتقين؛ سرعة المبادرة بالتوبة والاستغفار وذكر الله والعودة إليه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران: ١٣٥). فالتوبة طريق الفلاح، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ (القصص: ٦٧)، وقال تعالى ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور: ٣١).

ومن معاني التوبة ومقتضياتها «المبادرة»؛ فقد تحدث القرآن الكريم عن ذلك المعنى في آيات عدة؛ فقد جاء طلب التوبة والمغفرة مقرونًا بالمسارعة، والمسارعة إلى الشيء المبادرة إليه، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ (آل عمران: ١٣٣). كما جاء الأمر بالمسارعة في الخيرات، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ (الأنبياء: ٩٠).

فالحياة تمتلئ بفُرص الخير ومجالات التقدم، ويمتلك كل إنسان من القدرات والاستعدادات ما يؤهله لاقتناص تلك الفرص، لكن الناس يتفاوتون في الانتباه لها،

والمبادرة نحوها. فعلى الإنسان أن يدّرب نفسه على التركيز في النظر، وإمعان الفكر، ودقة الملاحظة، في أي ميدان من الميادين التي تحيط به. فيلمح الفرصة من بعيد، ويلتقط الإشارات، ويبادر بالعمل. فإن من نجحوا في تحقيق أهدافهم كانوا أصحاب قرار وعزيمة في التصرف في مواقف اكتفى الآخرون فيها بالتنظير، والقول، دون المبادرة بالعمل. فالمبادرة والاستعداد لها، من أهم طرق التقدم، وتحقيق النجاح، وهي سلاح لاغتنام الفرص، واستثمار الظروف.

و. التخطيط

لكلِّ هدفٍ طريق، وعلى الإنسان أن يسلك أهدافه عبر الطُّرق السهلة، القريبة، الموصلة إليها؛ ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: ١٨٩)، ذكر السعدي (٢٠٠١) فائدة أنْ يُؤخذ من الآية من عمومها اللفظي والمعنوي، فكل مطلب من المطالب المهمة ينبغي أن يُؤتى من بابه، وهو أقرب طريق، ووسيلة، يتوصَّل بها إليه، وذلك يقتضي معرفة الأسباب، والوسائل معرفة تامة، ليسلك الأحسن منها، والأقرب نجاحًا والأسهل. ولا يتم ذلك إلا بالتخطيط الجيد. وفي هذا، ذكر العسكري (٢٠١٤، ٨٩) أجمل ما قاله قيس بن الخطيم:

إذا ما أتيت العزّ من غير بابه ضللتَ وإن تقصد من الباب تهتدِ

فكل غاية لها طريق يوصل إليها، وعلى الإنسان أن يسلك لغايته طريقها؛ فإن كل من سلك طريقًا وعمل عملًا، وأتاه من أبوابه وطرقه الموصلة إليه؛ فلا بد أن يفلح وينجح ويصل إلى غايته. وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ (البقرة: ١٨٩)، وكلما عظم المطلوب تأكد هذا الأمر، وتعيَّن البحث التام عن أمثل وأقوم الطرق الموصلة إليه (السعدي: ١٩٩٩).

ومن أهم عناصر التخطيط؛ البحث عن وسائل تحقيق الأهداف، وهو مطلب مهم من مطالب النجاح، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: ١٠)، وقال تعالى:﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٣٥)، والوسيلةُ كما يقول الأصفهاني: (١٩٩٧) التوصل إلى الشيء برغبة، ويقول النابلسي (٢٠١٦) في تفسيره للآية أن من الوسيلة طلب العلم وحضور مجالس العلم، والنظر في ملكوت السماوات والأرض، ومجاهدة النفس والهوى، وملازمة أهل الحق، وإنفاق المال في سبيل الله، هذه كلها «وسيلة».

إن معنى ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ تشمل النيَّة، والقصد لالتماس أسباب الرزق،

ووسائل العمل، واتخاذ القرار، ومن معاني الوسيلة الدعاء، والرجاء؛ فالدعاء عبارة عن طلب التوفيق، والنجاح، في سعي الإنسان، وقيامه بالعمل فعلًا، وبذل أقصى جهد، وتحقيق أعلى إنتاجية. وفي رحلة تطوير الذات، والسعي نحو النجاح، يشكل الدعاء للفرد -أيضًا- تفريغًا نفسيًا للألم بين يدي عظمة الله -تبارك وتعالى- (غانم، ٢٠١١).

والتخطيط بما يشمله من التأمُّل والتفكُّر، مسألة على قدر من الأهمية لمن يقوم بتطوير ذاته؛ فهو يمكِّنه من دراسة الواقع بدقة، وتحديد المعوقات، والمشكلات، بصورة واضحة، كما يمكنه من استشراف المستقبل ووضع الخطط المناسبة، فيحدث التطوير، والتغيير ويتحقق النجاح.

ز. الصَّبر

حض الله تعالى المؤمنين على ما يوصلهم إلى الفلاح - وهو: الفوز والسعادة والنجاح، وأن الطريق الموصل إلى ذلك لزوم الصبر، الذي هو حبس النفس على ما تكرهه، وترك المعاصي، والصبر على المصائب، وعلى الأوامر الثقيلة على النفوس، فأمرهم بالصبر على جميع ذلك؛ قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة:٤٥)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ٢٠٠)، والمصابرة أي الملازمة، والاستمرار على ذلك، على الدوام، ومقاومة الأعداء في جميع الأحوال. والمرابطة: وهي لزوم المحل الذي يُخاف من وصول العدو منه، وأن يراقبوا أعداءهم، ويمنعوهم من الوصول إلى مقاصدهم (السعدي،٢٠٠١).

الطريق إلى النجاح في شتى مناحي الحياة، يبدأ بالصبر على ما يتطلبه من جهد، ومشقة، والصبر على المعوقات التي تعترض الطريق، فلا سبيل إلى الفلاح بدون الصبر، ولم يفلح من أفلح إلّا به. فإذا خطط الإنسان لتحقيق هدف ما، وكان ذلك التخطيط بعد رويَّة، واستشارة، فلا يُفسد تخطيطه بالتراجع والنُّكوص، ولا يسمحّ لنفسه أن تتردد في ذلك، بل عليه أن يغذَّ السير حتى يُحقق مبتغاه (محمد، ٢٠١٧)، قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (ال عمران: ١٥٩).

فمن أراد النجاح، وسعى له سيواجه بلا شك عقبات وعوائق في طريقه، لأن هذه سنّة الحياة، ولا بُدَّ لصاحب الرسالة السامية أن يواجه تلك العقبات، والظروف، ومَنْ يحاول عرقلته، وصرفه عن أهدافه، ولا بُدَّ أن يتحلَّى بالصَّبر حتى يستطيع تأدية رسالته، وتحقيق أهدافه، وطموحاته.

ح. التعلُّم من الفشل

من الطبيعي في رحلة تطوير الذات، والسعي نحو النجاح، أن يفشل الإنسان في مرحلة ما من مراحل سعيه، وقد يؤثر ذلك عليه سلبًا، أو إيجابًا، وفق نظرته الخاصة، وتصوراته حول مفهوم النجاح، والفشل؛ فيستطيع أن يتعلَّم من الفشل، ويحوّله إلى نجاح، إذا اعتبر (الفشل) وسيلة توصله لهدف (النجاح)؛ هنا يصبح الفشل فرصة للتعلُّم، ودافعًا للاستمرار في العمل نحو تحقيق الهدف.

وفي الحقيقة أن الكُلّ مُعرَّض للمرضِ، والذنب، والخطأ؛ ولذا كلٌّ عليه أن يَستقي الدواءَ لتعود إليه عافية قلبِه، وروحِه، قال تعالى:﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور: ٣١)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:{كُلُّ ابنِ آدمَ خطّاءٌ، وخيرُ الخطّائينَ التَّوّابونَ} (الترمذي، ح:٢٤٩٩) فإذا كان هذا في شؤون الدين، فما بال أمور الحياة. فكما أن التوبة دواء للذنوب، وإن عظمت، فكذلك الإصرار، والصبر، ومواصلة المسير نحو النجاح، دواء للفشل، وعلى الإنسان أن يصنع من الفشل جسرَ عبورٍ يصل من خلاله إلى أهدافه، وطموحاته.

وكما أن الإنسانَ مطالبٌ بالتعلم من الفشل، وتحويله إلى نجاح، فهو مطالبٌ قبل ذلك بمعرفة طرق الفشل والخسارة واجتنابها؛ فالمؤمن ملزوم باجتناب كُل ما يفسد نفسه، وعقله، وقلبه، ووقته، ومطالبٌ بحفظها وتنمية جوانب الخير؛ حيث قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٩٠)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٠)، وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة:١٠٠).

كما تكرر ذكر التقوى -كعامل رئيس للفلاح- في أكثر من موضع في آيات الفلاح ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: ١٨٩)؛ أي استنيروا بنور الله -عزّ وجلّ- نورًا يريكم الخير خيرًا والشر شرًا، والحقّ حقًا، والباطل باطلًا (النابلسي، ٢٠١٦).

والتقوى امتثالٌ لأوامر الله واجتناب نواهيه؛ ظاهرًا، وباطنًا تعظيمًا لله جل جلاله وخشية منه، وأنّ معنى التقوى هو اتقاء معضلات الحياة، ومشكلاتها بأن تلتزم منهج الله، والتقوى أعمّ من اتقاء النار؛ إنها اتقاء المشكلات، والمخاطر التي تنشأ من مخالفة منهج الله (الشعراوي،١٩٩١).

فمن اتقى أن يعصي الله -عزَّ وجل- وصل إلى البر، وهو طريق النجاح على الإطلاق، طريق الفلاح، طريق الراحة النفسيَّة، طريق الاستقرار الأسري، طريق النجاح في العمل، طريق النماء. والتقوى؛ هو أن تكون مع الله، وأن تكون مطبِّقًا لمنهجه (النابلسي،٢٠١٦).

المطلب الثالث

العمل والثبات لتعزيز ومواصلة النجاح

وكما أشرنا -سابقًا- فإن هذه الخطوة تُمثِّل مقوِّمات، ودعائم لتثبيت النجاح والمحافظة عليه، والعمل على ترقيته إلى أعلى المستويات، فمن الأهمية بمكان، دراسة تلك الخصال، والعمل على مجاهدة النفس، من أجل تطبيقها للمحافظة على النجاح، والسير نحو الرفعة، والكمال. وتتمثل في الوقفات والقواعد الآتية:

أ. الدُّعاء بالهداية والثبات

الهداية هي: الثبات والإلهام، وهما أهم مقومات الارتقاء بالنجاح واستدامته، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: ٥)؛ ويقول أبو حيان (١٩٩٣) الهداية هي الإرشاد، والدلالة والتقدم ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ (فصلت:١٧)، أو الإلهام ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (طه: ٥٠). والهداية أول ما يطلب المؤمن من ربه العون فيه في كُل ركعة من ركعات الصلاة ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة: ٦) أي: وَفِّقْنا للثبات عليه، وألهمنا الطريق الهادي؛ وإلهامه إياه ذلك هو توفيقه له (الطبري، ٢٠٠٠). و﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: وفِّقنا إلى معرفة الطريق المستقيم الواصل؛ ووفقنا للاستقامة عليه بعد معرفته؛ فالمعرفة، والاستقامة كلتاهما ثمرة لهداية الله، ورعايته، ورحمته. والتوجه إلى الله في هذا الأمر هو ثمرة الاعتقاد بأنه وحده المعين. فالهداية إلى الطريق المستقيم هي ضمان السعادة في الدنيا والآخرة عن يقين، وهي في حقيقتها هداية فطرة الإنسان إلى ناموس الله، الذي ينسق بين حركة الإنسان وحركة الوجود كله، في الاتجاه إلى الله رب العالمين (قطب، ٢٠٠٣). والمستقيم هو أقصر مسافة بين نقطتين، لكي يصلها الإنسان المتعَب بيسر.

لقد جعل اللهُ تعالى مفاتيح السعادة في الدنيا، والآخرة في الهداية. قال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (طه: ١٢٣)، ومن رام السعادة في غيرها؛ فلقد رجا أن يجتني من الشوك رطبًا جنيًا. ومن أحبه الله أعطاه الهداية، ويسَّر له سبلها، والهداية معناها الثبات على الحق، وأن يجعل الله قولك لله، وعملك لله، وسعيك لله (آل يحيى، ٢٠٠٥).

كما أن الدعاء وطلب العون من الله بالثبات بعد الهداية، لا يقل أهمية عن الهداية نفسها؛ فقد جاء في تفسير القرطبي (٢٠٠٠) لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ (آل عمران: ٨)، وكان من أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم قوله: {يا مُقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلبي على دينِكَ} (الترمذي، ح:٣٥٢٢). وقد جاء الكثير من الأدعية المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم في طلب الهداية، والثبات عليها، منها قولُهُ صلى الله عليه وسلم: {اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي} (مسلم: ح: ٢٧٢٥) وقوله صلى الله عليه وسلم: {اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدى والتُّقى، والْعَفافَ والْغِنى} (مسلم، ح:٢٧٢١).

ب. الدعوة إلى الخير

لما كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين، والمرسلين، ورسالته جاءت للناس كافة، حتى تقوم الساعة؛ فإن أمّتهُ حُمِّلت أمانة الدعوة إلى الله بعده، حيث أمرها الله تعالى بذلك حين يقول جلّ جلاله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، كما أمر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: {مَن رَأى مِنكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أضْعَفُ الإيمانِ} (مسلم، ح:٤٩). وتتمثَّل الإيجابية في أروع صورها في دعوة الناس إلى الخير، وفي هذا يقول قطب: (٢٠٠٣)؛ أنه لا بُدَّ من جماعة تدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وأن قيام هذه الجماعة ضرورة من ضرورات المنهج الإلهي ذاته. فهذه الجماعة هي الوسط الذي يتنفس فيه هذا المنهج، ويتحقق في صورته الواقعية، هو الوسط الخيِّر، المتكافل، المتعاون على دعوة الخير. المعروف فيه هو الخير، والفضيلة، والحق، والعدل. والمنكر فيه هو الشر، والرذيلة، والباطل، والظلم.

إنّ الأمر بالمعروف، والنهي، عن المنكر، من أسس الفلاح، وركائزه في الدنيا، والآخرة، فعاقبته حميدة مباركة، به تصلح الأحوال، وتكثر البركات، ويصبح المجتمع المسلم خيِّرًا متآلفًا، مطمئنًا مترابطًا، وتكون المعاصي فيه مُستنكرة، كما أنها تثقل ميزان حسنات الإنسان، وتجلب له النجاح والفلاح (البدر، ٢٠١٠أ). قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ٨-٩).

ج. التعلُّم المستمرّ

التعلُّم المستمر والمعرفة من حيث إيجادها، ونشرها، والعمل على تحصيلها... مطلب أساس ومقوّم من مقومات التغيير وتطوير الذات؛ لأجل مواجهة المشكلات التي يعاني منها الفرد، والمجتمع المسلم، والارتقاء بالإنسان إلى القدر الذي يحقق كرامته (بني مصطفى، ٢٠٠٩). فالمؤمنون في تعلم مستمر؛ فهم الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم حين يدعون إلى الله، ورسوله؛ ليحكم بينهم، سواء وافق أهواءهم أو خالفها. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (النور: ٥١)، ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أي: سمعنا حكم الله ورسوله، وأجبنا ما دعانا إليه، وأطعنا طاعة تامة، سالمة من الحرج (السعدي، ٢٠٠١).

فحياة المسلم حياة متجددة بشتى أنواع الحركة الفاعلة، والإيجابية، وفي مقدمة ذلك الحراك؛ أنه سعي مستمر نحو تنمية الذات بالنهل من ينابيع العلم، فهاهم أصحاب رسول الله ﷺ، يسألون نبيهم عما أشكل عليهم من أمور دينهم، ودنياهم في قوله تبارك وتعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. البقرة: ١٨٩.

فقد استهلت الآية الكريمة بالفعل (يسألونك) يا محمد عن الأهلة للدلالة على حرص الصحابة -رضي الله عنهم- على العلم، والتطوير؛ فالمقام مقام تعلم، وتعليم، مقام ارتقاء، وتنمية؛ حيث راحوا يسألون عن أمور دينهم، ودنياهم، على السواء؛ فالأمران لا ينفصمان، ولا يفترقان، فكل منهما مكمل للآخر.

وبعد بيان ما اشتملت عليه الآية من أحكام، وحكم، فقد ختمت بـ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾؛ ذلك أن التقوى في اتباع ما أمر الله سبحانه وتعالى به، وما نهى عنه... سبب رئيس للفلاح، والفوز، والنجاح في الدنيا والآخرة.

أما عن الاستمرارية والمواظبة على الفعل، والتي تعد سببًا رئيسًا من أسباب الفلاح، والنجاح؛ فيقول الحق -تبارك وتعالى- في سورة المعارج: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ (المعارج: ٢٣)، فكان جزاء مداومتهم، واستمرارهم في أدائها على أوقاتها: ﴿أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ (المعارج: ٣٥). وفي السياق ذاته يقول سبحانه وتعالى في حق أولئك الذين يواظبون، ويحافظون على أداء صلواتهم: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (المؤمنون: ٩)، فكان الجزاء العظيم: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ* الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠-١١) فالجزاء الحسن ركن أساس من أركان

التنمية البشرية، لما فيه من التحفيز، والمكافأة، فالنفس البشرية مفطورة على ذلك.

واتباع النور يشير إلى استمرار التعلُّم، وأنه طريق الفلاح، قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧)؛ حيث شبَّه تبارك وتعالى حال المقتدي بهدي القرآن، بحال الساري في الليل إذا رأى نورًا يلوح له اتبعه، لعلمه بأنه يجد عنده منجاة من المخاوف، وأضرار السير، وأجزاء هذا التمثيل استعارات، فالاتباع يصلح مستعارًا للاقتداء، وهو مجاز شائع فيه، والنور يصلح مستعارًا للقرآن لأن الشيء الذي يعلم الحق والرشد يشبه بالنور (ابن عاشور،١٩٨٤).

وفي الحقيقة فإن عملية التعلُّم، والتطوير الذاتي عملية مستمرة، لا ترتبط بالمؤسسات التعليمية، لأنها تحدث في أي مكان، وأي زمان، وبأي مرحلة عمرية. والإنسان الناجح هو القادر على التعلُّم، وتطوير ذاته باستمرار. قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): {وَمَن سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ له به طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ} (مسلم، ح:٢٦٩٩).

د. مجاهدة النفس

جاء الأمر بالجهاد مقرونًا بالفلاح في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٣٥)، وقال تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (التوبة: ٨٨). فالجهاد في الإسلام ما شُرعَ إلّا لحِكَمٍ ساميةٍ، ومعانٍ شريفة، ومقاصدَ عظيمةٍ، منها تحرير العباد من عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد، ومن الجور وظلم الإنسان إلى سماحة الإسلام وعدله.

وفي رحلة تطوير الذات، نحتاج إلى جهاد آخر؛ ألا وهو مجاهدة النفس. فالله تعالى يعلم أن الإنسان لا بدّ أن يُخطئ، ويُذنب، وأنه غير معصوم من ذلك؛ والله جل جلاله يريد منا الاستمرار في التوبة، والإنابة إليه، والبحث عن العلوِّ والكمال، ويريدنا جل جلاله إذا عصيناه أن نعودَ فورًا إليه، وأن نستمر في البحث عن وسيلة للإقلاع عن المعصية، وهذا هو الجهاد. ويوضح القحطاني (٢٠١٠أ) أربع مراتب لمجاهدة النفس، تتمثل في: جهادها على تعلم أمور الدين، والهدى، وجهادها على العمل به بعد علمه، وجهادها على الدعوة إليه ببصيرة، وتعليمه من لا يعلمه، وجهادها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله.

ومن مجاهدة النفس؛ الإعراض عن اللغو، وهو شرطٌ لتحقيق الفلاح؛ قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون: ١-٣) وهو الإعراض عن كل ما لا يعني المؤمن، ولا يهمّه من القول، والعمل؛ وهذا شأن المراقب لله، يحرص كل الحرص على أن لا تُكتب عليه خطيئة، ويعمل على أن يستزيد من الحسنات، فهو يدرك قيمة الوقت، ويستغله في طريق الفلاح (عبدالرحيم، ١٩٧٨: ١٦).

كما أن عِفَّة النفس، وحفظها، هي مجاهدة وإدارة للذات؛ فالعفة خلق إيماني رفيع، وصبرٌ وجهاد واحتساب، وقوة تحمل، وإرادة، وصون للإنسان، وللأسرة من الأهواء، والانحرافات. العفة دعوة إلى البعد عن سفاسف الأمور، وخدش المروءة، والحياء، ولذة وانتصار على النفس، والشهوات، وتقوية لها على التمسك بالأفعال الجميلة، والآداب الفاضلة (المالكي: ٢٠٠٧).

ويصف الله المؤمنين بأنهم مُعرضون عن اللَّغو، كناية عن مجاهدة أنفسهم، وكرامتها، وعلوّ همتهم (الطبطبائي: ١٩٧٣: ٩). قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (الفرقان: ٧٢)، فالتعبير القرآني عندما أراد أن يصف المؤمنين بالجديَّة، وعلو الهدف، لم يأتِ بوصف عقلي مجرّد، وإنما عبّر عن ذلك بوصف محسوس حيّ، وهو الإعراض عن اللغو، فهم ينأوْنَ بأنفسهم عن مجالس السفاهة، ولغو الحديث (الصمادي، ٢٠٠٣).

وقد بين المالكي (٢٠٠٧) أنّ من ثمرات العفة، والبُعد عن الفواحش والمحرَّمات؛ أنها تحقق للمسلم العفيف المروءة التي ينال بها الحمد والمجد والشرف في الدنيا والآخرة، وتقوده إلى الارتقاء في سماء الفضيلة، والبعد عن حضيض الرذيلة، والوقوف بالشهوات عند الحد الذي خلقت من أجله، وفق المنظور الشرعي، والمفهوم الأخلاقي.

هـ. الالتزام بالأمانة والعهد

يعد الوفاء بالعهد قيمة إسلامية في المقام الأول، وهو قيمة حضارية إنسانية كذلك. وتُشير كثير من آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبويّة الشريفة إلى وجوب الوفاء بالعهود، والمواثيق، كما أظهرت هذه الآيات، والأحاديث شناعة وعقاب من ينقضهما، أو من يُخل بها، هذا، ويترتب على الوفاء بالعهود العديد من الثمرات التي تقود إلى صلاح المجتمع واستقراره، وهي كالآتي:

- تحصيل التقوى؛ فالوفاء بالعهود إحدى صفات المتقين الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه الحكيم.

- تحصيل الأمان الدنيويّ، وحقن الدماء، وحفظ حقوق العباد.
- تكفير السيئات والفوز بالجنان.

يقول السعدي (٢٠٠١) في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ أي: مراعون لها، ضابطون، حافظون، حريصون على القيام بها وتنفيذها، وهذا عام في جميع الأمانات التي هي حق الله، والتي هي حق للعباد. فجميع ما أوجبه الله تعالى على عبده أمانة، على العبد حفظها بالقيام التام بها. وكذلك يدخل في ذلك أمانات الناس، كأمانات الأموال والأسرار ونحوهما، فعلى العبد مراعاة الأمرين، وأداء الأمانتين، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ (النساء: ٥٨) وكذلك العهد، يشمل العهد الذي بينهم وبين ربهم والذي بينهم وبين العباد، وهي الالتزامات والعقود، التي يعقدها العبد، فعليه مراعاتها والوفاء بها، ويُحرم عليه التفريط فيها وإهمالها. يقول القرطبي (٢٠٠٠) أن الأمانة والعهد يجمع كل ما يحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه قولًا وفعلًا.

فجاء الجمع بين رعْي الأمانات، ورعْي العهد، لأن العهد كالأمانة، وأن الذي عاهدك قد ائتمنك على الوفاء بما يقتضيه ذلك العهد. قال النسفي أن المراد به العموم في كل ما ائتُمنوا عليه، وعوهدوا من جهة الله -عز وجل- ومن جهة الخلق. (راعون): حافظون، والراعي القائم على الشيء بحفظ وإصلاح كراعي الغنم (ابن عطية،١٩٩٣).

وفي ظل شريعة الإسلام يجد المرء نفسه مسؤولًا أمام الله تعالى عن كل شيء حتى على النعمة المنعَم بها عليه. فالمسلم مسؤول عن نعم الله عليه، وعن بيته، وأولاده، والقيام بتربيتهم تربية سوية، وعن مجتمعه، والحفاظ على عمره وشبابه ووقته. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {أَلا كُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، فالإمامُ الذي على النّاسِ راعٍ، وهو مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ راعٍ على أهْلِ بَيْتِهِ، وهو مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والمَرْأَةُ راعِيَةٌ على أهْلِ بَيْتِ زَوْجِها، ووَلَدِهِ، وهي مَسْئُولَةٌ عنْهمْ، وعَبْدُ الرَّجُلِ راعٍ على مالِ سَيِّدِهِ، وهو مَسْئُولٌ عنْه، ألا فَكُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ} (البخاري، ح: ٧١٣٨).

كما أن من المسؤوليات ما يتعلق بحق القربى؛ فقد اعتنى الإسلام بالقرابة أيما اعتناء، وأعطى كل ذي حق حقه من الصلة والإحسان؛ وبيَّن أن خير الناس خيرهم لأهله؛ وبيَّن فضل صلة الرحم، وإثم قاطعها. قال تعالى: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الروم: ٣٨). يقول قطب (٢٠٠٣): ما دام المال مال الله، أعطاه رزقًا لبعض عباده، فالله صاحب المال الأول،

قد قرَّر قسمًا منه لفئات من عباده، يؤديها إليهم من يضع يده على ذلك المال. ومن ثم سماها حقًا. ويذكر هنا من هذه الفئات (ذا القربى، والمساكين، وابن السبيل).

كما أن الزكاة من المسؤوليات التي يجب المداومة عليها، وهي طريق للفلاح، والارتقاء إلى السموّ والكمال. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ (المؤمنون: ١-٤). وسميت زكاة؛ لأنها تُزكِّي صاحبها، فيزداد إيمانه، ويتخلّق بأخلاق الكرماء، وتطهره من الذنوب، ويكثر أجره، وثوابه وقربه من الله، ويبارك الله في أعماله وتزكو حسناته، وتُقْبل طاعاته (السعدي، ٢٠٠١).

وحول الآية السابقة يقول ابن عاشور (١٩٨٤): إن «أصل الزكاة أنها مصدر (زكّى) المشدد، إذا طهَّر النفس من المذمَّات»، ومن هنا يظهر المعنى للآية الكريمة، وهو أن المؤمنين الطالبين للفلاح يجب عليهم تزكية نفوسهم، وأنه لا سبيل إلى الفلاح إلّا بذلك.

و. مصاحبة الأخيار والصالحين

لقد حرص الإسلام على التأسيس لمجتمع سليم، وقوي، انطلاقًا من بعض القواعد الذهبية، والنصائح البليغة؛ ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: {الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ} (البغوي، ح٢٤٨٦)، وهذا الحديثُ تَوجيهٌ، وإرشادٌ نَبويٌّ لِمَن أرادَ سلامةَ نفسِه، وبيتِه وعلاقاتِه معَ الناسِ، فقد كانَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم حريصًا على تَعليمِ أُمَّتِه ما ينفعُها في أمور دِينِها، ودُنياها، وما يحفظُ عليهم نسيجهم المجتمعي سليمًا، معافى، قويًا، من خلال علاقات اجتماعية صحية، فقد كانَ عليه السلام يحض على التواصُلِ، والتَّوادِّ، وحسن الصحبة بينَ المسلمينَ.

وقد بيّن سبحانه تعالى أن الصالحين وصحبتهم هم أهل الفلاح، والنجاح. قال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة: ٢٢). فالإنسان جُبِل على حبِّ مُخالطة الآخرين، وأن يتخذ له جليسًا يعينه على مصالحه في دنياه وأخراه، والناس متفاوتون في دينهم وأخلاقهم، فمنهم الخيِّر الفاضل، الذي يُنْتَفَع بصُحبته وصداقته، ومنهم السيئ الذي يُتَضَرَّر بصداقته ومخالطته (الشقاوي،٢٠١١).

وقد أمرنا ربنا بمصاحبة الأخيار والصالحين، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (الكهف: ٢٨)، وحذَّرنا من مجالسة الأشرار، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ (النساء: ١٤٠)، فمصاحبة الصالحين خيرٌ وبركة في الدُّنيا والآخرة؛ قال تعالى: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ

لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ (الزخرف: ٦٧)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {مَثَلُ الجَلِيسِ الصّالِحِ والسَّوْءِ، كَحامِلِ المِسْكِ ونافِخِ الكِيرِ، فَحامِلُ المِسْكِ: إمّا أنْ يُحْذِيَكَ، وإمّا أنْ تَبْتاعَ منه، وإمّا أنْ تَجِدَ منه رِيحًا طَيِّبَةً، ونافِخُ الكِيرِ: إمّا أنْ يُحْرِقَ ثِيابَكَ، وإمّا أنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً} (البخاري، ح: ٤٣٥٥؛ مسلم، ح: ٨٢٦٢). فالإنسانُ مجبولٌ على التأثُّر بصاحبه وجليسه. لذلك فإنّ الصحبة الصالحة الإيجابية؛ من أهم العوامل التي تساعد الفرد على العمل والجدّ والإبداع، حينَ يستقبلُ رسائلَ إيجابية متفائلة من أصحابه، فتشجعه على العمل والسير نحو تحقيق أهدافه.

كما أن الحب في الله من الإيمان، وهو عاطفة قلبية تتجه إلى مَن توفرت فيه أسباب ذلك الحب، الذي لا يشوبه غرض دنيوي، ويُترجَم ذلك الحب بالإيثار والدعاء، وما بعد الحبِّ في الله إلا الفلاح. فقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحشر: ٩-١٠).

ز. إتقان العمل

إتقان العمل هو أداؤه على أكمل صورة، وعلى أجمل وجه، وفق أعلى مقاييس الجودة، ودون إخلال بمتطلبات ذلك العمل، والانتهاء منه -أيضًا- في وقته المحدد له؛ دون تأخير، أو تأجيل، أو تعطيل. والإتقان سمة من السمات الربانية التي اتسم بها صنع الله: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (النمل:٨٨)، وهو -أيضًا- من أهم عناصر بناء الشخصية الإسلامية، التي يتمايز البشر فيما بينهم من خلالها.

ويتجلى بديع صنعه سبحانه وتعالى في كل ما حولنا من أشياء...

له في كل شيء آية   تدل على أنه الواحد

فقد تجلت صفة الإتقان في خلق الإنسان بشكل عام... في هذه الأجهزة الباهرة... في ملايين الخلايا، والخمائل... والشبكة المعقدة من الأوردة، والشرايين... وما لم يكتشفه العلم بعد من عظيم خلقه سبحانه: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢١) كل ذلك في زمن قياسي!! تسعة أشهر!! إنك لا تملك أمام هذا الخلق العظيم إلا أن تطلقها تسبيحة عظيمة، مدوية في أرجاء هذا الكون الفسيح، بما فيه من مجرات، وكواكب، ومخلوقات عرفنا بعضها، وجهلنا أكثرها... هذا الكون الذي أبدعه الخالق -عز وجل-

بحكمته، ودقته: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩)، هذا الكون - وعلى الرغم من سعته، وإعجازه الباهر؛ إلا أن الخالق جمَّلَهُ، وزينه، بمظاهر الجمال والزينة. قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾ (ق: ٦). هذه السماء التي تفوق خلق الإنسان، عظمة، وإعجازًا: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (غافر: ٥٧)، ورغم ذلك: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ (الملك: ٣). إنه الإبداع، والتناسق، والتوازن الذي تجلى في الإيجاد بعد العدم، وعلى غير مثال، ليكون ذلك مثالًا يحتذى للإنسان؛ دقةً، وإتقانًا، وجمالًا.

وفي مجال التفكر، والتدبر، يدعونا الخالق -عز وجل- إلى إجالة الفكر في بديع خلق الله سبحانه وما فيه من دقة، وبهاء، وجمال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

وقد جاء في آيات الفلاح ما يبين أهمية ذلك؛ إذ الخشوع درسٌ في إتقان العمل، والإحسان فيه؛ ونتيجته الفوز والفلاح، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (المؤمنون: ١-٢) وحتى يتوجه الإنسان إلى الله تعالى في كل عمل يُسند إليه، ويقوم به على أكمل وجه وفي أتم صورة؛ لا بُدَّ له من محاولات جادة نحو تطوير ذاته، وتنمية قدراته، وإمكاناته؛ فالله تعالى يحب إذا عمل أحد عملًا أن يتقنه «والعمل هنا على إطلاقه» (علاونة، ١٩٩٣)، وقال صلى الله عليه وسلم: {إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإحْسانَ على كُلِّ شيءٍ} (مسلم، ح، ١٩٥٥).

فالخشوع في الصلاة بما يحمله من معانِ التأمل والتفكر والتدبر؛ يُحمِّل الإنسانَ المسؤولية والأمانة، والقدرة على البحث المستمر عن الجديد، ومسؤولية التمييز بين الطيب والخبيث، والحق والباطل. ومن خلال التدبّر يتعدَّى المؤمن في نظره وتأمله عالم الشهادة إلى عالم الغيب؛ فتتوسع مداركُهُ ويحرص على إتقان أعماله.

ح. مداومة العمل

ختم الله تعالى صفات المفلحين في الآيات العشر الأولى من سورة المؤمنون بالمحافظة على الصلاة كما ابتدأت صفاتهم بالخشوع فيها؛ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (المؤمنون: ٩)،

يقول القرطبي (٢٠٠٠) أن المراد بالمحافظة على الصلاة: المداومة والمواظبة على إقامة الصلوات الخمس في أوقاتها، وجميع شروطها من غير إخلال بشيءٍ منها. فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: سُئِلَ النبيُّ ﷺ: أيُّ الأعْمالِ أحَبُّ إلى اللَّهِ؟ قالَ: {أدْوَمُها وإنْ قَلَّ} (البخاري: ح:٦٤٦٥). وقال صلى الله عليه وسلم: {عليْكُم مِنَ العَمَلِ ما تُطِيقُونَ، فَواللَّهِ لا يَمَلُّ اللَّهُ حتّى تَمَلُّوا، وَكانَ أَحَبَّ الدِّينِ إلَيْهِ ما داوَمَ عليه صاحِبُهُ} (البخاري: ح:٤٣؛ مسلم، ح:٧٨٥).

إن في المداومة على الصلاة، والمحافظة عليها بالغ الأثر في تكوين الشخصية الإسلامية؛ فهي بمثابة المعلم اليومي والمدرس المثالي، الذي يُبقي للشخصية الإسلامية استقرارها واتزانها وعطاءها، إذ إن كل ما في الصلاة يُنمِّي في الفرد الخصال الحميدة، ويزكِّي الصفات المثالية في نفسيته وسلوكه، فضلًا عما فيها من خشوع وارتباط روحي. وكلّها تسهمُ في تكوين هذه الشخصية؛ ففي الصلاة تتوفر الكرامة وتعلو الهمّة، وتتحرر النفس من كل المغريات المادية لأنّ المسلم يخاطب فيها ربَّه ويتشرف بمناجاته، فتتولدُ في نفسه ثقة وعزة (عبد المنعم، ١٩٩٦).

خاتمة الفصل

ناقش هذا الفصل تأصيل تطوير الذات نحو النجاح في الحياة وفق منهج القرآن الكريم؛ حيث أسفرت نتائج الدراسة عن خمسة مبادئ أساسية لرحلة تطوير الذات، وهي: الاستعانة بالله مطلب أساس لتطوير الذات، وتزكية النفس أُولى خطوات تطوير الذات، وأهداف تطوير الذات يجب أن تنطلق من غاية الوجود، وأنها لابُدَّ أن تكون موصولة بالآخرة، وأن تطوير الذات لا يخرج عن مقاصد الشريعة الإسلامية، وجاءت تلك المبادئ ضمن تعريف تطوير الذات، الذي توصلت إليه الباحثة، والذي ينص على أنه: «الجهود التي يبذلها الفرد تزكيةً للنفس، وتنميةً لها؛ مستعينًا بالله لتحقيق أسمى أهداف النجاح في الدنيا، والفوز بأعلى الدرجات في الآخرة، وفق مقاصد الشريعة الإسلامية».

وخلصت الدراسة إلى أن كلمة «الفلاح» هي الكلمة الأدقّ، والأشمل، لموضوع تطوير الذات نحو النجاح في الحياة، واعتبرتها الباحثة مدخلًا قرآنيًا لبناء منهجية عملية لتطوير الذات نحو النجاح في الحياة، وقد أثبتت الباحثة ذلك من خلال أربعة أبعاد؛ تمثَّلَ البعد الأول في بيان المعنى اللغوي لكلمة الفلاح، وعلاقته بتطوير الذات. والبعد الثاني في مناقشة المعنى الاصطلاحي لكلمة الفلاح، وعلاقته بتطوير الذات. أما البعد الثالث فقد وضحت الباحثة من خلاله بعض اللطائف البلاغيَّة في جملة (حي على الفلاح) وعلاقتها بتطوير الذات. فيما أشار البعد الرابع إلى ثلاث لطائف عدديَّة في آيات الفلاح، وعلاقتها بتطوير الذات.

كما توصلت الدراسة إلى بناء منهجية عملية لتطوير الذات، انطلقت من تصميم مسارات للنجاح في ضوء آيات الفلاح؛ حيث تم التعرّض إلى ستة مسارات، أو مستويات للنجاح وهي: المسار الأول (الأدنى): استحالة النجاح، والمسار الثاني: فقدان النجاح، والمسار الثالث: بداية النجاح، والمسار الرابع: على طريق النجاح، والمسار الخامس: تحقيق النجاح، والمسار السادس: الارتقاء بالنجاح واستدامته.

ومن مسارات النجاح خلصت الدراسة إلى ثلاث خطوات رئيسة لتطوير الذات نحو النجاح في الحياة وهي: تزكية الذات، والاستعداد والتعلم، والعمل والثبات، وتنطلق من كل خطوة جملة من القواعد العملية لتطوير الذات.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

مصادر تفاسير القرآن الكريم

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. ٢٠٠٢. زاد المسير في علم التفسير. ط١. بيروت: دار ابن حزم.

ابن عاشور، محمد الطاهر. ١٩٨٤. التحرير والتنوير. ط١. تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبدالحق. ١٩٩٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ط١. تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن كثير، اسماعيل. ١٩٩٨. تفسير القرآن العظيم. ط٢. تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط. دمشق: دار الفيحاء.

أبو حيان، محمد بن يوسف. ١٩٩٣. تفسير البحر المحيط. ط١. تحقيق: عادل أحمد، وعلي محمد. بيروت: دار الكتب العلمية.

الأنصاري، زين الدين أبو يحيى زكريا. ١٩٨٣. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن. ط١. تحقيق: محمد علي الصابوني. بيروت: دار القرآن الكريم.

البغوي، أبي محمد الحسين بن مسعود. ١٩٩٥. تفسير البغوي: معالم التنزيل. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

الخليلي، أحمد بن حمد. ٢٠١٢. جواهر التفسير: أنوار من بيان التنزيل. ط٢. سلطنة عمان: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

رضا، محمد رشيد. ١٩٩٠. تفسير القرآن الحكيم: الشهير بتفسير المنار. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود. ٢٠٠٩. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ط٣. بيروت: دار المعرفة.

السعدي، عبدالرحمن بن ناصر. ١٩٩٩. القواعد الحسان لتفسير القرآن. ط١. الرياض: مكتبة الرشد.

السعدي، عبدالرحمن بن ناصر. ٢٠٠١. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ط١. الرياض: دار ابن الجوزي.

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد. ١٩٩٣. تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم. ط١. تحقيق: عادل أحمد، وعلي محمد. بيروت: دار الكتب العلمية.

الشعراوي، محمد متولّي. ١٩٩١. تفسير الشعراوي: الخواطر. مصر: مطابع أخبار اليوم.

الطبري، أبو جعفر. ٢٠٠٠. جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق: أحمد شاكر. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الطبطبائي، محمد حسين. ١٩٧٣. الميزان في تفسير القرآن. ط٢. بيروت: مؤسسة الأعلى للمطبوعات.

عامر، محمد مرسي. ١٩٧٧. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل

للإمام الزمخشري.ج٣. القاهرة. دار المصحف.

القرطبي، محمد بن أحمد. ٢٠٠٠. الجامع لأحكام القرآن.ط١. تحقيق: سالم البدري. بيروت: دار الكتب العلمية.

قطب، سيد. ٢٠٠٣. في ظلال القرآن. ط٣٢. القاهرة وبيروت: دار الشروق.

الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد. ٢٠٠٧. النكت والعيون تفسير الماوردي. ط٢. تحقيق: السيد بن عبد المقصود. بيروت: دار الكتب العلمية، ومؤسسة الكتب الثقافية.

النابلسي، محمد راتب. ٢٠١٦. تفسير النابلسي: تدبر آيات الله في النفس والكون والحياة. ط١. عمَّان: مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع.

مصادر الحديث الشريف

البخاري، أبو عبد الله؛ محمد بن إسماعيل ١٤٢٢هـ، صحيح البخاري، ط١، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة.

البخاري، أبو عبدالله؛ محمد بن اسماعيل. ٢٠٠٢. صحيح البخاري. ط١. دمشق، وبيروت: دار ابن كثير.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، شرح السنة، ط٢، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، ١٣٩٥هـ= ١٩٧٥م، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، محمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض (جـ ٤، ٥)، سنن الترمذي، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، ١٩٩٨م، الجامع الكبير، سنن الترمذي (د.ط
الحاكم، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، ١٤١١هـ=١٩٩٠م، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (٢٠٠١م) مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة. دار الغرب الإسلامي، بيروت.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، (١٤١٥هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ,عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، المعجم الأوسط، (د.ط)، دار الحرمين، القاهرة الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، ١٤١٣هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (الدعاء) ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

مسلم، بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري. ١٩٩١. صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

المراجع العربية

ابن القيم، محمد بن أبي بكر. ١٩٨٥. الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب.

تحقيق وتخريج: بشير عيون. ط١. دمشق: دار البيان.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين. ٢٠٠٣. لسان العرب. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو رزيزة، محمد علي محمد. ٢٠٠٩. تطوير الذات من منظور التربية الإسلامية. مجلة التربية. جامعة الأزهر. ٢(١٤٣)، ١٨٧-٢٢٤.

أبو زيد، وصفي عاشور. ٢٠٠٦. التعصب الممقوت وآثاره على العمل الإسلامي. مجلة البيان. (٨)،٢٣٨-٢٤١.

أحمد، إشراقة إبراهيم. ٢٠١٤. الظلم. مجلة العدل. وزارة العدل. السودان. ١٦(٤٣)، ٢٨٥-٣٢٤.

أحمد، عارف صالح صدقي. ١٩٩٣. الإيمان والسعادة. هدي الإسلام. الأردن. ٣٦(٩)، ٨٣-٧٩.

أرشيد، فائدة. ٢٠٠٦. حقيقة الحياة كما يصورها القرآن الكريم، هدي الإسلام. الأردن. ٥٠(٦)، ٥٢-٥٥.

الأصفهاني، الراغب. ١٩٩٧. مفردات ألفاظ القرآن الكريم. ط٢. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. دمشق: دار القلم.

آل يحيى، عبدالرحمن. ٢٠٠٥. مقومات الثبات على الهداية. الرياض: دار الوطن.

البدر، بدر بن ناصر. ٢٠١٠. المفلحون في القرآن الكريم. ط١. الرياض: دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع.

البدر، عبدالرزاق. ٢٠١٠ب. التحذير من السحر. شبكة الألوكة الشرعية،

من الرابط: https://www.alukah.net/sharia

البريدي، عبدالله. ٢٠٠٧. نظرات نقدية للبرمجة اللغوية العصبية: نقد الأسس الفلسفية والمنهجية والثقافية والنفسية، إسلامية المعرفة، ١٢(٤٨)، ص ١٣٣- ١٦٦.

البقمي، خالد عائش ردعان. ٢٠١٣. تطوير الذات في ضوء التربية الإسلامية. دراسة ماجستير غير منشورة. كلية التربية. جامعة أم القرى. مكّة المكرمة.

بكار، عبدالكريم. ٢٠٠٥. مفاهيم قرآنية في البناء والتنمية. ط١. جدّة: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بالجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم.

بكار، عبدالكريم. ٢٠٠٩. اكتشاف الذات: دليل التميز الشخصي. ط٢. الرياض: مؤسسة الإسلام اليوم.

بكار، عبدالكريم. ٢٠١٢. مبادئ وأساليب للتغيير الشخصي. ط١. الرياض: دار وجوه للنشر والتوزيع.

بني مصطفى، عمر محمد. ٢٠٠٩. منهج التغيير في التربية الإسلامية. رسالة دكتوراه غير منشورة. كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. جامعة اليرموك. الأردن.

بو عجاجة، جمال. ٢٠١٦. أسطورة العقل الباطن. مقال بمدونات الجزيرة.

من الرابط: https://www.aljazeera.net/blogs/

البوهي، محمد لبيب. ١٩٨١. السعادة وكيف يحققها الإيمان. مجلة الوعي الإسلامي. الكويت.

١٨(٢٠٦)، ٣٢-٣٧.

الجزائري، أبو بكر جابر. ٢٠٠٢. نداءات الرحمن لأهل الإيمان. ط١. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.

الحسين، نايف. ٢٠١٧. برامج تطوير الذات بين الحقيقة والوهم. التنمية الإدارية. معهد الإدارة العامة: الرياض. (١٠٩)، ١٨-١٩.

الحمد، محمد إبراهيم. ١٩٩٨. الكذب: مظاهره، علاجه. الرياض: جهاز الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني.

حوى، سعيد. ٢٠٠٤. المستخلص في تزكية الأنفس. ط١. القاهرة: دار السلام.

الخضيري، عبدالعزيز عبدالله. ٢٠٠٨. الكبر: حقيقته وآثاره وعلاجه في ضوء القرآن الكريم. مجلة الحكمة. السعودية. (٣٧)، ١٧١- ٢٢٣.

الخطيب، محمد عبدالفتاح. ٢٠١٠. قيم الإسلام الحضارية: نحو إنسانية جديدة. ط١. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

الخليلي، أحمد بن حمد.٢٠٢١. خطاب سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي للباحثة د. ثريا بنت أحمد بن سليمان البراشدية ردًا على إهداءها لسماحته نسخة من رسالة الدكتوراه ومسودة كتاب مستل منها، المؤرخ في ٨ ذي القعدة ١٤٤٢هـ الموافق ١٩ يونيو ٢٠٢١م.

خليل، صبري محمد. ٢٠١٣. مفهوم التنمية البشرية وتنمية الذات. صحيفة الراكوبة: السودان، من الرابط: https://www.alrakoba.net/

الداهري، صالح حسن. ٢٠٠١. مبادئ الإرشاد النفسي والتربوي. ط١. الأردن: دار الكندي.

الدجاني، أحمد صدقي١٩٩٥. أفكار في التغيير. ط١. ندوة مناهج التغيير في الفكر الإسلامي. ٢٤-٢٦ يناير. ١٩٩٤. الكويت.

الدويش، محمد بن عبد الله (د.ت)، برامج التدريب هل تبني الشخصية؟ (مجلة البيان)، الإمارات العربية المتحدة، ع٢٣٣، ١٠.

الدينوري، ابن قتيبة. ١٩٧٨. غريب القرآن. ط١. المحقق: أحمد صقر. بيروت: دار الكتب العلمية.

رشدي، هند. ٢٠٠٩. طريقك إلى اكتساب العادات الايجابية للنجاح والتفوق. ط١. مصر: دار مشارق.

الرشيدي، بشير صالح. ٢٠٠٩. التعامل مع الذات. ط٣. الكويت: مجموعة إنجاز.

رمضان، محمد سيد. ٢٠١٠. المنهج النبوي في تدعيم الثقة بالنفس. شبكة الشفاء الإسلامية، من الرابط: https://www.ashefaa.com/play

الزبيدي، عبد القوي سالم، وكاظم، علي مهدي. ٢٠٠٦. خصائص معلم المستقبل: أنموذج مقترح للخصائص الشخصية والمهنية. مجلة جامعة دمشق. ٢٢(١) ٢٣١-٢٥٨.

الزبيدي، محمد مرتضى. ١٩٩٤. تاج العروس من جواهر القاموس. ط١. تحقيق: عبدالعزيز مطر. الجزء الثاني. بيروت.

الزعلة، علي. ٢٠١٣. تطوير الذات: تسويق الوهم. صحيفة الشرق. (٣٩٤). ص١٨. من الرابط:

https://alsharq.com/opinion

الزلمـي، مصطفـى، والبكـري، عبدالباقـي. ٢٠٠٦. المدخـل لدراسـة الشريعـة الإسـلامية، المكتبـة القانونيـة. ط١. شركـة العاتـك لصناعـة الكتـاب.

زهران، حامد عبد السلام. ٢٠٠٢. التوجيه والإرشاد النفسي. ط١. القاهرة: عالم الكتب.

سابق، السيد. ١٩٨٨. خصائص الشريعة الإسلامية ومميزاتها. ط١. الفتح للإعلام العربي.

السـاعدي، أشـواق عبـد الحسـن. ٢٠٠٨. الثقافـة والتنميـة البشريـة: دراسـة نظريـة لبعـض المتغـيرات الثقافيـة. ط١. بـيروت: مؤسسـة العـارف للمطبوعـات.

السباعي، مصطفى. ١٩٨٢. السنَّة ومكانتها في التشريع الإسلامي. ط٣. دمشق: المكتب الإسلامي.

سعيد، سعاد جبر. ٢٠٠٨. هندسة الذات. ط١. الأردن. عالم الكتب الحديثة.

السـلمي، عبداللـه. ٢٠١٦. لمـاذا نقـول لاحـول ولا قـوة إلا باللـه إذا قـال المـؤذن حـي عـلى الصـلاة حـي عـلى الفـلاح؟ مـن الموقـع: https://www.youtube.com/watch?v

السـنبل، عبدالعزيـز. ٢٠٠١. دور المنظـمات العربيـة في التنميـة المسـتدامة. مؤتمـر التنميـة والأمـن في الوطـن العـربي: الأمـن مسـئولية الجميـع. أكاديميـة نايـف العربيـة للعلـوم الأمنيـة: الريـاض.

السـنوسي، محمـد. ٢٠١٤. التعصـب: مفسـد للديـن والدنيـا. مجلـة الوعـي الإسـلامي. وزارة الأوقـاف والشـؤون الإسـلامية. الكويـت. ١(٥٨٥)، ٢٤- ٢٦.

السويدان، طارق، وباشراحيل، فيصل عمر. ٢٠٠٩. صناعة الثقافة. ط١. الإبداع الفكري.

شاكر، زهير. ٢٠١٦. روائع الاعجاز النفسي: الاسقاطات النفسية. من

الرابط: https://arar.facebook.com/675028272552725

الشرماني، رفيق. ٢٠١٦. ماذا نعرف عن علم النفس الإيجابي؟ من الرابط:

http://www.fikr.com/article

الشقاوي، أمين عبدالله. ٢٠١١. الرفقة الصالحة. شبكة الألوكة الشرعية،

من الرابط: https://www.alukah.net/sharia/0/27931/1

الشمراني، سلمان بن عبيد. ٢٠١٦. كيف أطوّر ذاتي؟ من الموقع: www.iBooks.ae

الصديـق، حسـين. ١٩٩٤. مقدمـة في نظريـة الأدب العـربي الإسـلامي -منشـورات جامعـة حلـب، مديريـة المطبوعـات الجامعيـة، حلـب، سـوريا، ١٥٤.

الصرن، رعد. ٢٠٠١. كيف تخلق بيئة ابتكارية في المنظمات: إدارة الابداع والابتكار. دمشق: دار الرضا.

الصغـير، محمـد بـن عبداللـه. ٢٠٠٧. لمـاذا يذهبـون إلى دورات تطويـر الـذات، مجلـة المعرفـة، العـدد ١٤٣، وزارة التربيـة والتعليـم، السـعودية، ص٣٠-٣٤.

الصمادي، معتصم.٢٠٠٣. سورة المؤمنون: دراسة أسلوبية. رسالة ماجستير غير منشورة. الجامعة الأردنية.

الطحطاوي، أحمد بن محمد. ٢٠١٤. حاشية الطحطاوي. بيروت:. دار الكتب العلمية.

الطليمات، ناهد. ٢٠١٦. أكذوبة الطاقة. ط١. من الموقع: //www.ektab.com

الطنوبي، صلاح. ٢٠٠٣. أثر الإيمان بالله. مجلة التوحيد. جماعة أنصار السنة المحمدية. مصر. ٣٢ (٨).

الطيطي، محمد وآخرون. ٢٠٠٩. مدخل إلى التربية. ط٢. عمّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

العاني، أسامة. ٢٠٠٢. المنظور الإسلامي للتنمية البشرية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.

عبد الحميد، صلاح محمد. ٢٠٠٨. أسرار النجاح. ط١. دار العلوم للنشر والتوزيع.

عبد الحميد، نظام الدين. ١٩٥٨. العبادة وآثارها النفسية والاجتماعية. ط١. بغداد: مطبعة الخلود.

عبد الخالق، أحمد، وآخرون. ٢٠٠٣. معدلات السعادة لدى عينات عمرية مختلفة من المجتمع الكويتي، دراسات نفسية. القاهرة. رابطة الأخصائيين النفسيين المصرية(رانم). ١٣(٤)، ٣٣٧-٣٤٩.

عبد الكافي، عمر. ٢٠١٧. من أسرار الأذان. https://www.youtube.com/watch?v

عبد المتجلي، محمد رجاء حنفي. ١٩٩٩. أريد به الوصول إلى النفس المطمئنة: الجهاد الأكبر. مجلة الوعي الإسلامي. الكويت. ٣٦(٤٠٧)، ٢٦٠-٢٦١.

عبد المنعم، عبدالله. ١٩٩٦. التوجيه والإرشاد النفسي والاجتماعي والتربوي. ط١. غزة. مطابع منصور.

العبري، فهد مطلق. ٢٠٠٨. فن إدارة الذات. ط١. القاهرة: زهراء الشرق.

عثمان، خالد. ٢٠٠٦. مظاهر الصحة النفسية لذوي الاحتياجات الخاصة. مجلة البحوث والدراسات في الآداب والعلوم والتربية.(٥)، ٦١-٨٦.

العدل، عادل. ٢٠٠٨. علم النفس الإيجابي ومهارات الاستمتاع بالحياة. مؤتمر الجمعية المصرية للدراسات النفسية. فبراير، جامعة الزقازيق: مصر.

عركز، أحمد محمد. ٢٠١٣. ريحان من آيات الرحمن. ط١. الاسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر العريمي، أيمن. ٢٠٠٦. جدولة القناعات وقوة الثقة بالنفس.ط١.

دار الأسرة للنشر والتوزيع.

العسكري، أبو هلال. ٢٠١٤ .جمهرة الأمثال. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش. شركة التراث للبرمجيات.

علاونة، شفيق. ١٩٩٣. دافعية التقوى دافعية فريدة في الإسلام. دراسات تربوية، مج٨، ج٥٦، ص٢٠٥-٢٣٥، مصر.

عمر، أحمد مختار عبد الحميد. ٢٠٠٨. معجم اللغة العربية المعاصرة. ط١، عالم الكتب.

غانم، محمد سلمان. ٢٠١١. نحو نظرية قرآنية. ط١. بيروت: دار الفارابي.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. ٢٠٠٥. إحياء علوم الدين. ط١. بيروت: دار ابن حزم.

الغندور، سماح طه. ٢٠١١. التنمية البشرية في السنة النبوية. دراسة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، غزّة، فلسطين.

الفتال، علي. ١٩٨٤. حول العدد أربعون. مجلة التراث الشعبي. وزارة الثقافة. ١٥(١٢)، ١٢٣- ١٥٢.

الفصّام، محمد بن سعد. ٢٠١٢. ولكن سعداء. ط١. مؤسسة الجريسي للتوزيع.

الفضلي، عبدالرحمن يتيم. ٢٠١٧. مفاتيح السرور والسعادة في ضوء سورة الشرح. مجلة الشريعة للدراسات الإسلامية. الكويت. ٣٢(٢٠٨)، ٢٩٤-٣٣٦.

الفقيه، أبو الحسن بن محمد. ٢٠١١.نصائح هامة على طريق النجاح. ط١، دار ابن خزيمة: الرياض.

الفقيه، أبو الحسن بن محمد. ٢٠١٤. وثبة نحو النجاح. ط١. الرياض: دار ابن خزيمة.

فولي، نبيل. ٢٠١٤. تزكية الذات. مجلة الوعي الإسلامي. الكويت: وزارة الأوقاف. ٢(٥٩٣)، ٧٠-٧١.

الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. ٢٠٠٣. القاموس المحيط. ط٢. بيروت: دار إحياء التراث.

قباني، نزار،١٩٦٣م، الشعر قنديل أخضر، ط١، منشورات المكتب التجاري، بيروت، ٥٠.

القحطاني، سعيد بن علي. ٢٠١٠أ. الجهاد في الإسلام: مفهومه، وضوابطه، وأنواعه، وأهدافه في ضوء الكتاب والسنة. الرياض: دار الإسلام.

القحطاني، سعيد بن علي. ٢٠١٠ب. إجابة النداء. الرياض: مطبعة سفير.

قطب، سيد. ١٩٦٢. خصائص التصور الإسلامي. ط١. القاهرة وبيروت: دار الشروق.

قطب، محمد. ١٩٧٤. الإيمان بالله في القرآن الكريم. مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. مكة المكرمة. ١(١)، ٩-٢٩.

قطب، محمد. ١٩٩٣. منهج التربية الإسلامية. ج١، ط١٦. القاهرة وبيروت: دار الشروق.

الكحيل، عبد الدائم. ٢٠٠٩. روائع الإعجاز النفسي في القرآن والسنة.

كتاب إلكتروني صدر عن موقع الكحيل للإعجاز العلمي. من الرابط: www.kaheel7.com/ar

الكحيل، عبدالدائم. (٢٠١١). أسرار الرقم سبعة. موسوعة الكحيل للإعجاز العلمي. من الرابط:

كردي، فوز عبداللطيف ٢٠٠٤. حقيقة البرمجة اللغوية العصبية. متوفر في

https://www.alagidah.com/vb/showthread.php

كردي، فوز عبداللطيف. ٢٠١٠.حول دورات التنمية البشرية. متوفر في

https://www.alagidah.com/vb/showthread.php

الكمالي، طلال فائق. ٢٠١٣.التنمية البشرية في القرآن الكريم: دراسة موضوعية. رسالة ماجستير منشورة.جامعة الكوفة: العراق.

الكيلاني، ماجد عرسان. ٢٠٠٥. التربية والتجديد. ط١. دبي: دار القلم.

اللوح، عطاء طلعت محمد. ٢٠١٦. الثقة بالله في ضوء القرآن الكريم: دراسة موضوعية. رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية: غزة، فلسطين.

المالكي، سلمان بن يحيى. ٢٠٠٧. العفة. موقع طريق الإسلام: http: //iswy.co/e48e7

محمد، محمد حامد.٢٠١٧. المفاتيح العشرة للشخصية الناجحة. مصر: المحرر الأدبي للنشر والتوزيع.

المدرسي، محمد تقي. ٢٠٠٨. من هدي القرآن. ط٢. دار الكتاب العربي. دار القارئ للطباعة.

المرازاقة، نجاح. ٢٠١٠. اللون ودلالاته في القرآن الكريم. رسالة ماجستير غير منشورة. الأردن: جامعة مؤتة.

المشوخي، عبدالله سليمان. ٢٠٠٩. الحوار وآدابه في الإسلام. ط١. جدَّة: مكتبة العبيكان.

مصطفى، محمد صالح. ١٩٨٨. تفسير سورة الرعد. ط١. السعودية: دار النفائس للنشر والتوزيع.

المعارف الإسلامية. ٢٠١٥. اليقظة والتوبة. متوفر في شبكة المعارف الإسلامية، من الرابط:

https://www.almaaref.org/maarefdetails

المقبل، عمر. ٢٠١٢. قواعد قرآنية: ٥٠ قاعدة قرآنية في النفس والحياة.ط٣. الرياض: دار الحضارة.

مندور، محمد ١٩٧٩م، الأدب ومذاهبه، دار نهضة مصر للطبع، والنشر، القاهرة، ٤٣.

النابلسي، محمد راتب. ٢٠٠٢. ومضات في الإسلام. ط١. دمشق: دار المكتبي للطباعة والنشر.

النابلسي، محمد راتب. ٢٠١٤. النجاح والفلاح. محاضرات وندوات مصورة. تاريخ: ٠١- ١٠- ٢٠١٤ جامع التقوى: الأردن. من الرابط: https://www.nabulsi.com/blue/ar/art

الناطور، فايز عبد الكريم. ٢٠١١. التحفيز ومهارات تطوير الذات. عمَّان. دار أسامة.

نور الدين، محمد صفوت. ١٩٩٦. قد أفلح المؤمنون. التوحيد: جماعة أنصار السنة المحمدية. مصر. ٢٥(٢)، ٤٠-٤٣.

هاريس، كارول. ٢٠٠٤. البرمجة اللغوية العصبية الآن أبسط. ترجمة مكتبة جرير، ط١، الرياض: مكتبة جرير.

هيئة تحرير التوعية الإسلامية. ١٩٨٥. طمأنينة المؤمن. مجلة التوعية الإسلامية. ١١(٦). ٥٩-٦٠.

هيئة تحرير مجلة المعرفة. ٢٠٠٧.كيف صيرت حركة تطوير الذات أمريكا عاجزة. سالينو ستيف، مجلة المعرفة، العدد ١٤٣، وزارة التربية والتعليم، السعودية، ص٥٨-٦٦.

وهدان، حسين شعبان. ٢٠٠٩. أفيقوا أيها المتكبرون. شبكة الألوكة الشرعية، من الرابط:

https://www.alukah.net/sharia

يالجن مقداد. ١٩٨٧. طريق السعادة. ط١. بيروت. دار الشروق.

اليعقوبي، علي يوسف.٢٠١٣. فصول في النقد الأدبي القديم، ط١، مكتبة الطالب الجامعي، غزة، فلسطين.

اليعقوبي، علي يوسف .٢٠١٤. فصول في النقد الأدبي الحديث، ط١، مكتبة الطالب الجامعي، غزة، فلسطين.

المراجع الأجنبية

Aboalshamat, K. , Yu Hou, E. & Strod, E. 2014. Towards Understanding Self-Development Coaching Programs. International Journal of Psychology and Behavioral Sciences, 4 (4): 136-145.

Arkowitz, H. & Lilienfeld, S. 2006. Do Self-Help Books Help? Scientific American Mind. Pp. 90-91.

Bergsma, A. 2007. Do self-help books help? Published online by Springer Science & Business Media: J Happiness Stud 9: 341–360.

Birch, K.2017. Debate: is the practice of self-help helpful? Gulf news. Available online: http://gulfnews.com/leisure/health/debate-is-the-practice-of-self-help-helpful:1.1038154

Corballis, M. 2012. Chapter 13 Educational double-think. In Della Sala, Sergio; Anderson, Mike. Neuroscience in Education: The good, the bad, and the ugly. Oxford: Oxford University Press, PP.225-226.

Compton, C. W. 2005. An introduction to Positive Psychology. Wadsworth Cengage Learning.

Emmons, R. 2000. Is spirituality and Intelligence, motivation, cognition, and the psychology of ultimate concern. The International Journal for Psychology of Religion, 10 (1) 3-26.

Helwing, D. 2001. Neuro-Linguistics Programming. In: Gale Encyclopedia of Alternative Medicine. Gale group, www. Findarticles.com.

Kaur, M. 2013. Spiritual Intelligence of Secondary School Teachers in Relation to their Job Satisfaction. India: International Journal of Educational Research and Technology. Volume 4 [3]: 104 – 109.

Kulshrestha, S. & Singhal, T. 2017. Impact of Spiritual Intelligence on performance and job satisfaction: A study on school teachers. International Journal of Human Resource & Industrial Research, Vol.4, Issue 2, pp 01-06.

Sillamy, N. 1980. Dictionnaire encyclopédique de psychologie. Tome 2. ed. Bordas. Paris.

Witkowski, T. 2010. Thirty-five years of research on Neuro-Linguistic programming. NLP research data base: State of the art or pseudoscientific decoration. Polish Psychological Bulletin, 40.




الحمد لله


الحمد لله

نبذة عن الكتاب:



- هذا الكتاب هو في الأصل دراسة علميَّة منهجيَّة، مستلٌّ من رسالة دكتوراه بعنوان (تطوير الذات نحو النجاح في الحياة وفق منهج القرآن الكريم لمعلمي التعليم العام في سلطنة عمان).
- تقدّم الدراسة رؤية حقيقية للتنمية البشرية، وتطوير الذات نحو النجاح في الحياة، مستمدَّة معالمها، وأسسها، ومهاراتها من أنوار القرآن الساطعة الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٢).
- تؤكّد الدراسة أن كلمة (الفلاح) هي الأدق، والأشمل، لموضوع تطوير الذات والنجاح بالاستعانة بتفاسير القرآن الكريم.
- خلُصت الدراسة إلى خمسة مبادئ أساسية لتطوير الذات، وبناء منهجيةٍ عمليةٍ واضحة، وميسرة، من خلال تصميم ستة مسارات للنجاح في ضوء آيات الفلاح في القرآن الكريم.
- انطلقت من تلك المسارات ثلاث خطوات رئيسة لتطوير الذات هي: تزكية الذات، الاستعداد والتعلم، العمل والثبات. وقد تضمَّنت كل خطوة جملة من القواعد العملية لتطوير الذات.
- هذا الكتاب إلى كل طامحٍ لتطوير ذاته، لأجلكَ أزهر هذا العمل وأينع؛ ليؤتي ثماره منهجًا عمليًّا تطوّر به ذاتك وتحقق به -بإذن الله- أسمى أهداف النجاح في الدنيا، والفوز بأعلى الدرجات في الآخرة.

ISBN 978-99969-3-725-5

